تاريخُ الكوارِث في بيتِ المقْدِس

الأوبِئَة والزّلازِلُ والجَرادُ والقَحْطُ والبَرْدُ والفَيَضان



تأليف

بشير بركات

تقديم

الدكتور عبد اللطيف االحسيني

الطبعة الثانية

مَزيدَةٌ و مُنقّحَة

تاريخُ الكوارِث في بَيْتِ المَقْدِس
الأوْبِئَةُ والزَّلازِلُ والجَرادُ والقَحْطُ والبَرْدُ والفَيَضان

بشير بركات

الطبعةُ الثانيَة
مَزيدَةٌ ومُنقَّحَة

تقديم
الدكتور عبد اللطيف الحسيني



العُنوان: تاريخُ الكوارِث في بَيْتِ المَقْدِس،
الأوْبِئَةُ والزَّلازِلُ والجَرادُ والقَحْطُ والبَرْدُ والفَيَضان
المؤلف: بشير بركات
تدقيق لغوي: مريم بركات
المكان: بيت المقدس
الناشر: قسم الأبحاث- مؤسّسة دار الطفل العربي
الطبعة: الثانية
التاريخ: 1444هـ/ 2023م
الواصِفات: الكوارث، الأوبئة، التاريخ، القدس

المحتويات

تقديم	٥
تمهيد	١٩
الأوْبِئَة	٢١
الزلازل	٩٣
الجَراد	١٢٧
القَحْط	١٤٣
البَرْد والفَيَضان	١٦٧
آفةُ تعاطي الخمور	١٨١
خاتمة	١٨٩
ملحق: جدول بالسنوات التي وقعتْ فيها كوارث	١٩١
المصادر والمراجع	١٩٥

إهداء

إلى الصيدلاني المصري أحمد أبو زيد كامل
حفظ الله دياره العزيزة من الكوارث والبلايا والشرور
وفتح الله عليه وعلى قومه بركات من السماء والأرض.

وصلى الله على سيدنا محمد

تقديم
بقلم: الدكتور عبد اللطيف سعيد الحسيني

أعتبر نفسي محظوظًا لأنني تمكّنتُ مؤخّرًا من الاطلاع على الكتاب الماتع "تاريخ الكوارث في بيت المقدس" للمؤرّخ المدقِّق الأستاذ بشير بركات، وقد استفدتُّ منه كثيرًا في إثراء معلوماتي. وكما أنوي الاستفادة منه في بعض كتاباتي وأبحاثي، وتدريسي لطلبتي في الجامعة. يحوي الكتاب تمهيدا ماتعا، وخاتمة نافعة، إضافة إلى فصول ستة حول تاريخ الكوارث في بيت المقدس، وقد اهتممت كباحث في الصحة العامة بالفصول التي تتعلق بالأوبئة، والزلازل، والجراد، والتي تتعلق من وجهة نظري بالأمن الصحي، والأمن الحياتي، والأمن الغذائي.

التزمَ المؤلّفُ بالاستعراض التاريخي التسلسلي للكوارث المختلفة، مع الاعتماد على مصادر متعدِّدة، وتوثيقٍ دقيقٍ لتلك الكوارث. كما يمزج في مقاربته الموسوعية بين الإحاطة الشمولية والتفصيلات المحددة، فيجعل لكل قارئ سواء كان متخصِّصًا أو غير متخصّص مجالًا للاستفادة والاستمتاع بما يقرأ. ولم يفت المؤلف كذلك أن يجمع بين السرد الوصفي، والمقاربة التحليلية للمواضيع المختلفة التي تطرَّق اليها.

ما يؤلمني أن هذه الأعمال المهمة التي توثِّق لفلسطين وللقدس في مناحٍ وقطاعات مختلفة لا تجدُ حاضِنةً ترعاها، وهي في معظمها جهد شخصي لباحثين مجتهدين، في غياب رعاية رسمية أو أهلية جدية. مع العلم أن صراعنا في حقيقته حضاري، والثقافة والعلوم من أهم أدواته، فمتى نَعي هذه المسألة؟ كما أتمنى على مكتباتنا، ودور النشر المحلية والعربية، أن تحرص على نشر وتوزيع واقتناء هذه الكتب. فهل يُعقَل ألّا تجِدَ نسخةً من هذا الكتاب في المكتبات العامة، أو حتى عند بائعي الكتب؟

سأحاول في هذا التقديم استعراضَ بعض الجوانب الصحية المهمة والمتعلقة بالأمراض والأوبئة المنتشرة في فلسطين من ناحية تاريخية، والتي استفدتُّها من هذا الكتاب، والتي قد تعطي القارئ لمحة عامة لما فيه

من معلومات مهمة، وكذلك معلومات استقيتها من مصادر أخرى أدرجتُ أهمها في نهاية هذا التقديم.

رغم قلّة المعلومات التي وصلتنا عن الصحة والمرض أيام الكنعانيين (3000- 1000 قبل الميلاد)، فإنَّ ما وصلنا يدلُّ على أن فلسطين كانت كغيرها من بلدان الشرق القديم تعتمد على استخدام الوسائل العلاجية القديمة كالأعشاب الطبية، وكانت الصحة والمرض مرتبطتان بالآلهة القديمة والسحر. كان الكهنةُ أطباءَ تلك الأزمنة، وقد وجدت آثار عبادة إله الطب "إشمون" في بركة بيت حسدا في القدس. وقد تأثرت المفاهيم الصحية عند العرب الكنعانيين واليبوسيين بالحضارات المجاورة والمشاطئة، وخاصة المصرية والبابلية واليونانية. وغزا العبرانيون فلسطين بعد ذلك، وسيطروا على بعض أجزائها مؤقتًا، وهناك إشارات محدودة في (العهد القديم) عن الصحة والأمراض وبشكل غير محدد مثل الحمى، وضربة الشمس، والطاعون. وكان للأنبياء والكهنة دَور في معالجة الأمراض، ومراقبة الالتزام بتعليمات الصحة العامة في التوراة مثل تنظيف البيوت في المناسبات الدينية، ومنع تناول لحم الخنزير، والختان.

وعند ظهور المسيحية في العهد الروماني وردت إشاراتٌ أكثر وأوضح وأدق عن بعض الأوبئة مثل الجُذام، والأمراض مثل الشلل، والصرع في العهد الجديد، وكان يتم إيرادها على الأغلب كأدلة على معجزات المسيح عليه السلام. ومثل من سبقها فقد أوكِلتْ مهمةُ علاج الأمراض للكهنة ورجال الدين واستمروا على ذلك لمدّة طويلة جدًّا، حيث أن بعض المستشفيات في فلسطين أسّسها الرهبان والكنائس، وقد اشتهر منهم مار لوقا، والذي احتوت كتاباته على مصطلحات طبية يونانية، حيث تأثرت الثقافة الفلسطينية في تلك الفترة بالحضارة اليونانية (300 ق.م. - 100 م). وقد عُرِف في تلك المدّة الطبيب الفلسطيني "طيماوس" والذي كان من أوائل شارحي كتب أبقراط الطبية. واستمر التأثرُ بالطب اليوناني بعد الفتح الإسلامي لفلسطين (637 م). وظهر في العهد الإسلامي الطبيب الفلسطيني بولس بن حنون والذي عاش في القرن التاسع الميلادي. ولعل أشهر الأطباء الفلسطينيين في تلك الفترة التي سبقت الحروب الصليبية هو محمد بن أحمد بن سعيد التميمي والذي يرجَّحُ أنه توفي عام 980م وكان

مبرزًا في الطب والصيدلة وألَّف كتاب "المرشد" الذي يُعتبر من المراجع الطبية الهامة في عصره.

أما في الحقبة الصليبية التي بدأت باحتلال القدس عام 1099م فقد استعان ملوك الفرنجة بالأطباء الفلسطينيين مثل الحكيم أبو سليمان بن داود المقدسي. واهتم الأيوبيون الذين خلفوا الصليبيين بالصحة والطب بشكل عام. ومن أشهر أطباء العصر الأيوبي في فلسطين (1178- 1250 م) موفق الدين يعقوب بن صقلاب، المعروف بالمشرقي النصراني، والذي أشرف على البيمارستان الصلاحي. وتبعهم في ذلك المماليك والذين امتد حكمهم من 1250- 1516 م. ومن الأطباء المعروفين في العصر المملوكي محمد بن حسن الكردي ويوسف بن هلال الصفدي.

أما في العهد العثماني الممتد من 1516- 1917م فقد كان الاهتمام بالصحة والطب أكبر، وكان في مدينة القدس طوائف للأطباء والجراحين والكحالين (أطباء العيون)، والحجّامين، والبياطرة. وتحتوي سجلات المحاكم الشرعية على أسماء العديد من المشتغلين في التخصصات المذكورة، ومن أشهر الأطباء في فلسطين في القرن الثامن عشر إبراهيم بن حبيب الصبّاغ في عكا، وكان الطبيب الخاص لظاهر العمر الزيداني، والطبيب محمد الريّس الغزّي. وبشكل عام كانت أحوال الصحة العامة في فلسطين غير مُرْضية بسبب الفقر، وعدم توافر خدمات طبية كافية، إضافة إلى عدم وجود شبكة صرْف صحي، وعدم توافر كميات كافية من المياه النظيفة.

وقد حاولَتِ الدولة العثمانية في العقود الأخيرة من حكمها توفير بعض الخدمات فأنشأت دائرة للصحة في القدس سنة 1880م، وبدأت بإنشاء شبكة صرف صحي. ثم تميزت مدّة الاحتلال البريطاني بإدخال الطب الغربي إلى فلسطين، وتطوير نظام دقيق لتسجيل الأمراض ومسببات الوفاة، وكذلك مكافحة الملاريا عن طريق تجفيف المستنقعات وأماكن تكاثر البعوض الناقل لها. وبرز في تلك المدة بعضُ الأطباء الفلسطينيين الذي عاصروا أواخر العهد العثماني وتعلموا الطب الغربي مثل توفيق كنعان، وكامل الحسيني، وداود بولص، وحسن الخالدي، وغيرهم.

كانت أمراض وأوبئة العالم القديم منتشرة في فلسطين، ومن أهمها الأمراض المُعْدية كالطاعون، والملاريا، والسُّل، والجدري، والبرص، والتيفوئيد، والتيفوس، وأنواع الحمى المختلفة كالحمى المعوية، واللشمانيا (حبّة أريحا)، والديدان المعوية وغيرها، إضافة إلى مرض الثلاسيميا الوراثي. أما الطاعون فوباء تكرّر حدوثه عبر العصور كافّة بسبب الظروف البيئية والصحية، ومنه طاعون عمواس 639 م، وطاعون 1348م الذي انتشر في العالم القديم ومنه فلسطين، ولعل آخر الحالات المسجلة كانت في يافا والقدس عامي 1922- 1923 م.

ومن أهم الأوبئة التي انتشرت في فلسطين وباء الملاريا، ولكن تجفيف المستنقعات وتوفير العلاج ساهم في القضاء عليه في ستينيّات القرن الماضي. أما السل فكان منتشرًا كذلك، ومن أسباب انتشاره الاكتظاظ السكاني، وسوء التهوية. كما انتشر وباء الكوليرا عام 1827، حيث أشارت بعض التقديرات أنه أصاب نصف سكان غزة ويافا، وبلغ عدد الوفيات منه في القدس 15 وفاة يوميًّا. ويبدو أن هذا الوباء قديم في فلسطين، وتُظهر المراجع انتشاره مرات عديدة في القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث سجلت الحالات الأخيرة منه عام 1971 م. كما انتشر وباء الجذام، وكان المجذومون يقيمون في أماكن محدّدة، فعلى سبيل المثال سمحت السلطات العثمانية بإقامتهم في حارة داخل أسوار القدس سُميت (حارة المبرصين).

أما بالنسبة للزلازل فلا يكاد يخلو عصر من الزلازل. ولعل من أول ما وصل إلينا عنها زلزال عنيف وقع في العصر الروماني، وتحديدا عام 31 ق.م . أما في العهد الإسلامي فقد أوردت المصادر العديد من الزلازل القوية، والتي أدت إلى هدم كثير من البيوت وخراب في المساجد وخاصة المسجد الأقصى والذي تم ترميمه إثرها في العهدين العباسي والفاطمي، وكذلك كنيسة القيامة. وخلّفت تلك الزلازل عشرات الآلاف من القتلى، بل ووصف كلٌّ من ابن العماد الحنبلي، وابن الوردي، ومجير الدين العليمي زلزالًا عظيمًا وقع عام 460 هج/ 1068 م في فلسطين، وبمدينة الرملة تحديدا، أدّى إلى مقتل خمسة عشر ألفًا من أهلها، وأحدث ما يُشبِهُ "التسونامي" عندما غار البحر (أي حدث جزر) مسيرة يوم، ولمّا تبعَهُ

بعضُ الناس لالتقاط السمك والصدف، رجع البحر عليهم فأغرق أعدادًا منهم.

وكذلك كان الحال في العصور الصليبية والأيوبية والمملوكية والعثمانية. أما القرنين التاسع عشر والعشرين فقد شهدا بعض الزلازل، ومنها زلزال 1821م، و1834م، و1837م، و1896م، و1903. ولكن أشهر هذه الزلازل في العصر الحديث كان زلزال 1927م أو ما يسميه العامة (الهزة الكبيرة) حتى أن أهل القدس يؤرّخون بها، فيقولون فلان وُلِد سنة الهزة الكبيرة، وفلانة تزوجت قبل الهزة الكبيرة بسنة. وسجل ذلك الزلزال درجة 5.6 بمقياس ريختر، وأصاب القدس والرملة واللد ونابلس ورام الله وغيرها، وأدى الى وفاة المئات منهم 130 في القدس، و150 في نابلس، كما أدّى إلى إصابة ما يزيد عن ثمانمائة جريحا، وأسفرت عن هدم عديد المباني. كما وقعت زلازل وهزّات أرضية أخرى أقل أهمية في فلسطين في أعوام 1930م، و1937م، و1954م، وكذلك في القرن الحالي الحادي والعشرين في أعوام 2004م، و2011م، و2012م.

أما الجراد، فكان يأتي فلسطين على شكل موجات متباعدة. ومما وصلنا منها موجة عام 1343م، و1484م، و1746م، و1797م، و1865م، و1904م، ولعل أفظع وآخر موجات الجراد الكبرى كانت موجة 1915م، والتي قضت على معظم المزروعات في فلسطين، وشاع النقص في المواد التموينية، وفرضت الدولة على كل رجل يبلغ من العمر 15- 60 عاما، جمع عشرين كيلو غرامًا من بيض الجراد، ومن لم يفعل فيدفع ضريبة الجراد التي بلغت 4.4 ليرة تركية. وفي الأعوام اللاحقة في عشرينات، وثلاثينات القرن العشرين ظهر الجرادُ بكميات محدودة، أما في القرن الحادي والعشرين، فقد ظهرت موجتان خفيفتان عامي 2004م، و2013م، إلا أنه تم القضاء عليهما بالرش الكيماوي من قِبل وزارة الزراعة.

لعل أول نُزُل للمرضى والفقراء والذي يشبه المستشفيات أُسِّس في فلسطين على يد يوهانس هركانوس الأول المتوفى عام 104 ق.م. ووردت إشاراتٌ إلى وجود مستشفيات بدائية في القدس في القرن الرابع الميلادي، أما أول مستشفى حقيقي مخصص ومجهز للعناية بالمرضى فقط فأسسه الإمبراطور جُسْتنيان المتوفى عام 565 م، وتبع ذلك إنشاء

مستشفيات أخرى من قبل بعض الكنائس في العصور المختلفة. كما بنى الفاطميون المستشفى (البيمارستان) الفاطمي في القدس في بداية القرن الحادي عشر الميلادي والذي استمر حتى الغزو الصليبي عام 1099م.

ومن أشهر المستشفيات في الحقبة الإسلامية البيمارستان الصلاحي في القدس الذي بناه صلاح الدين الأيوبي عام 1187م، وتفيد المصادر بوجود بيمارستانات في معظم حواضر فلسطين كعكا، وصفد، والخليل، ونابلس، والرملة، وبعضها استمر حتى العهد العثماني. أما الصليبيون فبنوا بعض المستشفيات مثل مستشفى القديس يوحنا الذي أنشأه فرسان القبر المقدس. كما أنشئت في العهود اللاحقة، أي الأيوبية والمملوكية والعثمانية، المنشآت الصحية الأخرى مثل المستشفيات المتخصصة في بعض الأمراض المُعدية، كمستشفى الجذام، وأماكن الحجر الصحي وخاصة للمسافرين والحجاج، والحمامات العامة كحمام الشفا في القدس. وشهد القرنان التاسع عشر والعشرين إنشاء العديد من المستشفيات كالمستشفى العسكري العثماني، والمستشفى البلدي، والمستشفى الإنجليزي، والفرنسي، والألماني، والإيطالي، واليوناني، والروسي، والمستشفيات اليهودية، ولاحقًا بعض المستشفيات العربية كمستشفى المقاصد، وبعضها ما زال يعمل حتى الآن.

وقد تطوّر الطب في فلسطين عبر تاريخها من طب محلي يعتمد على السحر والأعشاب، إلى مرحلة الطب اليوناني والإسلامي، والذي شكل رافعة للطب الحديث، ورغم ذلك بقي للطب الشعبي المعتمد على الوصفات المجربة، والعطار، والمجبر، والحجام دَورٌ ما في الاستشفاء والعلاج.

التبدلات التي طرأت على الصحة العامة والتصورات المجتمعية عنها ما قبل النكبة وما بعدها:

من الواضح ازديادُ اهتمام الفلسطينيين بالصحة عبر انشاء المشافي وتوفير المياه والصرف الصحي في نهايات العصر العثماني واستمراره عبر مدة الاحتلال البريطاني. ومما يدل على ذلك زيادة عدد وتنوع المنشآت الصحية، وأعداد الفلسطينيين المؤهلين كأطباء وصيادلة وممرضين. وقد استمرت النهضة الفلسطينية التي بدأت في نهاية القرن التاسع عشر مع زيادة الاهتمام بالتعليم، والصحة، والتجارة، وإنشاء

المرافق العامة حتى ما قبل النكبة. وحين حلّت النكبة وهُجِّر كثير من الفلسطينيين من بيوتهم تحت وطأة الاحتلال، نَشِطَ كثيرٌ من الأطباء لمساعدة اللاجئين. كما تم تأسيس وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين لتكون مسؤولة عن صحة اللاجئين الفلسطينيين في فلسطين ودول اللجوء الرئيسة كالأردن، ولبنان، وسوريا. رَغم النكبة واستمرار معاناة الفلسطينيين فقد تمكنوا من النهوض بالقطاع الصحي والصحة العامة بشكل لافت، فعلى سبيل المثال انخفض معدل وفيات الرُّضع مما يقارب 200 وفاة/ 1000 ولادة حية عام 1927 في مدة الاحتلال البريطاني، إلى 11 وفاة / 1000 ولادة حية عام 2015، وهذا مؤشر متين على تحسن صحة الفلسطينيين خلال المدّة المذكورة. ومن الواضح أن الأمراض الرئيسة والمسببة للوفاة في فلسطين في بداية القرن العشرين كانت أمراضًا مُعدية، ولعل أهمها الملاريا والسل والحصبة. أما في منتصف القرن وتحديدا في عام 1945 فقد ذكر في التقرير السنوي لدائرة الصحة الفلسطينية أن أهم أسباب الوفاة كانت الالتهاب الرئوي، والأمراض المعوية، وأمراض القلب. أما في نهاية القرن العشرين فقد برزت الأمراض غير المُعدية كأمراض القلب، والسرطان، والأوعية الدماغية كأهم مسببات الوفاة، وهذا مؤشِر على التحول الوبائي الذي تمر به فلسطين.

لعل أهم ما يميز الصحة العامة اليوم في فلسطين هو التحول الوبائي الذي أدى إلى بروز الأمراض غير المعدية، كأمراض القلب والسرطان والسكري كأهم مسببات العبء المَرضي والوفيات، مقارنة بالأمراض المُعدية والتي كانت تحتل هذه المرتبة سابقا. كما تتميز فلسطين بنسبة عالية جدًّا من التطعيم لا تقل عن 95% في معظم الأمراض المُعدية، الأمر الذي يقلل من حدوث تلك الأمراض وانتشارها. كما يبرز تحسن متوسط العمر من 68.1 عاما سنة 1990 إلى 73.1 عاما سنة 2015. وكذلك الحال بالنسبة لمعدل وفيات الأطفال دون خمس سنوات من العمر والذي انخفض من 24.6 وفاة / 1000 ولادة حية عام 2005 إلى 13.9 وفاة / 1000 ولادة حية عام 2015. أما بالنسبة لمعدل الوفيات العام فلم يتغير كثيرا حيث بلغ 2.7/ 1000 عام 2005 و2.9/ 1000 عام 2015.

بشكل عام، فالإحصائيات المذكورة تعكس تقدُّم الخدمات الطبية، والوضع الاقتصادي، والوعي الصحي للشعب الفلسطيني.

في شهر آذار من العام 2020 فوجئت فلسطين كغيرها بوصول وباء الكورونا (كوفيد 19) إليها. كان عدد الحالات المسجلة في البداية قليلا، ثم أخذ بالارتفاع، وبالمجمل تمكّنت فلسطين من التعامل معه، وتوفير اللقاح بطريقة معقولة، رَغم أنه كشف هشاشة الخدمات الصحية، وقلة الموارد المتوافرة لها.

من المهم أيضًا بيان أن الشعب الفلسطيني يعاني من العنف الذي يمارسه الاحتلال، والذي ينعكس جسديًّا ونفسيًّا على السكان، وخاصة الفئات الأضعف كالأطفال والنساء. وبرغم كل ما ذُكر، فقد حقق الفلسطينيون إنجازات مميزة في المجال الصحي، مثل توفير التأمين الصحي لشريحة معقولة من السكان، والتحسن المستمر في الصحة العامة. ولعل أهم التحديات الصحية التي يواجهها الشعب الفلسطيني الآن هو الحصول على حقِّه في المياه، والسيطرة على حدوده وموارده الطبيعية، والتحرر من الاحتلال، وهي جميعًا من المحددات الاجتماعية والسياسية الأساسية للصحة.

المراجع العربية الرئيسة:

- بركات، بشير، 2016. تاريخ الكوارث في بيت المقدس. دمشق: دار المقتبس.
- العسلي، كامل، 1994. مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى 1918. عمان: منشورات الجامعة الأردنية.
- وزارة الصحة الفلسطينية، 2016. التقرير الصحي السنوي لعام 2015. رام الله: وزارة الصحة.

المراجع الإنجليزية الرئيسة:

- Kligler I. Public health in Palestine. Ann Am Acad Pol Soc Sci 1932; 164**:** 167–77.
- Masterman EW, 1920. Hygiene and disease in Palestine in modern and biblical time. London: Palestine exploration fund.
- Department of Health (DoH), 1946. Annual health report 1945. Jerusalem: Government printing and stationery office.
- Abdul Rahim HF, Wick L, Halileh S, et al. Maternal and child health in the occupied Palestinian territory. *Lancet* 2009; published online March 5. DOI:10.1016/S0140-6736(09)60108-2.
- Giacaman R, Khatib R, Shabaneh L, et al. Health status and health services in the occupied Palestinian territory. *Lancet* 2009; published online March 5. DOI:10.1016/S0140-6736(09)60107-0.

بسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم
تمهيد

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على مُحَمَّدٍ سيِّدِ الأوّلين والآخِرين. وبعد، فقد أبدى بعضُ الكرام، ومن الأكاديميين خاصّة، رغبَتَهم باقتناء نُسخٍ من هذا الكتاب، ممّا دفع مؤسّسة دار الطفل العربي إلى إصدار هذه الطبعة المنقّحة منه.

لقد وقعتْ كوارث عِدَّة بمختلَف الأنواع في بَيْتِ المَقْدِس عَبْرَ العُصور. وحيث تتناثر أخبارُها في بعض المطبوعات والمخطوطات وسجلّات محكمة القدس الشرعية، فقد رأيتُ جمعَها وتحليلَها في هذا الكتاب، عسى أن تكون مَرْجِعًا لطالبيها من ذوي الاختصاص. والله المُوَفِّق.

ولم أتطرَّقْ إلى الكوارثِ نادرَةِ الحدوث، ومنها تكاثرُ الفئران وسطْوُها على المحاصيل الزراعية، كما حدَث في سنة 828هـ/1424م؛ قال الجزيري (ت 977هـ/1569م)، رحمهُ الله: ‹وفي هذه السَّنة، كانت وقْعةُ الفأر باللَّجون، من طريق الشام، وكان قد كَثُر فراخُه، ...، وتسلَّطَ الفأر على زَرْع الناس، وتضرَّروا من ذلك كثيرًا›. (الدرر الفرائد المنظمة، 1/ 445). وقيل إن الفئران ظهرت آنذاك في غزَّة والرملة وبَيْتِ المَقْدِس أيضًا، فأدَّى ذلك إلى غلاءِ أسعارِ الحبوب، حتى وَصل ثَمنُ الغرارة[١] الشاميَّة إلى أكثر من عشرين دينارًا[٢].

وقد تناولتُ في هذا الكتاب الكوارثَ التي كانت أكثر انتشارًا في ديارنا، وهي الأوْبِئَة والزَّلازل والجراد والقَحْط والبرْد والفَيَضان. وكانت تلك الكوارث تُسْفِر عن مصائب أخرى. فبعد الزَّلازل كان البعضُ يَهجُرون ديارهم بعد دمار منازلهم، بينما يبدأ آخرون في إزالة الأنقاض وإجراءات الترميم أو في إعادة البناء لسنواتٍ طويلة.

وسنرى رُدودَ فِعْلِ الأَسِتانةِ إزاءَ وُقوعِ كوارث في الولاياتِ التابعَةِ لها. ومن ذلك تأخُّرُ هطولُ الأمطارِ في فَصْلِ الشِّتاء عام

---

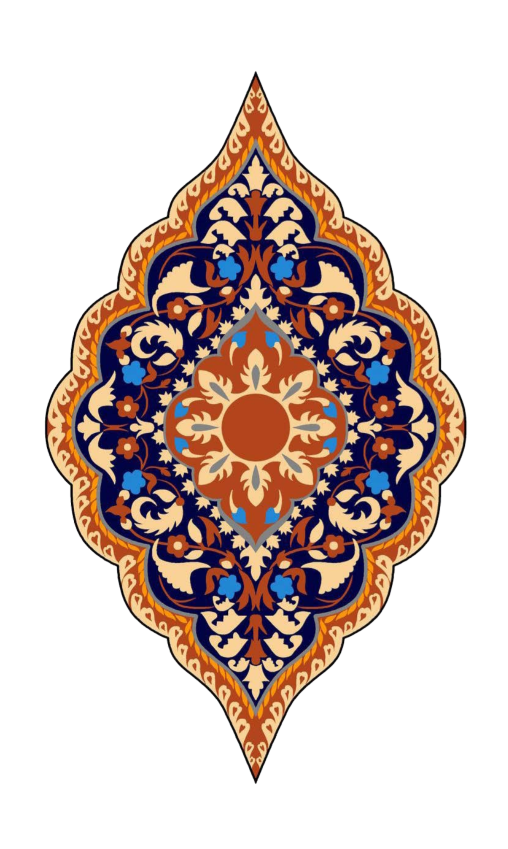
[١] الغرارة مكيال للحبوب، يتَّسِع لحوالي 600 كغم من القمح.

[٢] العوامل المؤثِّرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشَّام، ص ٢٩١. نقلًا عن: العيني، عقد الجمان، حوادث وتراجم (824- 850هـ)، ص 253، وعن: ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص 71.

١٢٠٠هـ/١٧٨٥- ١٧٨٦م، وما تبعَهُ من قَحْطٍ مُدْهِش. فأرسلت عاصمةُ الدولة سُفُنًا 'كلُّها غِلالٌ من جَميع الحبوب، إلى أن طمَّت البلادَ جميعًا'.

وقد استخدمتُ لفظَ "سَنة" أكثر من لفظِ "عام" في هذا الكتاب، لأن "العام" يُذكَر غالبًا عند انتشار الخيرات، بينما تَقترن "السَّنة" عادةً بالبلاء أو الشِّدَّة، مع الإشارة إلى أنَّ هذه ليست قاعدةً ثابتة، حيث يَرِد عكسُها أحيانًا.

وكَتبَهُ: بشير بركات
في بَيْتِ المَقْدِس
في ١٧ جمادى الأولى ١٤٤٤هـ



الأوْبِئَة

انتشَرَت أوْبئةٌ عدَّة في بَيْتِ المَقْدِس عَبْرَ العُصور. وقد ساهمَتْ عوامل عِدَّة في ذلك، فمنها تَلاصُقُ المباني، وارتفاعُ نسبة الرُّطوبة فيها وفسادُ هوائها. وكانت الدُّور تكتظُّ بالسُّكان، فيَضطرُّ أشخاصٌ عِدَّة إلى المَبيت في غرفةٍ واحدة، فكان ذلك يؤدّي إلى إصابتهم جميعًا بأيّ مرضٍ مُعْدٍ يصيبُ أحدَهم.

ومن ناحيةٍ أخرى، كان الاعتقادُ بالخُرافات المتعلّقةِ بالأوْبِئَة محدودًا في بَيْتِ المَقْدِس في العُصور الوسطى، كغيرها من بلدان الشَّرق، بخلافِ ما كانت عليه أوروبا، كالاعتقاد بأنَّ سببَ انتشار وباء الطَّاعون هو سِحرٌ أتَتْ به امرأةٌ أو قِطَّة.

وقد نشر أحدُ أطباء القدس بحثًا حولَ أسبابِ انتشار الأوْبِئَة في المدينة في أواخر العهد العثمانيّ، يأتي ذِكرُهُ عند الحديث عن وباء السُّل.

وباءُ الطَّاعون

كان الطَّاعون أشدَّ الأوْبِئَة فتْكًا بالبشر، لذا أُطلِقَ عليه في بعض المصادر "الفَناء"، أو "الوَباء" فحسب. وكان النَّاس من مُخْتلَف الأجناس، وفي الأقطار كافَّة، يخشونَه أكثرَ من أيِّ وباءٍ آخَر. وهو مرضٌ بكتيريٌّ، يُصيبُ الفئران في البداية غالبًا، ثم يَنتقلُ عبْر البراغيثِ إلى الإنسان، فيُصيبه بالتهاباتٍ وآلامٍ مرعبةٍ.

ويُقسِّمُ الأطباءُ الطَّاعونَ إلى ثلاثةِ أنواع: دُمَّليّ وتَسَمُّمِيّ ورِئويّ. وتطولُ فترةُ حضانتِه في النَّوعَيْن الأولَيْن، بينما تمْتدُّ في النوع الثالث من يومٍ واحدٍ إلى ستَّة أيامٍ فقط، وهو أخطرُها، لسرعةِ انتشاره.

وقد بيَّنت أحكامُ الشَّريعة المطهَّرة كيفيَّةَ مواجهةِ انتشارِ الطَّاعون، وذلك بمحاولةِ حصرِه في البؤرة التي يقعُ بها. فقد ورد في الحديث النَّبوي الشَّريف 'أنَّ رسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم، قال في غزوة تبوك: إذا وقعَ الطَّاعونُ بأرضٍ وأنتم بها، فلا تَخرجوا منها، وإذا كان بأرضٍ ولستم بها، فلا تَقربوها'[٣].

ويُعدُّ طاعونُ عُمواس، الذي أصابَ الفاتحين المسلمين عام 18هـ/639م، أشهرَ طاعونٍ وقعَ في فلسطين منذُ الفتح الإسلاميّ، ليس لارتفاعِ عددِ ضحاياه فحسب، بل لوفاةِ عددٍ من مشاهيرِ الصحابةِ والفاتحين فيه. وكان قد بدأ في قريةِ عُمواس ثم انتشر في بلاد الشَّام. وكان سيدنا عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللهُ عنه، يَهُمُّ بالسَّفر إلى الشَّام، فنصحَهُ عبد الرَّحمن بن عوف، رضي اللهُ عنه، بالعدول عن ذلك، مُذكِّرًا إيّاه بالحديث النَّبويّ الشَّريف المذكور آنفًا، فعاد إلى المدينة. وقيلَ إنَّ السَّبب في وقوعه كان انشغالُ الفاتحينَ بالقتالِ عن دفنِ قتلى الرُّوم، مما أدَّى إلى نشوء الوباء. وكان من بين الذين تُوُفُّوا به: أبو عبيدة الجرَّاح ومعاذُ بن جَبَل وشرحبيل بن حَسنة والفضلُ بن العباس، رضي اللهُ عنهم أجمعين[٤].

انتشارُه في العهد المملوكيّ

انتَشر الطَّاعون في بَيْت المَقْدِس وجِوارِها مرّاتٍ عدَّة خلال العهد المملوكيّ. ففي سنة 749هـ/1348م تَسبَّب الطَّاعون في أحدِ أكبر الكوارث البشرية، حيث قضى على ربع سكان العالم تقريبًا. فقد انتَشرَ الوَباء في أنحاء أوروبا كافَّة، ثم وصلَ إلى مصر[٥]، ومنها إلى غزَّة وباقي فلسطين والشَّام، فكان النَّاس يهربون منه شمالًا، فيموت أكثرُهم في الطَّريق. ثم انتَشر في الأناضول والعراق والحجاز واليمن.

[٣] أخرجَهُ أحمد والطحاوي والبغوي، رحمهم الله، وإسنادُه صحيح. (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، 8/ 141).

[٤] الكامل في التاريخ، 2/ 560-558.

[5] The Epidemics of the Middle Ages, p. 2-13.

ومِمّن توفِّيَ به محمد بن يونس بن فتيان الكِناني المقدسي، الذي سَمِعَ الحديثَ الشريف على علي بن منصور بن أيوب، بالمسجد الأقصى في رمضان 738هـ/1338م، وعلى الكازروني عام 740هـ/1339م. ثم رحل إلى دمشق وتوفِّيَ فيها بالطاعون[٦].

وقال ابنُ بطوطة، عندما كان في حلب: ’وفي أوائل شهر ربيع الأول، عام تسعة وأربعين، بلغنا الخبرُ في حلب، أنّ الوباء وقع بغزّة، وأنه انتهى عددُ الموتى فيها إلى زائدٍ على الألف في يومٍ واحد. فسافرتُ إلى حِمص، فوجدتُ الوباء قد وقع بها، ...، ثم سافرتُ إلى عجلون، ثم إلى بَيْت المَقْدِس، ووجدتُ الوباء قد ارتَفع عنهم، ولَقيتُ خَطيبهُ[٧] عزَّ الدين بن جماعة[٨]، ...، وصنَعَ الخطيبُ عزُّ الدين يومًا دعْوةً[٩]، ودعاني فيمن دعاهُ إليها، فسألتُه عن سببها، فأخبرني أنه نَذرَ أيام الوباء أنّه إن ارتَفع ذلك، ومَرَّ عليه يومٌ لا يُصلّي فيه على ميّتٍ، صَنَعَ الدعْوة. ثُمَّ قال لي: ولمّا كان بالأمس لم أُصلِّ على ميِّتٍ فصنَعتُ الدعوة التي نَذرتُ. ووجدتُ [أي ابن بطوطة] مَنْ كنتُ أعهدُه مِنْ جميع الأشياخ بالقدس قد انتَقلوا إلى جوار الله تعالى، رَحمهم الله. فلم يَبق منهم إلا القليل‘[١٠].

وقال ابنُ إياس: ’ومن الحوادث في هذه السَّنة، أنَّ الفَناء وقع بالدِّيار المصرية وعمَّ سائرَ البلاد، فكان يُخْرَجُ من القاهرة في كل يومٍ ما يَنوفُ عن عشرين ألف جنازة... ولم يُسمَع بمثل هذا الطَّاعون في صدر

---

[٦] مخطوطات المدرسة العمرية في المكتبة الظاهرية، مجموع رقم 51، 157ب، مجموع رقم 63، 135ب. مخطوط في مكتبة جامعة لايبْسِغ، رقم 1846، 1أ. المعجم المختص، ص 268. الدرر الكامنة، 4/ 317 (858).

[٧] أي خطيب المسجد الأقصى.

[٨] لعله يقصدُ برهانَ الدين [وليس عز الدين] إبراهيم بن عبد الرحيم بن جماعة (725 - 790هـ/1325 -1388م)، خطيب المسجد الأقصى، وصاحب المنبر الشهير في صحن الصخرة. وكان معاصرًا لابن عمِّه عز الدين مُحَمَّد ابن أبي بكر بن جماعة (759 - 819هـ/1357 -1416م)، قاضي القضاة بمصر. ولم أقع على ذِكرٍ لخطيب يُدعى "عز الدين بن جماعة" في بيت المقدس في العام المذكور؛ 749هـ/1348م. ويأتي تفصيل ذلك في "موسوعة مشاهير بيت المقدس"، إن شاء الله تعالى.

[٩] أي وليمة.

[١٠] تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، 2/ 505.

الإسلام... ومات فيه من النَّاس ما لا يُحصَى عددُهم، من مسلمٍ وكافرٍ، وكانت قوَّة عمَلِه في بلاد الفِرنج... ودخل إلى مكَّة'[١١].

وتَذكُرُ بعض المصادر أنَّه كان رِئويًّا، في أوروبا ومصر على الأقل، ولا شكَّ أنَّ ذلك ساهمَ في انتشارِه بسرعةٍ وبشكل مُروّع. فقد فَنِيَت الحيوانات في منطقة غزَّة خلال ستَّة أسابيع، وفَنِيَ سكانُ قبرص كلُّهم تقريبًا، وكانت السُّفن تجري في البحر الأبيض المتوسط ولا أحياءَ على مَتنِها، وقُدِّر عددُ الذين تُوُفُّوا بسببه في الشَّرق بأكثر من ٣٢ مليون نسمة، وفي أوروبا بحوالي 25 مليون نسمة[١٢].

وانتَشر الوَباءُ في بَيْتِ المَقْدِس سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، حيث ذَكرَ ابنُ حامِد خلالَ حديثِه عن الشَّيخ محمد بن إسماعيل القرقشندي: 'والظاهرُ أنه مات مَطعونًا'، ومِمّا يعزِّزُ ذلك أنّ المُسْنِدَةَ غزال، عَتيقَةَ الشيخ إسماعيل القرقشندي وأمَّ ولده، توفِّيتْ في العام المذكور أيضًا[١٣].

وانتَشرَ في سنة 827هـ/1424م، حيث كان من بين الذين تُوفُّوا به: الشيخ شرف الدِّين القرقشندي[١٤].

وانتشر سنة 841هـ/1438م، وكان من بين الذين تُوفُّوا به: الشيخ شمس الدِّين الجعبري في مدينة الخليل[١٥]. وانتشر في الدِّيار المصريَّة أيضًا[١٦].

وفي سنة 873هـ/1469م 'وقَعَ الوَباءُ بالطَّاعون في جميع المملكة. ودخلَ إلى بَيْت المَقْدِس في أوائل شهر ذي القعدة، [أواسط أيار 1469م]، واشتدَّ أمرُه وكَثُرَ من العشر الثالث من ذي القعدة إلى أواخر ذي الحِجَّة.

---

[١١] بدائع الزهور في وقائع الدهور، 1/ 164-163.

[12] The Epidemics of the Middle Ages, p. 4, 21, 29.

[١٣] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢/ ١٦٦. ثَبَت النَّدْرومي، ص ٣٩أ، ٥٠ب.

[١٤] هو شرف الدِّين موسى بن مفتي العراق برهان الدِّين إبراهيم بن القرقشندي الشَّافعي. كان قاضيًا في القدس عام 815هـ/1412م، وكان يجلس في المدرسة الظَّاهرية. تُوفِّي بالطَّاعون في 20 شعبان 827هـ، ودُفن بمقبرة ماملا. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 129).

[١٥] هو مُحَمَّد بن نور الدِّين علي بن مُحَمَّد الجعبري، وُلد سنة 756هـ، وسَمِع من أبيه وعمِّه الشيخ عمر وغيرهما، وَولي مشيخة الزَّاوية البكائية في الخليل. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 156).

[١٦] حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 2/ 308.

وفي ليلةِ عيدِ الأضحى غُسّل الأمواتُ في الليل، وحُمِلوا وقت الصُّبح إلى صحن الصَّخرة الشَّريفة، وصُلِّيَ عليهم عقِبَ صلاة الصُّبح، وحُمِلوا إلى التُّربة قبل صلاة العيد. وكانت سنةً شديدةً لِما حصلَ فيها من الجدبِ والغلاءِ والوَباءِ والفتنِ والخلف [أي الخلاف] بين الحُكَّام والأكابر'[١٧].

وكان من بين الذين تُوفُّوا به في بَيْت المَقْدِس: الشيخ شمس الدِّين مُحَمَّد بن عبد الرَّحمن العُلَيْميّ الحنبلي[١٨]، والشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب الشَّافعي[١٩]، والشيخ شهاب الدِّين أحمد بن شجاع الدِّين الرُّوميّ[٢٠]، وكذلك الشيخ حمزة بن أحمد الحسيني الدِّمشقي، فبعد انتشار الطَّاعون في موطنه دمشق سنة 873هـ، لَجأ إلى بَيْتِ المَقْدِس، فمرِض بها وتُوفِّي، ودُفنَ في مقبرة ماملّا[٢١].

وفي سنة 881هـ/1476م 'دَخلَ الوَباءُ بالطَّاعونِ حتى عمَّ جميعَ المملكة. وكان دخولُه بَيْتَ المَقْدِس في أوائل رجب، [أواخر تشرين الأول 1476م]. واستمرَّ مُدَّةً طويلةً، ولم يَزَل الطَّاعون بالقدس إلى مستَهَلِّ ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين، وأفنى خَلقًا من الشَّباب والنِّساء وأهل الذِّمَّة، ولم يكُن طالَ ببلدةٍ من البلاد أكثرَ من بَيْتِ المَقْدِس. فسبحان القادر على ما

[١٧] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 286.

[١٨] هو شمس الدِّين مُحَمَّد بن عبد الرَّحمن بن مُحَمَّد العمري العُلَيْميّ الحنبلي، والد صاحب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. وَلِي قضاء الرَّملة. وتُوفي بالطَّاعون فيها، بعد أذان الظهر، من يوم الثلاثاء، في الرابع من شهر ذي القعدة. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 265).

[١٩] 'كان من أعيان علماء بيت المقدس والمعِيدين بالمدرسة الصَّلاحية. وكان يَكتب على الفتوى عبارة حسنة. انتفع الناس به... تُوفّي في يوم الثلاثاء، سادس عشر ذي الحجَّة سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة بالطَّاعون، ودُفن بالسَّاهرة وكانت جنازته حافلة'. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 192).

[٢٠] هو شهاب الدِّين أحمد بن شجاع الدين إلياس بن عمران الرُّومي الحنفي. تُوفّي في حياة والده بالطَّاعون، في شهر ذي الحجَّة. ودُفن في مقبرة باب الرَّحمة. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 235).

[٢١] ولد في دمشق، وتلقى علوم الشَّرع فيها وفي مكَّة والقاهرة. له عدَّة مصنَّفات منها "فضائل بيت المقدس". (الضوء اللامع، 3/ 163. الأعلام، 2/ 276).

يشاء"[22]. وكان مِن بين الذين تُوُفُّوا به: الشيخ شهاب الدِّين أحمد بن مُحَمَّد الحلبيّ الكردي[23].

وفي سنة 897هـ/1492م "دخلَ الوَباءُ بالطَّاعون حتى عمَّ جميع المملكة، وابتدأ بالقدس الشَّريف في عشرين جُماد الآخِر، [18 نيسان 1492م]، واستمرَّ إلى آخر رَجَب [26 أيار 1492م]، يبلُغُ عددُ الأموات في كل يومٍ إلى ثلاثين وأربعين. وفي يوم الجمعة، حادي عشرين رجب، نحو الخمسين، وهي أول جمعةٍ ظَهرَ فيها كثرةُ الأموات. واشتدَّ الأمرُ في شهر شعبان، فبلَغ العددُ في كل يومٍ فوق المائة، وقيلَ إنه بَلَغَ في اليوم إلى المائةِ وثلاثين. وبلَغَ العددُ بمدينة سيدنا الخليل، عليه الصَّلاة والسَّلام، في دون الخمسين"[24].

وكان ممَّن تُوُفُّوا به: الأمير خضر بك، ناظرُ الحرَمين الشَّريفين ونائب السَّلطنة، فقد وَلِي النيابة في بَيْتِ المَقْدِس للمرّة الثانية سنة 896هـ/1491م، حيث "باشر مباشرةً حسنةً، وأظهر العدل في الرَّعيّة، واستَعطَف خواطر النَّاس، وشَرَع في سلوك طرق الرِّياسة. واستمرَّ على ذلك إلى أن دخل الوَباء، فتَطَيَّرَ من ذلك، وخرجَ من مدينة القدس إلى ظاهرِها، وأقامَ بالكروم أيامًا، وأظهرَ الخوفَ الزَّائد. فأَنكرَ النَّاس عليه ذلك، فدَخل إلى المدينة وأقامَ يسيرًا. وتُوفِّيَت ابنةٌ له، ثم بعد يومَين أو ثلاثة تُوفِّيت زوجتُه، ثم بعد وفاتِها بنحو ستَّة أيامٍ تُوفِّيَ هو، وصُلِّيَ عليه بالمسجد الأقصى، بعد صلاة الظهر من يوم الأحد، الحادي والعشرين من شعبان، ودُفِنَ بتُربةِ ماملا"[25].

"واستمرَّ الوَباءُ بالقدس في قُوَّتِه إلى سَلْخِ[26] شعبان، وأَفنَى خلقًا من الأطفال والشَّباب، وأَفنَى طائفةَ الهنود عن آخرهم، وكذلك الحَبَش، ومات

---

[22] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 318.

[23] هو "شهاب الدِّين أحمد بن مُحَمَّد الكردي الحلبي البُسطامي الشَّافعي، شيخُ البسطامية بالقدس الشَّريف... من جملة الفقهاء بالمدرسة الصَّلاحية، والصُّوفية بالخانقاه. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 198-197).

[24] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 361-360.

[25] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 361.

[26] سلخ الشهر، أي آخِره.

جماعةٌ من الأخيار الصَّالحين'[27]. فكان منهم الشَّيخ عبد السَّلام بن أبي بكر الرَّضيّ الكَركي[28]، والشيخ محبُّ الدِّين أحمد بن برهان الدِّين الكنانيّ[29]، والشيخ جبريل الكردي الشَّافعي[30]، والشيخ يوسف السُّليماني الحنفيّ[31]، والشيخ علي الجزولي المالكي[32]، والشيخ صالح موسى المغربيّ[33]، والشيخ إسحاق الجَبَرْتِيّ[34]، والشيخ شهاب الدِّين أحمد بن عبد الرَّحمن الخليليّ التَّاجر[35].

'وكان ارتفاعُ الوَباءِ من القدس الشَّريف في أواخر شهر شَوّال، بعد إقامتِهِ بها نحو أربعةِ أشهرٍ وعشرة أيام. وبلَغَ عددُ الأمواتِ بالقاهرة

---

[27] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 361.

[28] 'وُلد بمدينة الكرك، ونشأ بها. وكان على مذهب الإمام الشَّافعي. ثم قَدِمَ إلى بيت المقدس في شهور سنة ست وسبعين وثمانمائة، وانتقل إلى مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة... ودأبَ وحصل وتفنَّن في العلوم، وتصدَّر للإفتاء والتدريس... تُوفيَّ، رحِمَهُ الله، في يوم الجمعة، ثامن عشري شهر رَجَب سنة سبع وتسعين وثمانمائة، بالطَّاعون، وصُلِيَ عليه بالمسجد الأقصى بعد صلاة العصر، وحُمِلَ تابوته على الرؤوس، ودُفِنَ بماملا'. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 241).

[29] وهو محب الدِّين أحمد بن برهان الدِّين إبراهيم بن جماعة الكناني الشَّافعي. كان خطيبًا في المسجد الأقصى. تُوفي بالطَّاعون يوم الاثنين، السابع من شهر رمضان. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 142).

[30] 'كان من أهل الفضل، ومن أصحاب شيخ الإسلام الكمالي ابن أبي شريف'. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 361).

[31] كان 'نائب إمام الصَّخرة الشَّريفة. وكان من أهل الخير والصَّلاح والفضل في مذهب أبي حنيفة'. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 362-361).

[32] كان 'نائب إمام المالكية بالمسجد الأقصى، وكان من أهل الخير والصَّلاح، حافظًا لكتاب الله تعالى. وكان يَؤُمُّ بجامع المغاربة'. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 362).

[33] 'كان عبدًا صالحًا... يجتمِعُ عندَه أهلُ الخير، يتلون كتاب الله'. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 362).

[34] 'كان عابدًا زاهدًا منقطعًا إلى الله تعالى في الخلوة التي بصَدر جامع النساء، بداخل المسجد الأقصى'. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 362).

[35] 'كان رجلًا من أهل القرآن، يُتْقِنُهُ بالرِّوايات، وأجازهُ الشيخُ شمس الدِّين بن عمران. وكان حسنَ الصَّوت، طيب النغمة بالقراءة... وكانت وفاته في الحادي والعشرين من شعبان'. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 362).

المحروسة في كل يومٍ أكثَرَ من عشرين ألفًا، وبدمشق في كل يومٍ ثلاثة آلاف، وبحلب في كل يومٍ ألف وخمسمائة، وبغزَّة في كل يومٍ نحو أربعمائة، وبالرَّملة في كل يومٍ نحو المائة وعشرة. ولم يمكث في بلدةٍ من البلاد أكثرَ من بَيْتِ المَقْدِس. فسبحان من يتصرَّف في عباده بما يشاء'[٣٦].

انتشارُهُ في العهد العثمانيّ

وانتشرَ الطَّاعون في بَيْت المَقْدِس وجوارها مرّاتٍ عدَّة خلال العهد العثمانيّ أيضًا. وكان ينتقلُ إليها من دمشق أو القاهرة أو الأسِتانة. وتمَّ توثيق ذلك في سجلّات المحكمة وبعض كتُبِ التَّاريخ.

فقد ذَكر الجزيريُّ أنَّ الطَّاعون لما انتشر بمصر في جمادى الآخِرة 969هـ/شباط 1562م، 'قصَدَ بعضُ الأكابر أن يُجَهِّز أولاده، وكذلك جمْعٌ من اليهود والنَّصارى إلى جهة القدس والطُّور، فمنَعَهم الباشا[٣٧] من ذلك، ويُقال إنه جَعَلَ على كل آدميٍّ خرَجَ من مصر هربًا من الطَّاعون، من جنس اليهود والنَّصارى دينارًا ذهبًا، وإلا فلا يأْذَن لنفرٍ من طائفتهم في السَّفر'[٣٨]. وتعاظمَ انتشار الوَباء في شَوّال 969هـ/حزيران 1562م، 'ورَحَل مِن القاهرة هربًا منه خلقٌ لا تُحصى، ومن اليهود ومن النَّصارى، وبلغني أنَّ الطَّاعون عَمِل في الفارّين بغزَّة والقدس وجبل إطفيح، وغير ذلك'[٣٩].

وانتشر الطَّاعون بالقدس في المُدَّة 980- 982هـ/1573- 1574م، حيث ثبتت إصابةُ بدر الدِّين بن إبراهيم بن الأسود، الذي كان مسجونًا بقلعة القدس بالطّاعون في 17 ذي الحجَّة 980هـ/1573م[٤٠]، وتُوفِّي وأخوه أحمد به في 14 صَفَر 981هـ/1573م[٤١]. ثم تُوفِّي مُحَمَّد بن أحمد بن الأسود به مسجونًا أيضًا في 16 ربيع الأول 981هـ/1573م[٤٢]. ويشيرُ

---

[٣٦] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 363.
[٣٧] عندما تُطْلَقُ كلمةُ "الباشا" مُنْفَرِدَةً يُقْصَدُ بها: الوالي العثماني.
[٣٨] الدرر الفرائد المنظمة، 1/ 647.
[٣٩] الدرر الفرائد المنظمة، 1/ 651.
[٤٠] س ش 55/ 416، 17 ذي الحجَّة 980هـ. ["س ش" تعني، أينما وردتْ في هذا الكتاب: سجل شرعي في محكمة القدس].
[٤١] س ش 55/ 458، 14 صَفَر 981هـ.
[٤٢] س ش 55/ 643، 16 ربيع الأول 981هـ.

تأخُّرُ وفاتِهم إلى أنَّ هذا الطَّاعون لم يكن رِئويًّا، والله تعالى أعلم. ثم إنَّ 'أحمد بن أبي زيد، أمين خواص قدس شريف[٤٣]، تُوفِّي بعارض الطَّاعون بغرفته بخان العمارة العامرة'[٤٤]، في 12 جمادى الآخِرة 982هـ/1574م، ثم 'كُشِفَ عليه، فوُجِدَ تحت إبطِه الأيسر طاعونٌ نافرٌ، بإخبار الشيخ عماد الدِّين الطَّبيب ومُحَمَّد بن أحمد الجرَّاح، من مُستحفَظي القلعة'[٤٥]، ولعل هذه الحالة تؤكِّد أنَّ هذا الوَباء كان دُمَّليًّا.

وبعد انتشار الطَّاعون في مصر سنة 986هـ/1579م، حضر عطية بن شموال بن شمس اليهودي الكوهان من مصر إلى القدس بِنيَّة الزِّيارة، في أوائل مُحَرَّم 987هـ/1579م، ومعه أمرٌ سلطانيٌّ ومكاتيبُ من أكابر الدَّولة بمصر، تنصُّ على أنَّ من عادة اليهود زيارة القدس والخليل. ثم حضر بعد ذلك 'شموال الكوهان، والد عطية، من مصر المحميَّة، وصَحِبَتْه جماعةٌ مستكثَرةٌ من اليهود، فارِّين من الموت والطَّاعون، وتعلَّلوا بالزِّيارة، وأُذِن لهم في الدُّخول، فدَخلوا إلى القدس الشَّريف، وطالَ مكثُهم بها، وقَلَّت المأكولات وانقَطَع جَلْبُ الغِلال'. فاشتكى جَمْعٌ من أهالي القدس أنَّ اليهود يَدفعون في البضائعِ أزيَدَ من قيمتها، 'ويتَشبَّهون بالمسلمين في مركبِهم ومَلْبسِهم'، وأنَّهم أقاموا مدَّةً تزيد على مدَّةِ الزِّيارة المعتادة. فأَحضرَ القاضي يهودَ مصرَ المذكورين، ونَبَّهَ عليهم أنْ يغادروا القدس بعد عشرَةِ أيامٍ من تاريخه[٤٦].

لكنهم لم يمتَثلوا للتَّنبيه ومكثوا في القدس، فاشتكى أهالي القدس منهم لدى القاضي تارةً أخرى، في 25 ربيع الآخر 987هـ/1579م، وكرَّروا أنَّ يهودًا من سكّان مصر حَضَروا 'بِعلَّةِ الزِّيارة، وكان واقع حالِهم الفرار من وباء الطَّاعون، ...، فسُمح لهم فاستقرّوا في القدس الشَّريف، ولَبسوا زيَّ المسلمين وأصبحوا يَخدِمون في منازل المسلمين، ...، فأُمهِل اليهود

---

[٤٣] أي المفوَّض من الباب العالي بجمع الأموال السلطانية.

[٤٤] وهي مجمع خاصكي سلطان، الواقع في عقبة التّكية. وكان يضمُّ مسجدًا ومطبخًا ضخمًا وخانًا واسعًا. وكان طعام المطبخ يوزَّع مجّانًا على الفقراء والمستورين وبعض الموظفين. (دراساتٌ في تاريخ بيت المقدس، ص 53).

[٤٥] س ش 56/ 220، 12 جمادى الآخِرة 982هـ.

[٤٦] س ش 58/ 533، أوائل مُحَرَّم 987هـ.

خمسة عشر يومًا للمغادرة، فلم يَمتثلوا، فنبَّه عليهم مرةً أخرى، فلم يمتثلوا، ثمّ لمّا حلَّ الطَّاعون في القدس فرّوا هاربين إلى مصر"[٤٧].

وتفشَّى الوَباء المذكور في سجن القلعة أيضًا، حيث أصاب "بلال بن عبد الله، من عرب الكعابنة، الرَّهينة بسجن القلعة"، فتُوفِّي في ٢٥ جمادى الآخِرة ٩٨٧هـ/١٥٧٩م[٤٨].

وانتَشر وباءُ الطَّاعون في سنتَيْ ٩٩٥- ٩٩٦هـ/١٥٨٧م. ففي ١٥ ذي الحجَّة ٩٩٥هـ/١٥٨٧م ثبت أنَّ ممي بن عبد الله التَّفكجي تُوفِّي بمرض الطَّاعون[٤٩]. وحضر إلى بَيْت المَقْدِس بقصْد الزِّيارة "الحاجُّ إبراهيم بن جعفر الحلبيّ وزوجتُه ليلى بنت الشيخ مُحَمَّد الحلبية"، في مُحَرَّم ٩٩٦هـ/١٥٨٧م، "وكان زمن الوَباء، وماتت بالطَّاعون"[٥٠]. وفي ١٣ صَفَر ٩٩٦هـ/١٥٨٨م، تُوفِّي علي القاصر بن مُحَمَّد بن بزوز بالطَّاعون، فكَشَفَ عليه الشيخ إبراهيم بن العجمية، مُغسِّلُ الموتى[٥١].

وفي سنة ١٠٢٨هـ/١٦١٩م "وقع طاعونٌ ببَيْتِ المَقْدِس الشَّريف، في أول جمادى الآخِرة سنة 1028، [15 أيار 1619م]، وأَخَذَ الأولادَ وفتَّتَ الأكباد. واستمرَّ ببَيْتِ المَقْدِس، ولم يُرفع إلى يومنا هذا، وهو السادس عشر من شَوّال من السَّنة المذكورة"[٥٢].

وفي شعبان ١٠٧١هـ/نيسان ١٦٦١م "حدَث جوعٌ شديدٌ في تلك السَّنة في فلسطين بسبب الجَراد، وعَقِبَهُ وباءٌ عظيم"[٥٣].

وأرسل نصرانيٌّ أرثوذوكسيٌّ، من أهل الرَّملة، إلى "ابن خالتِه، بمحروسة دمشق الشَّام، مُخبِرًا إياه بما حلَّ برملة فلسطين، من أمْرِ المَلِكِ المُعين، وهو الموت بالطَّاعون، ومخوِّف ما كانوا الناس به مرتاعون.

---

[٤٧] س ش 58/ 444، 25 ربيع الآخِر 987هـ.
[٤٨] س ش 58/ 466، 25 جمادى الآخِرة 987هـ.
[٤٩] س ش 67/ 34، 15 ذي الحجَّة 995هـ.
[٥٠] س ش 67/ 74، 20 مُحَرَّم 996هـ.
[٥١] س ش 67/ 89، 13 صَفَر 996هـ.
[٥٢] سجل الأغلفة بمحكمة القدس الشرعية، ص 70.
[٥٣] خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ص 155.

ومن مدَّة أربعين يومًا تقدَّمت على تاريخه من الزَّمان، ممّا قضاهُ الملك الدَّيّان، بمدينة الرَّملة، فكان من الطَّاعون وشُرب كأس المَنون، يُدفَن في كل يومٍ من هذه المُدَّة نحو ثمانين وتسعين نفس، وينوف عن هذه العِدَّة، من صغار وكبار، بأمر الملك الجبَّار. شيءٌ لم يُشاهِد مِثلَه المُسِنُّون في الأعمار منذ قديم الأدهار، حتى أنَّ الكثير من الناس فَنِيَت، وغالبُ البيوت خَلِيَت، ثم مِن الناس مَن ضُرب وقام[٥٤]، ومنهم ضُرب ولم يستطع قيام. ومِن جملة ذلك مِن محلَّة الكنيسة، القائمة الشأن النَّفيسة، مِن دار نزّال إلى تمام المحلَّة، فكانت جملة الجملة خمسة وثمانين نفر غير الواقعين، ...، وأمّا أخواتهن شبينا وبركة، فقد صافحن من هذه الحركة. وقد دَفَنَّا مَنْ تقدَّم في قبرٍ واحدٍ، لأن انتقالهن كان في يومٍ واحدٍ. وهو نهار الجمعة، سابع وعشرين شهر أيار. وهذا ما جرى وصار"[٥٥].

وتوفِّي وفا وأخوه شحادة ابنا فيض الله العلمي بوباء الطاعون في القدس الشريف عام 1173هـ/1760م[٥٦].

وفي سنة 1174هـ/1760م "دخلَ الفَناءُ للشَّام، وكان قدومُه من ناحية عكّا، واستقام في الشَّام ودائرتها نحو ستة أشهر إلى آخِر الصَّيف. وكان فناء عظيم كبير، وكان حدوده من أراضي غزَّة والرَّملة والقدس وبلاد حوران ودائرة الشَّام وساحل عكّا وصيدا وبيروت وطرابلس إلى حدود أنطاكية"[٥٧].

وفي سنتَيْ ١١٩٩- ١٢٠٠هـ/١٧٨٥- ١٧٨٦م، انتشر وباء الطاعون في مصر، ثم انتقل إلى بيروت[٥٨]، ثم إلى فلسطين؛ قال كمال حُنِكْرُه: "سنة ألف ومائتين أتا بلادنا طاعونٌ بعد يافا وغزَّة والرَّملة ولُدّ، ثم أجا إلى بَيْتِ المَقْدِس، وأخذ من أهلها ناسٌ كثير، إلى أن بلغ كل يوم

---

[٥٤] أي أصيب بالطَّاعون وشُفي منه.

[٥٥] مخطوطٌ ناقصُ الأول والآخر، محفوظٌ في مكتبة مقدسية، ص 27أ-28أ. وقد أوردتُ النَّصَّ كما جاء في ذلك المخطوط وغيره، دون تصحيحه.

[٥٦] تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر، ص 196.

[٥٧] تاريخ الشَّام، لميخائيل بريك، ص 80. نَقلتُ النصَّ كما ورد.

[٥٨] تاريخ أحمد باشا الجزار، الملحق، ص 404-403.

أموات سبعة عشر نفس، واشتدَّ الأمر من جُماد الأول إلى ختام القعدة'[٥٩].

وقال الجبرتي في حوادث رَجَب ١٢٠٠هـ/١٧٨٦م: 'وفيه وَردَ الخبرُ من الدِّيار الشَّامية بحصول طاعونٍ عظيمٍ في بلادهم، حصل عندهم أيضًا قَحْطٌ وغلاءٌ في الأسْعار'[٦٠].

وتوفِّي في الوباءِ المذكور الشيخُ مُحَمَّد بن أحمد الشَّهير بصفيّ الدِّين البخاري، سنة 1200هـ/1786م، ودُفِن في نابلس[٦١].

وقال حيدر الشهابي في حوادث عام ١٢٠٧هـ/١٧٩٣م: 'وفي هذه السَّنة عمَّ الطاعونُ كلَّ البلاد، من نواحي القدس لقرب حلب'[٦٢].

وعندما هاجم نابليون يافا سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٩م قَتَلَ ألفَين من جنودِ حاميتها عقب احتلال المدينة، وأَمَرَ بإعدام ٢٤٤٠ جنديًّا _وقيل ٤١٠٠_ وذلك رَغْمَ استِسْلامهم. ثم إنَّ الفرنسيين لم يَدفِنوا جثَث القتلى[٦٣]. وقيل إنَّ جثثهم تسبَّبت في انتشار الطَّاعون بين قوات الاحتلال الفرنسي في يافا. وارتفع عددُ الإصابات بين جنود نابليون خلال حِصارِهم لميناء عكّا، ممّا ساهم في دَفعِه إلى الانسحاب من فلسطين[٦٤].

وفي أواخرِ سنة ١٢٢٦هـ، أي أوائلِ سنة ١٨١٢م، انتشرَ طاعونٌ شديدٌ في الأستانَة، ثمّ نُقِل بجُبَّةِ جوخٍ أُرسِلت إلى يهوديٍّ كان مقيمًا في مدينة عكّا، فانتشر الوَباء فيها بشكلٍ مُروّع؛ قال العورة: 'فأمَّا الطَّاعون، فبما أنَّ أَصلَ خروجِه من اليهود كما تقدَّم، كان طاعونًا قاسيًا رديئًا جدًّا ومُخيفًا[٦٥]، وامتدَّ وتعاظمَ بهذا المقدار، حتى أنَّه ما بقي بيتٌ من بيوت عكّا إلا ودَخل عليها، ومات فيها خَلْقٌ، واتَّصلتْ يوميَّةُ الأموات، حسبما كانوا

---

[٥٩] فهرس مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي، رقم: 666/175م، هامش ص 18ب.

[٦٠] عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 1/ 616.

[٦١] الأعلام، 6/ 15.

[٦٢] تاريخ أحمد باشا الجزار، ص 436.

[٦٣] مشهد العيان بتاريخ سوريا ولبنان، ص 60.

[64] The Rise and fall of Napoleon Bonaparte, 1: 303-310. Jerusalem, Bethany, and Bethlehem, p. vi, x.

[٦٥] هذا كلامٌ لا يجوز، فأجسام الآدميين تتساوى في المكونات والتكريم؛ قال الله تعالى: (ولقد كرَّمنا بني آدم). فالواجب احترام جسد الإنسان مهما كانت ديانته، حيًّا كان أم ميتًا، وصحيحًا كان أم مريضًا. ولا يجوز الانتقاص منه أو إهانته لكونه من أتباع دينٍ معين.

يخبرون إلى المابة والعشرين نفرًا، وفيما بعد تحقَّق أنَّه يموت أكثر. وكان المخبِرون يُخبِرون بالقليل قصدًا لغاياتٍ وعدم الشَّماتة، كوْنَ المغسِّلين والمُكفِّنين ما عادوا لَحِقوا، ولا عاد الحمَّالين يقدروا أنْ يَحملوا.

'وكانوا يَحملِون الأمواتَ ويُخرجونَهم من قبل شروق الشَّمس بساعةٍ لِحدِّ السَّاعة الرابعة والخامسة على ضَوء المشاعل. وكانت تُسمعُ أصواتُ البكاء والولاول في سائر بيوت البلدة من اللَّيل، الأمر الذي كان يُجمِّد الدَّمَ في جسم النَّاس. وكان في تلك الأيام الحزن والغمّ والبكاء والنُّواح والخوف والفزع والرَّعدة'[٦٦].

وقد انتقل ذاك الوباء إلى يافا[٦٧]، ثم إلى بَيْت المَقْدِس، حيث استمرَّ حتى سنة 1229هـ/1814م، وتسبَّب بموت عددٍ كبيرٍ من اليهود[٦٨]. ومات به أيضًا الرَّاهبُ الإسباني فرانسيسكو لوبيز Francisco López، وكان أشهرَ طبيبٍ فرنسيسكاني في فلسطين آنذاك، حيث وصلَ إليها سنة 1203هـ/1788م، وعالجَ فيمن عالج أحمد باشا الجزّار، والرَّحالة الألماني أولريش زيتسن. وقد عمل في القسم الطِّبي بدير القديس المخلِّص بحارة النَّصارى في القدس حتى وفاته بالطَّاعون سنة 1228هـ/1813م[٦٩]. وتُوفِّي أيضًا دراويش عدَّة في الزّاوية القادرية بالقدس في العام المذكور[٧٠].

[٦٦] تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، ص 186، 191، 196.

[٦٧] تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، ص 356.

[68] Hastening Redemption, p. 66-67.

[٦٩] مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة ١٩١٨، ص 177.

[٧٠] س ش ٢٩٦/ ٣٨، رَجَب ١٢٢٨هـ.

الحَجْرُ الصِّحّي

كان نظامُ الحَجْرِ الصِّحّي، أو الكرنتينا[٧١]، يهدِفُ إلى الحَيْلولَةِ دون انتشارِ الأمْراضِ المُعْدية، والطّاعون خاصَّة، حيث كانت إدارةُ كل مدينةٍ رئيسةٍ _والساحلية خاصَّة، إذ كانت تَرْسو بها سفن حُجّاج النصارى_ تَحبِس القادمين إليها في موْقعٍ مُعيَّنٍ خارج أسوارها لثلاثة أيام. فإذا مضتْ ولم تَظهرْ علاماتُ أيِّ مرضٍ عليهم، يُسمَح لهم بالدُّخول، وإلا فلا يُؤْذَن لهم.

ولم أعثر على مَصدرٍ يشير إلى وجود حَجْرٍ صِحّيٍّ في بيت المقدس، قبل حملة إبراهيم باشا على بلاد الشام. فقد ذَكَرَ سبيريدون Spyridon اليوناني أنّ مُمثِّلينَ عن طائِفَتَي الأرثوذكس والأرمن في بَيت المَقْدسِ بَحثوا مع إبراهيم باشا، عام 1251هـ/1835م، مَسألةَ إقامةِ حَجْرٍ صِحّيٍّ لحَجْرِ حُجّاج النصارى القادمين من أوروبا بحرًا، مِن مناطق مَوْبوءة، فاقتَرَحَ أن يكون في حيفا، لأنّ ميناءها واسعٌ ويصلحُ لاستقبال السفنِ وحَجْرِ الحُجّاج. فأجابوه بأنّ الفكْرَةَ جَيّدة، لكنّ حيفا بعيدةٌ ولا يوجدُ فيها ديرٌ لليونان. فردَّ بإحدى عباراتِه التي كانتْ تُؤكِّدُ احتقارَهُ للعرب عامَّة، وأنّ هدفَهُ كان حُكْمَهم واضطهادَهم وسلْبَ خيراتِهم فحسب، حيث قال:

'أنا أعرِفُ أنّكم تريدون أن يكون الحَجْرُ في يافا، ولكنّني أخْبِرُكم أنّ مِن الصعْبِ جدًّا توفير النظافة اللازمة للحَجْر في يافا. أنا أعرِفُ العربَ، وأعرف أنهم يسعَوْنَ للحصول على المال بأيِّ وسيلة، ولن يَكترثوا بالمرضى أو الموتى'.

فاقترَحَ المُمَثِّلون أن يكون موْقعُ الحَجْر بعيدًا عن مدينة يافا، فوافقَ على أنْ يَتحمَّلوا هم مسؤوليةَ انتشار أيّ مرْضٍ في القدس، فلَمْ يُجيبوه، فقال:

'أنا لا أكترثُ بالآخَرين، ولكنْ يجب عليَّ الاهتمامُ بجنودي، الذين أُفَضِّلُ أن أراهم يموتون في الحربِ بدلًا من مَوْتِهم في وَباءٍ مُرْعِب. ولهذا

[٧١] وأصل كرنتينا من الكلمة الإيطالية quaranta giorni، أي أربعون يومًا، حيث كان على سفن البندقية الانتظار أربعين يوما حتى يسمح لها بالرسو في ميناء دوبروفنك خلال انتشار وباء الطاعون الشهير عام 749هـ/1348م. وتَرِد أحيانًا بلفظ كورنتينا أو كورنتيلة، في سجلات المحكمة.

السبب، ينبغي أنْ يكون الحَجْرُ في حيفا وليس في يافا. إذا احتاج الحُجّاجُ أيّ شيءٍ فسأُزوّدهم به. سأنْصِبُ لهم خِيَمًا ليرتاحوا فيها، ثم أبْني لهم مُسَقّفاتٍ حَجَريّة. ولا داعي لأنْ تَقلَقوا لذلك. هذه هي كلمتي الأخيرة".

وذَهب إبراهيم باشا إلى حلب لقتال العثمانيين، ونَسِيَ موضوع الحَجْر. ثم صدرتْ تعليماتٌ بأنْ ترْسو السفنُ كافّةً في ميناء بيروت، فيخْضع الركابُ للحَجْر فيها، ثم بعد ذلك يتَّجِهون إلى يافا. وحيث كانوا سيَبيتون هناك في العراء تحت المطر، فقد قرَّر المُمَثِّلون استرحام محمد علي باشا، والي مصر، بأنْ يَسمح لهم بإنشاء حَجْر في يافا فأذِن لهم، فبدأوا بحفر الأساسات في موْقع غربي المدينة قرب مقبرة الأرثوذكس، وأنهَوْا البناءَ في ذي القعدة 1251هـ/آذار 1836م[٧٢].

وورَدَ أنّ الحَجْرَ المذكور كان قيْدَ الاستِخْدام عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م، رَغْمَ أنَّ نصْفَهُ كان مَهْدومًا[٧٣].

أمّا في بيت المقدس، فقد تمّ إنشاء مَقَرٍّ للحَجْرِ الصحيّ بجوار كهْف الأدْهمية خارج باب العامود[٧٤]. وكان على كلِّ مُقيمٍ فيه دفع رسومٍ للحكومة؛ فعندما تم إنهاء خدمات ناظرِهِ حسين أفندي عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، بلَغَ عددُ تذاكرِهِ ١٧٦٦ تذْكِرَة، فتمَّ تسليمُها إلى بشارة غْرِغور كاتب الكورنتينا[٧٥]، ثم عُيِّن ناظرٌ جديدٌ عليه، وهو خليل آغا بيرقدار بن عبد الله (ت ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م)[٧٦]. ثم إنّ السلطات العثمانية زادتْ من تكريمِها للزوّار الأجانب[٧٧]، فسمحتْ لهم أن يمضوا مُدَّةَ الحَجْر في خيامهم الخاصة في أيِّ موْقع يشاؤون بالقرب من السور[٧٨].

---

72 Annals of Palestine, 1821-1841, in: The Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. XVIII (1938), p. 120-122.

73 Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band III, (1880), S. 46.

74 The City of the Great King, p. 451.

٧٥ س ش 327/ 200، جمادى الآخِرة 1260هـ.

٧٦ س ش ٣٢٨/ ٩٣، شعبان ١٢٦١هـ. س ش 332/ 29، ذو القعدة 1265هـ.

٧٧ وكان ذلك ضمن شروط الدول الغربية على إجبار محمد علي باشا على الانسحاب من بلاد الشام، وعودة الحكم العثماني إليها.

78 The City of the Great King, p. 451.

وفي عام ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م، تمَّ إنشاءُ حَجْرٍ صحيٍّ جديدٍ، حيث تبرَّع مصطفى بن حسن نجم، بوّاب باب الخليل، بقطعةِ أرضٍ تقع بجوارِ حائطِ خندقٍ كان مَحفورًا قرب قلعة باب الخليل، خارج السُّور، وبلغتْ مساحةُ القطعةِ ٦٧ ذراعًا طولًا و٦٧ ذراعًا عرْضًا، ‹لعمَلِ محلٍّ للكورنتينا›[79]. وتمَّ تحديدُ موقعِ تلك "الكرنتينا"؛ في شمال غربيّ الخندق، في حُجَّةٍ ورَدَتْ عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م[80]. وذَكَرَ باركلي أنّ القادمين الفقراء من العرب والترك كانوا يُحْبَسون فيه بالعَراء تمامًا[81].

وكان مُحَمَّد علي باشا قد أنْشأَ حَجْرًا في بلدة "الشيخ زويد" شمالي سيناء لحَجْرِ القادمين إليها من بلاد الشَّام، خلال الحُكم المصري[82]. وثمَّةَ حَجْر صحِّيّ آخرَ أنشأهُ العثمانيون في مدينة غزَّة بعد انسحاب المصريين، حيث ورَدَ أنَّ أحدَ الحُجّاجِ الأتراك قُتِل فيه سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م[83]. ويَبْدو أنّهم كانوا يَستأثرون عسْكريّين أتراكًا في إدارتِهِ وتسْيير شؤونه، ففي عام 1274هـ/1857م، ضُبِطَتْ تَرِكَةُ ‹سليمان آغا بن حسن آغا التُّرْك، من خُدّامِ كرنتينة غزة، المُتَوفّى بقرية الدوايمة›[84]. وفي عام 1276هـ/1860م، ضُبِطَتْ تَرِكَةُ ‹مصطفى أفندي إسطنبلي، أون باشي[85] كورنتينة غزة، المُتوفّى في خان يونس›[86].

---

[79] س ش 331/ 5-4، 13 جمادى الأولى 1265هـ.

[80] س ش 368/ 194، 3 مُحَرَّم 1296هـ.

[81] The City of the Great King, p. 451-452.

[82] المحفوظات الملكية المصرية، 2/ 178، 181، 287.

[83] س ش 326/ 67، 25 رمضان 1258هـ.

[84] سجل محكمة غزة الشرعية المحفوظ في محكمة دمشق حاليًّا، ص 72، ربيع الأول 1274هـ.

[85] وتكتب أيضًا "أنباشي"، وهي رتبة عسكرية، يقابلها في عصرنا رتبة "عريف". (معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 47).

[86] سجل محكمة غزة الشرعية المحفوظ في محكمة دمشق حاليًّا، ص 310، رجب 1276هـ.



حُجَّة ضبْط تَرِكَة سليمان آغا التُّرْك، أحد خُدّامِ كرنتينة غزة.

وبعد سقوط الدولة العثمانية، 'أقامت الحكومةُ، لأوَّل عهد الاحتلال، مَحْجرًا صحيًّا بين مصر وفلسطين، ولم يكن يدخله إلا العرب، وأما اليهود وسائر الأجانب، فقد كانوا يَروحون ويجيئون أحرارًا'[٨٧].

ورَغْمَ تحسُّنِ الخدماتِ الصحيَّةِ منذ بداية مدّة الاحتلال البريطاني، فقد حدَثتْ بعضُ الإصابات بالطاعون. ففي مُحَرَّم ١٣٤١هـ/أيلول ١٩٢٢م أُصيبَ سبعةُ أشخاصٍ بمرض الطاعون في مدينة يافا، وتمَّت السَّيطرة على المرض خلال شهرين[٨٨].

وتمَّ تسجيلُ إصابةٍ واحدةٍ بالطاعون في بيت المقدس في مُحَرَّم ١٣٤٢هـ/أيلول ١٩٢٣م[٨٩]. وظَهرتْ 10 إصاباتٍ بالطاعون، وتوفِّيَ

[٨٧] فلسطين بعد الحرب الكبرى، 1/ 6.

[٨٨] جريدة حكومة فلسطين الرسمية (الانتدابية)، 75/ 25.

[٨٩] جريدة حكومة فلسطين الرسمية (الانتدابية)، 100/ 360.

شَخصٌ به في لواء حيفا في شعبان 1366هـ/ تموز 1947م، وتمّ استيرادُ كَمّياتٍ من الأمصال للوقاية منه في اللواء[٩٠].

ومن جهةٍ أخرى، ظهرتْ إصاباتٌ بطاعونِ البقر عام 1345هـ/ 1926م. وأنشأتْ بلديةُ القدس مسلخًا جديدًا على طريق رام الله، وضَمَّ محجرًا صحيًّا للحيوانات، عام 1354هـ/1935م[٩١].

وباءُ الكوليرا

الكوليرا مرضٌ يصيبُ الجهاز الهضميّ، ويسبِّب إسهالًا حادًّا وهبوطًا في درجة الحرارة. وهو مُعدٍ ينتقل بواسطة شرب المياه وتناول الأطعمة الملوَّثة. ويُطلَق عليه أيضًا "الهواء الأصفر" أو "الهيضة". وكثيرًا ما كان الحُجّاج يَحمِلون جرثومتَه معهم إلى فلسطين بعد أداء الفريضة[٩٢].

ولا تتوافَر معلوماتٌ كافيةٌ عن تاريخ انتشارِه في بَيْتِ المَقْدِس، ربَّما لعدَمِ قُدْرةِ الأطباء على تشْخيصِه في هذه الدِّيار قبل القرن الثالث عشر الهجري.

وقد انتشَر هذا الوباء في حلب ودمشق وبيروت في رمضان 1242هـ/نيسان 1827م، ثم انتقل إلى عكّا وصفد. وبعد أن تراجع في أواخر عام 1242هـ/صيف 1827م، ظَهر في مدينة بيروت في شَوّال 1243هـ/أيار 1828، ثم وصل إلى يافا وغزَّة، فأصاب نصف سكانهما، أمّا في القدس فقد بلغ عددُ الوفيات به خمسة عشر شخصًا كل يوم[٩٣].

وانتشر وباء الكوليرا في عكّا أيضًا في صَفَر ١٢٤٧هـ/تموز ١٨٣١م، ثم وصل إلى القدس والخليل في شهر ربيع الأول/أيلول من العام المذكور. وظَهر في الجليل في أواخر عام ١٢٤٧هـ، أي في ربيع عام ١٨٣٢م. أما في مِصر، فقد كان ذلك الوباء يحصد مئات الأرواح

[٩٠] جريدة الدفاع: (17 شعبان 1366هـ، 6 تموز 1947م، ص 2. 4 رمضان 1366هـ، 22 تموز 1947م، ص 2).

[٩١] جريدة فلسطين، 4 صفر 1345هـ، 13 آب 1926م، ص 2. تقرير هيئة بلدية القدس عن سنة 35- 1936، ص 68، 78، 127.

[٩٢] ذكرتْ ذلك السيدة فِن، في مذكراتها لصَفَر 1272هـ، وَفْقَ تشرين الثاني عام 1855م. رَ Reminiscences of Mrs. Finn, p. 147.

[93] Hastening Redemption, p. 68.

يوميًّا[٩٤]. ولذا أمَرَ مُحَمَّد علي باشا 'بإبقاء الحَجْر الصِّحي في محجر الشيخ زويد، لأنّ آثار المرض لا تزال باقيةً في نواحي القدس'، وذلك في ذي القعدة ١٢٤٨هـ/نيسان ١٨٣٣م. وفي صَفَر ١٢٥٠هـ/تموز ١٨٣٣م، تفشَّى الوباءُ في القدس تارةً أخرى[٩٥]، ثم امتدَّ إلى الجليل[٩٦].

وانتشر وباء الكوليرا في حارة اليهود في القدس في صَفَر ١٢٥٣هـ/أيار ١٨٣٧م[٩٧]، مِمّا أدَّى إلى وفاة حوالي مائتي شخص[٩٨]. وتدلُّ سجلات محكمة القدس على حدوث وفياتٍ كثيرةٍ في بَيْت المَقْدِس في العامِ المذكور[٩٩]. وفي شهر رَجَب منه أرسل مُحَمَّد علي باشا كتابًا إلى مُحافظ أدَنه، يبلغُه فيه بوجوبِ تطبيقِ قوانين الكرنتينا[١٠٠]. وأُغلِقتْ أبوابُ القدس، ومُنِع النّاس من الدُّخول أو الخروج[١٠١].

ثم انتشر الوباءُ تارةً أخرى في أواسط رَجَب ١٢٥٤هـ/أوائل تشرين الأول ١٨٣٨م، بين يهود القدس أيضًا، ثم انتشر بين المسلمين لمُدَّة شهر، ومات به جميعُ الأحباش المقيمين في القدس[١٠٢]. وظهر أيضًا في ٢٩ شَوّال ١٢٥٤هـ/منتصف كانون الثّاني ١٨٣٩م[١٠٣]، ثم في شهرَي جمادى الأولى وجمادى الآخِرة ١٢٥٥هـ/تموز وآب ١٨٣٩م[١٠٤]، وبقيت القدسُ تحت الحَجْر، وتوفِّي في هذا الوباء عددٌ كبيرٌ من السُّكان[١٠٥]. وفي عام

---

94 Hastening Redemption, p. 68-69.

٩٥ المحفوظات الملكية المصرية، 2/ 178، 181، 287، 419.

96 Hastening Redemption, p. 68.

٩٧ المحفوظات الملكية المصرية، 3/ 242.

98 Hastening Redemption, p. 68.

٩٩ س ش 321 و 322، عام 1253هـ.

١٠٠ المحفوظات الملكية المصرية، 3/ 274، 5109#، 5 رَجَب 1253هـ.

101 Our Jerusalem, p. 211.

١٠٢ المسيحية في القدس، ص 144.

١٠٣ المفصل في تاريخ القدس، ص 286-285.

104 The Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. XVIII (1938), p. 127 .Reminiscences of Mrs. Finn, p. 127.

105 Hastening Redemption, p. 68-69.

١٢٥٦هـ/١٨٤٠م نَشر إبراهيم النجَّار رسالةً إرشاديَّةً حول مواجَهة ذلك 'الدَّاء المعروف بالهواء الأصفر'، الذي انتَشر في الشَّام ومصر[١٠٦].

وفي ذي القعدة ١٢٦٤هـ/تشرين الأول 1848م انْتَشَرَ وباءُ الكوليرا في مصر وفلسطين والشام، فقَضَى على عشراتِ الآلاف من المُصابين، إلا أنّ بيتَ المَقْدِسِ سَلِمَتْ منه هذه المرّة[١٠٧]. وقد وَصَلَ إلى مدينة نابلس في العام التالي[١٠٨].

وفي سنة 1282هـ/1865م وصلَت موجةُ كوليرا جديدة، قادمةً من الهند إلى الجزيرة العربية، خلال موسم الحجّ. وقد أدَّت إلى وفاة ثلاثين ألف حاجٍّ على الأقل، من بين تسعين ألف حاجٍّ كانوا في الحجاز. ثم انتشر الوباءُ في مِصر وفِلسطين والشَّام، ثم في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية وأميركا الجنوبية[١٠٩].

وقد ذَكَرَ صمويل غوبات Samuel Gobat أنَّهُ بعْدَ رحيلِ الجراد عن فلسطين في العام المذكور، انتشرَت الكوليرا في يافا بشكلٍ مُرْعب. ثم انتقلتْ إلى غزة ونابلس وقرى عِدَّة. وكانت تُسبِّب وفاةَ واحدٍ إلى أربعةِ أشخاصٍ يوميًّا خلال شهري ربيع الأول وربيع الآخر ١٢٨٢هـ/آب وأيلول 1865م. ثم اشتدَّ الوباءُ، ففي المُدة (١١ جمادى الأولى- ١ جمادى الآخِرة؛ وَفْقَ 1- 21 تشرين الأول)، ارتفع عددُ الوفيات إلى 15 يوميًّا. وقد هرَبَ آلافٌ من يهودِ القدس إلى الخليل ويافا، لكنهم ماتوا فيهما. ثم توفّي 42 مصابًا في ٢ جمادى الآخِرة، وَفْقَ 22 تشرين الأول، وتوفّي 109 مصابين في ٥ جمادى الآخِرة، وَفْقَ ٢٥ تشرين الأول. ثم مَنعت الحكومةُ بعدئذٍ نَشْرَ أعدادِ الوفيات. وقُدِّرَ عددُ الضحايا بعُشْرِ سكّانِ القدس على الأقل، جُلُّهُم من المسلمين واليهود، إضافةً إلى بعض الأرثوذوكس واللاتين[١١٠]. وقد أدَّى الوباء إلى وفاةِ أكثَرَ من خمسةِ آلاف شخصٍ في فلسطين عمومًا. وحيث نجا منه اليهودُ الذين كانوا يقيمون خارج سور

---

[١٠٦] رسالة في الهواء الأصفر، لإبراهيم النجار.

[107] Samuel Gobat, Bishop of Jerusalem, his life and Work, p. 249.

[108] Samuel Gobat, Bishop of Jerusalem, his life and Work, p. 255.

[109] Encyclopedia of Plague and Pestilence: From Ancient Times to the Present, p. 17.

[110] Samuel Gobat, Bishop of Jerusalem, his life and Work, p. 353-355.

القدس في إسكان منتفيوري[١١١]، فقد شجَّع ذلك غيرَهم على السَّكن خارج السُّور أيضًا[١١٢].

وانتشر وباء الكوليرا في منطقة القدس ما بين جمادى الآخِرة وشَوّال سنة 1320هـ، وَفْقَ أيلول 1902م وكانون الثاني سنة 1903م. وكان من بين الإجراءات التي اتُّخِذت لمقاومته مَنْعُ دخول كثيرٍ من الموادِّ الغذائية إلى المدينة، ففي ٢٦ ذي القعدة ١٣٢٠هـ، وَفْقَ ٢٤ شباط ١٩٠٣م، اشتكى مُحَمَّد بن حمودة الدِّمياطي من سكان القدس، أنَّه كان قد التزمَ رسوم صيد السَّمك بقرية الجورة، في لواء غزَّة، لدى إدارة الدُّيون العموميَّة في القدس، ببَدَلٍ قدره ١٠٥٠٠ قرشٍ عن السنةِ الماليةِ ١٣١٨، لكنَّ الحكومةَ مَنعت صيدَ السَّمك وإدخاله إلى القدس في موسمه بسبب علَّة الكوليرا، التي انتشرت في أطراف اللواء مُدَّة ثلاثة أشهر، من أيلول حتى كانون الثّاني من السَّنةِ المذكورة[١١٣].

وفي مُحَرَّم ١٣٣١هـ، وَفْقَ كانون الأول ١٩١٢م، انتشر وباء الكوليرا في فِلسطينَ بسرعة، فنَشرت الحكومةُ جنودًا حَوْل القدسِ لمنعِ انتشار العدوى فيها، وأَوقَفتْ خطَّ السكَّة الحديديَّة، حيث كان الوباء قد انتشر في يافا وغزَّة واللُّد وبئر السَّبع وأريحا، وتوفِّي عددٌ كبيرٌ من السُّكّان لقلَّة الخدمات الصحيَّة، وكان منهم أميركيٌّ لم يلتزم بالحَجْر، فسافر إلى أريحا وتوفِّي في طريق العودة[١١٤].

وتشيرُ سجلاتُ المحكمةِ الشَّرعيةِ في الخليل إلى أنَّ وباء الكوليرا انتشر في المدينة سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، وتسبب بوفاة أشخاص عدَّة،

---

[١١١] يُطلَقُ عليه بالعبرية "ميشكنوت شعانيم"، أي مساكن السَّكينة. وهي عبارة عن صفَّيْن من الشُّقَّق يحتوي كل منهما 28 شُقَّةٍ صغيرةً متراصّة تتكون من غرفة ونصف. ابتناها الثريّ البريطاني اليهوديّ، موشيه مونتفيوري، في المدّة ١٢٧٣- ١٢٨٣هـ/1857- 1866م على جزء من الأرض التي اشتراها في ذي القعدة 1271هـ/1855م، غربي باب الخليل، من أحمد آغا الدزدار، بثمن قدرُه 120 ألف غرش أسدية، بهدف توطين اليهود خارج السور. لكنهم أحجموا عن ذلك بسبب المخاطر التي كانت تواجِهُ المقيمين خارج السور. ولتشجيعهم على ذلك جعلَ السكن فيها مجانًا، وبعد حين خصَّصَ منحةً لكل من يرضى بالسكن فيها. رَ: (In Jerusalem, 4/8/2000, p 13.).

112 Golden Jerusalem, p. 209.

[١١٣] س ش 397/ 112، 315#، 26 ذي القعدة 1320هـ.

114 Our Jerusalem, p. 198-199.

وكان منهم محمود وخليل وَلَدا خالد البكري. ثم انتقل الوباءُ إلى بيت لحم؛ ففي ٢٨ رَجَب ١٣٣٤هـ، وَفْقَ 31 أيار 1916م، توفِّي أحدُ المصابين، الذين تراوح عددُهم ما بين ١٥ إلى ١٧ شخصًا. ثم انتشر في القدس؛ ففي ١ شَعبان ١٣٣٤هـ، وَفْقَ 2 حزيران 1916م، بلغَ عدد المصابين به خمسة أشخاص[١١٥].

ولم تُسجَّل سوى إصاباتٍ ضئيلةٍ بالكوليرا في القدس خلال الاحتلال البريطاني والعهد الأردني. لكنَّهُ ظَهَرَ فيها سنتَيْ ١٣٩٠-١٣٩١هـ/١٩٧١م، حيث أُجرِيت فحوصاتٌ طبيَّةٌ للحُجّاج للعائدين من الحِجاز، بعد اجتيازهم جسر الملك حسين، وتمَّ احتجازُ مياه زمزم التي حمَلوها معهم، في نقاطِ التَّفتيش لبضعة أيامٍ، للتأكُّد من خُلوِّها من الجراثيم[١١٦]، وسرعان ما قُضيَ على ذلك الوباء.

وباءُ الملاريا

كان وباءُ الملاريا من أكثرِ الأوْبِئَة انتِشارًا في فِلسطينَ حتّى الحرب العالميَّة الأولى. وكان أكثرَ انتشارًا في المناطق الريفيَّة، وخاصّةً في غَوْرِ الأردنِ والسَّهلِ السَّاحليِّ، حَيث تكثرُ المستنقعات[١١٧]. والملاريا كلمةٌ إيطاليةٌ، تعني "الهواء الفاسد". ويُطلِق العربُ على هذا الوباء "البَرْداء"، لأنّه يُسبِّب رعشةً شديدةً. وحَيث تترَعرَعُ جراثيمُهُ في المُستنقعات، فقد أطلَق عليه الإنجليزُ "حُمَّى المُستنقعات" أيضًا. ويُصابُ البشرُ بهذا الوباء دون سائر الكائنات الحيَّة. وتنقُلُه إناثُ بعوض الأنوفيليس Anopheles mosquitoes إلى الإنسان عندما تلدغُهُ وتمْتصُّ من دمِه[١١٨].

وتفتقرُ المصادرُ العربيةُ إلى توثيقِ انتشارِ هذا المرض في فِلسطين، بينما وَرَدَ ذكرُه في مصادر أخرى. فقد ذكرت بيرثا سبافورد Bertha

---

115 Jerusalem in World War I: The Palestine Diary of a European Diplomat, p. 98-99.

١١٦ مجلة المرصاد، السنة 20، #1044، 22 ذي الحجَّة 1390هـ، 18 شباط 1971م، ص 7.

117 Re-imagining Palestine: Scientific knowledge and malaria control in mandatory Palestine, p. 356.

118 Re-imagining Palestine: Scientific knowledge and malaria control in mandatory Palestine, p. 353-354.

Spafford أنَّ وباءَ الملاريا ظَهرَ في بَيْت المَقْدِسِ سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، وأصاب أفرادًا من عائلتها[119].

وأشار المهندسُ فرنجيه بيك[120]، في تقريرٍ كَتبهُ سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥م، إلى أنَّ تلوُّث مياه الصَّهاريج يزداد في أواخر الصَّيف، حيث تقلُّ كميةُ المياه ويكثر نموُّ الجراثيم، وخاصةً المسبِّبة للملاريا[121].

وذكَرَ الكولونيل تشارلز واتسون Watson، عام 1320هـ/1902م، أنَّ انتشار الملاريا، بواسطة البعوض، أثارَ في فِلسطين اهتمامًا كبيرًا آنذاك. وأضاف أنَّ الدكتور جون كروبر John Cropper نَشر دراسةً في مجلة Journal of Hygiene، في شَوّال 1319هـ/كانون الثاني 1902م، بعنوان "التَّوزيع الجغرافيّ لبعوضة أنوفيليس وحُمَّى الملاريا في فلسطين"، استنادًا إلى بياناتٍ كان قد جمَعها خلال إقامته في مناطق عدَّة في شماليّ فلسطين في صيف عام 1318هـ/1900م، وأشار فيها إلى أنَّ الملاريا لا تَنْتقلُ من خلال شرْب المياه[122].

وفي سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م أُصيبت راهباتٌ ألمانياتٌ في مُجمَّع أوغستا فيكتوريا بمرضِ الملاريا، فتعجَّب المسؤولون من ذلك، حيث لا توجد مستنقعاتٌ على رأسِ جبلِ الزَّيتون. ثم تبيَّن لهم أنّ البعوضَ كان يترعرعُ في مياه الصَّهاريجِ الواقعةِ هناك. وقد شكَّلت قيصرةُ ألمانيا لُجنةً، تحت إدارة البروفيسور الدكتور مولِنز Mühlens، خبير الملاريا آنذاك، للتَّحقُّق من تلك المشكلة[123]. وأُطلِقَ على تلك اللُّجنة "الجمعية الألمانية لمكافحة الملاريا في القدس"، وبدأت نشاطها في شعبان ١٣٣٠هـ/آب 1912م، بهدف مكافحة الأوْبِئَة كافَّة في المدينة، وخاصّة الملاريا، حيث واصلَت أبحاثَها حتى ١٣ صَفَر ١٣٣١هـ، وَفْقَ 21 كانون الثاني 1913م،

---

119 Our Jerusalem, p. 127.

١٢٠ كان رئيس القسم الفني في كلية الهندسة في إستانبول، ورئيس دائرة الأشغال العامة في فلسطين. رَ (Water in Jerusalem at the End of the Ottoman Period, p. 140).

121 Water in Jerusalem at the End of the Ottoman Period, p. 133.

122 Palestine Exploration Fund, Quarterly Statement, (1902), p. 305-306.

123 Our Jerusalem, p. 198.

ونشرت تقريرًا جاء فيه أنَّ انتشارَ القاذورات في مختلَفِ أحياء المدينة يفوقُ الوَصف. وتمَّ أخذُ عيّناتِ دمٍ من 7921 شخصًا من سكّان القدس لفحصها، فثَبُتَت إصابةُ 2071 منهم بالملاريا، وكان توزيعهم حسَبَ الدِّيانة: اليهود 40.5 %، والمسيحيون 16.4 %، والمسلمون 31.1 %. وتبيَّنَ أنَّ 60- 80 % من عموم المرضى الذين عولِجوا في العيادات أو المستشفيات ما بين شَوّال وذي الحِجَّة ١٣٣٠هـ، وَفْقَ أيلول وتشرين الثاني 1912م، كانوا يعانون من الملاريا[١٢٤].

وذَكرتْ بيرثا سبافورد Bertha Spafford أنَّ عائلتَها نَقَلَت عندئذٍ إحدى العادات الأميركية إلى القدس، وهي وَضْعُ مناخل على الشَّبابيك والأبواب، لمنعِ دخولِ البعوضِ إلى المنازل. وأضافت أنَّ الملاريا ظهرت في القدسِ تارةً أخرى خلال صيف سنة ١٩١٦م، أي أواخر سنة ١٣٣٤هـ[١٢٥].

وقال الدكتور توفيق كنعان (ت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)[١٢٦]، إنَّ غالبيةَ الأطباء كانوا يُشخِّصون أمراضًا عدَّة على أنّها الملاريا. فقد نشرَ مقالةً بعنوان "التِّيفوئيد في فِلسطين"، جاء فيها:

'أكثر الأطباء كانوا يظنُّون أنَّ كل حُمّى، مهما تنوَّعت أعراضُها، ليست إلا الملاريا. وقد اختبرتُ هذه الحقيقة في السِّنين السبع الأولى من ممارستي الطِّب، إذ كانت الانتقادات تنهال عليّ كلَّما شخَّصتُ حادثةً بالتِّيفوئيد. ولا أزال أذكُر جيّدًا كيف أنَّ أكثر الأطباء في القدس، وجُلُّهم إفرنج، وَقفوا في مؤتمرٍ طبي، عقَدَهُ متصرِّفُ القدسِ سنة ١٩١١، لمكافحة مرضِ التهاب السَّحايا الوبائي، الذي كان يَفتِك فَتكًا ذريعًا بين الأهلين، مدافعين عن تشخيصِهم أنَّ هذا المرض ليس إلا ملاريا، احتلَّت

---

[124] Seuchen-, insbesondere Malaria-Bekämpfung, in Jerusalem, S. 314, 315.

[125] Our Jerusalem, p. 198, 253.

[١٢٦] ولد في بيت جالا. نال شهادة الطب من الكلية الإنجيلية السّورية في بيروت عام 1323هـ/1905م. افتتح أول عيادة عصرية في حي المصرارة. وعمل في المستشفى الألماني والمستشفى الإنجليزي ومستشفى شعار تسيديك في القدس، وفي الجيش العثماني. تولى رئاسة قسم الأمراض الباطنية في المستشفى الألماني في القدس. تولى إدارة مستشفى أوغستا فيكتوريا في المطلع بعد النكبة. تُوُفِّي في القدس. (شخصيات القدس في القرن العشرين، ص 178).

طفيلياتُها خلايا النُّخاع والسَّحايا، وأنَّ الكِينا تُشفي كل مريضٍ به، ما لم يكن قد كَتب اللهُ له الموتَ سابقًا. وكانوا يُؤكدون أن حُمَّى الملاريا تتمركز في أعضاءٍ مختلفة، وبذلك تختلف ظواهر المرض الواحد عن الآخر، مع أنَّ السَّبب واحد. فقد تحتلُّ طفيليات الملاريا أحيانًا الأمعاء، فتكون الأعراض تيفوئيدية، وأخرى خلايا الدِّماغ، فتُشابِه التهاب السَّحايا، ومرة ثالثة الرِّئة، فتُشابِه أعراضُها ذات الرِّئة"[١٢٧]. انتهى.



الدكتور توفيق كنعان عندما كان طبيبًا في الجيش العثماني خلال الحرب العالمية الأولى.
(المصدر: مجموعة ماتسون، تصوير استوديو "كرابيد كريكوريان").

وبعد سقوط الدَّولة العثمانية، اعتنت سلطات الاحتلال البريطاني والمؤسَّسات الصُّهيونية بإجراء دراساتٍ وأبحاثٍ تفصيليَّة حول انتشار مرض الملاريا، بهدف اختيار مواقع ملائمة لإنشاء مُستوطناتٍ يهوديةٍ على أرض فِلسطين[١٢٨]. ولذا ساهموا في تجْفيفِ المُستنْقعاتِ للقضاءِ على ذلك الوباء، فاستَخدموا عُمّالًا مِصريّين، توفّي كثيرٌ منهم خلال حفْرِ القنوات. وقد قال توفيق كنعان حول تطوير أراضي الخضيرة: "قَدَّمَ البارون دو روتشيلد الأموالَ، وقَدَّمَ المِصريون حياتَهم"، وأكَّدَ توفيق على

[١٢٧] المجلة الطّبية العربية الفلسطينية، السّنة الثّالثة، 2#، كانون الثاني 1948م، ص 21.
[128] Re-imagining Palestine: Scientific knowledge and malaria control in mandatory Palestine, p. 351-352.

أنّ العربَ ساهموا أكثر من اليهود في تجفيف المستنقعات، ماليًّا ويدويًّا، بِخلافِ ما هو شائع. وأشار إلى أنّ ما أنجزَتْهُ مؤسَّسةُ روتنبرغ للطاقة الكهروماتية أدّى إلى خفْضِ مستوى المياه في بحيرة طبريا، وبالتالي إلى انتشار الملاريا فيها[١٢٩].

وقد بلغتْ نسبةُ المصابين به بين مُجمل السُّكّان في فلسطين 5.7% عام 1340هـ/1922م[١٣٠]. وفي عام 1343هـ/1925م زارت فلسطين لجنةُ الملاريا، التّابعة لمنظمة الصّحة في عُصبة الأمم، للوقوف على الجهودِ الرَّاميةِ إلى مكافحةِ هذا المرض وتقديم اقتراحاتٍ بتطويرها[١٣١].

وأعَدَّ المستر هيرالد شبستون، أحدُ أعضاء الجمعية الجغرافيّة الملكية الإنكليزية، دراسةً بعنوان "الأحوال في فلسطين"، ونَشرت مجلةُ المقتطفِ خُلاصتها في جمادى الآخِرة 1344هـ/كانون الثاني 1926م، وجاء فيها:

'ممّا أدْهشني نظافةُ أورشليم وما فيها من الانتظام، وأنَّ نِسْبةَ الوفَيات في أورشليم أقلُّ من عشرين في الألف، أو نحو نصف نسبة الوفيات في مدينة القاهرة. فهل كان الأمر كذلك قبل الحرب. وانحطاطُ نسبة الوفيات إلى هذا الحدِّ لا يتمُّ إلا بأتمّ التَّدابير الصِّحية. إنَّ مصلحة الصِّحة تُعنى بعملها، لا يؤخِّرها عنه شكلُ المدينة الشَّرقي، فتَكْنُسُ شوارعَها الضيِّقة كنْسًا تامًّا بانتظام. وقد كان سكّانُها يشربون من ماءِ المطرِ الذي يتجمَّع في ستة آلاف صهريج، مرَّ على بعضها مائة سنةٍ أو أكثر ولم تُنظَّف، فكان أولُ أعمال الإدارةِ الإنكليزية أنها اهتمَّت بتنظيف هذه الصَّهاريج. وكان البعوضُ الذي يسبِّب الحُمَّى الملاريَّة آفةَ مدينةِ أورشليم في زمنِ الصَّيف، فاستُؤصِل منها الآن بصبِّ البترول في كلِّ البرَك التي فيها ماءٌ راكدٌ'[١٣٢].

---

[١٢٩] توفيق كنعان، تقويمٌ جديد، ص 80.

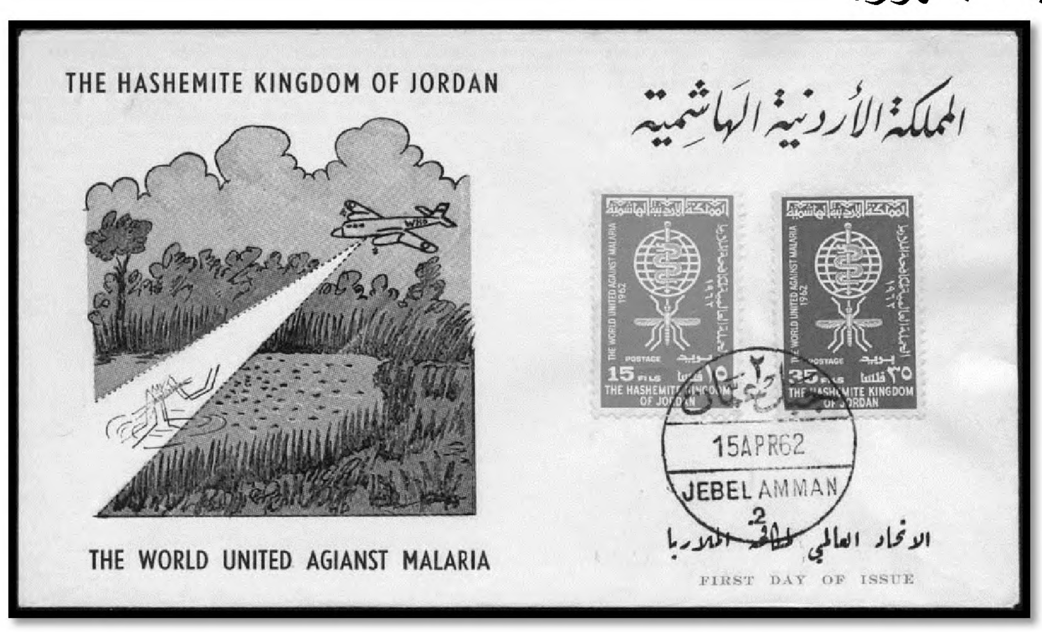
[130] Re-imagining Palestine: Scientific knowledge and malaria control in mandatory Palestine, p. 356.

[131] Re-imagining Palestine: Scientific knowledge and malaria control in mandatory Palestine, p. 355.

[١٣٢] مجلة المقتطف، مجلد 68، ج1، ص 57.

إلا أنَّ المستر هيرالد لم يتطرَّق إلى الدَّافعِ الحقيقي وراء تلك العناية المخصوصة بفلسطين. فلو كانت خُطَّة بريطانيا تشمل إنشاء وطنٍ قوميٍّ لليهود في مصر، لسارعتْ إدارةُ الحُكم البريطاني إلى تنظيفِ شوارع القاهرةِ والقضاءِ على الأوْبِئَة فيها.

وأُطْلِقتْ في العهد الأردني حمْلةٌ ضدّ الملاريا عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، وشمَلت نشاطاتُها إصدارَ مغلَّفاتٍ وطوابعَ بريديَّةٍ لتوعية الجمهور:



مرض الجُذام

كان مرضُ الجُذام _ويُطلَق عليه أيضًا "داء الأَسَد" أو "البَرَص" أي: leprosy[١٣٣]_ أحدَ الأمراض المُعْدِية التي انتشرتْ في بَيْتِ المَقْدِسِ وجِوارِها، عبْر التاريخ. ويُقال إن المَجْذومِين كانوا يُنْبَذون، في العصور القديمة، في منطقة تقع جنوب غربي أسوار القدس[١٣٤].

وكان يعقوب بن إسحق الكندي (ت ٢٥٦هـ/٨٧٣م) قد وَضَع أول مُصنَّفٍ في ذلك المَرَض، وهو "كتابٌ في عِلَّة الجُذام"، ثم تبِعَهُ يوحنا بن

---

١٣٣ يخلط البعضُ بينه وبين مرض البُهاق، وهو مرضٌ جلديٌّ بسيطٌ يُسبِّب تبدُّلَ اللون الطبيعي للبشرة، حيث ينتشر على شكل بُقعٍ في أماكن متفرِّقة على الجسم.

134 The City of the Great King, p. 76.

ماسويه (ت 243هـ/857م)، حيث ʼصنَّفَ كتابًا في الجُذام، لم يسبقهُ أحدٌ إلى مِثله،ʻ[١٣٥].

وهو مِن أخْطَرِ الأمْراضِ الجِلْدية التي انتشرتْ في المنطقة، وأبْشَعها. وقد شاع قديمًا أنه ينتشرُ من خلال التنفُّسِ أو تناولِ الطعامِ أو التَّلامس. وإذا أُهمِل علاجُه فقد يُصيبُ الأعصابَ والعيون.

وكان الجُذام أحدَ الأمراض التي وَجبَ الكشفُ عنها عند الزَّواج أو بيع الجواري، لأنه يَحِقُّ لِلْمَغبون فسخُ عقد النِّكاح أو البيع. ففي عام ٩٩٧هـ/١٥٨٩م عَقَدَ عبد الفتاح بن ناصر الدِّين الخولي النَّابلسي على زينب بنت علاء الدِّين النَّابلسي، الشَّهير بابن الشَّاميَّة، ʼوبعد العَقد، وقبل الدُّخول، علِمت أنَّ ببَدَنِه بياضًا يُشبه البَهق أو البَرص،ʻ فكَشفَ عليه طبيبان وأفادا بأن البَرصَ مُستحكِمٌ في بدنه. ثم حلَفت الزَّوجةُ أنَّها ما علِمت بذلك قبل عقد النكاح، فحَكم القاضي بفسخِ العقد[١٣٦].

وفي عام ١٠٢٤هـ/١٦١٥م اشترى إسحق بن أبي اللُّطف من مُحَمَّد المهتدي جاريةً بيضاءَ، وبعد العقد ʼاطَّلعَ على عيبٍ قديمٍ بها، وهو داء الأسَد: بيدها اليسرى وبوجهها وبفرجها دماميل،ʻ فحَكَم القاضي بفسخ عقد البيع[١٣٧].

وفي عام 1196هـ/1782م أُصيبَ سلمان ولد عيسى الرُّومي النصراني بالجُذام، فخَلَعَ زوجتَه، وتوجَّه إلى دمشق من أجل التَّداوي[١٣٨].

أمّا بخصوص تعامُلِ الحكوماتِ مع هذا المرض، فقد وَرَدَ أنّ جمعية القدّيس لازاروس قد أَسَّستْ مستشفًى لعلاجِ المُبْرَصين في حارة النصارى خلال العهد الصَّليبي، واستمرَّ العملُ فيه حتى بعد رحيلهم عنها[١٣٩].

ثمّ إنّ السُّلطات العثمانية سَمحتْ للمجذومين بالإقامة في منطقةٍ مُحدَّدةٍ داخل باب النَّبي داود جهة الشرق، وأُطلِق عليها "حارة

---

[١٣٥] المجلة الطّبية العربية الفلسطينية، السّنة الثّانية، 6#، أيلول 1947م، ص 114.

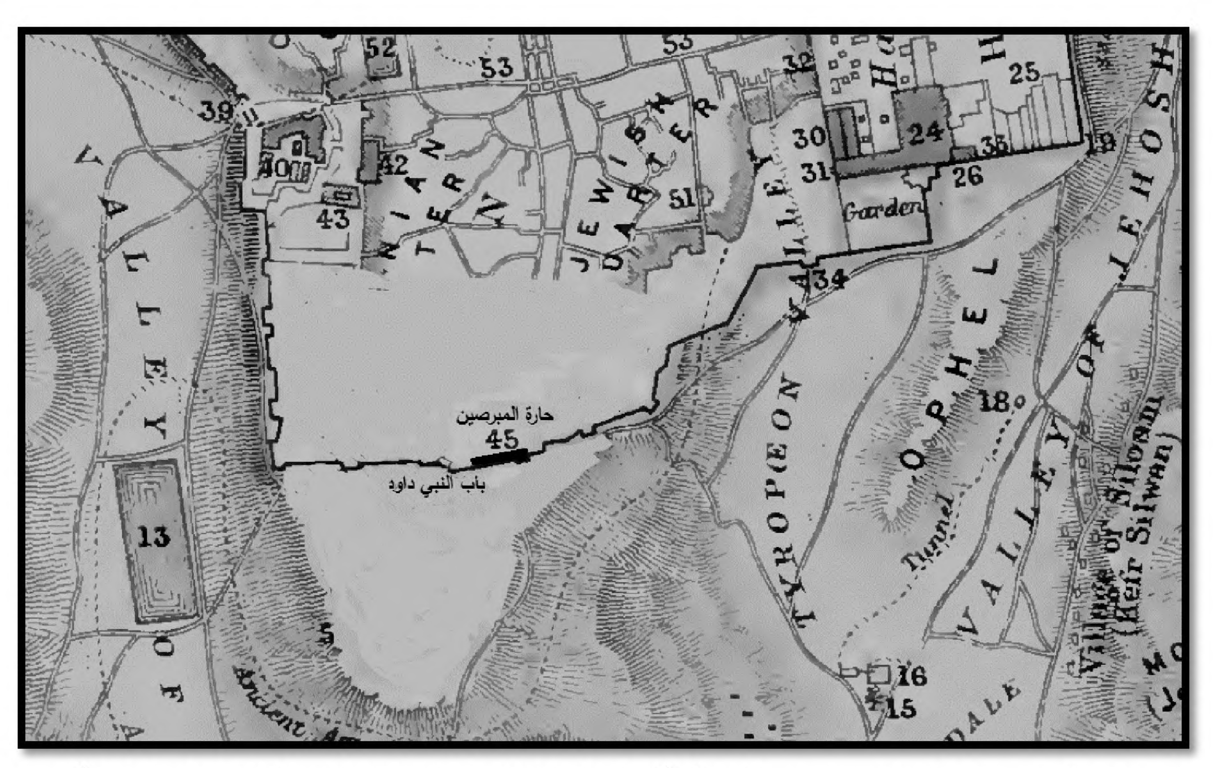
[١٣٦] س ش 69/ 131، 20 جمادى الأولى 997هـ.

[١٣٧] س ش 96/ 225، 20 ربيع الآخِر 1024هـ.

[١٣٨] س ش 256/ 25، أواسط جمادى الآخِرة 1196هـ.

[١٣٩] مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة ١٩١٨، ص 79.

المبرصين" أو "ساحة المساكين" منذ عام ١٢٣٠هـ/١٨١٥م على الأقل[١٤٠]. وقد وَصَفَ جيمس باركلي أكواخَهم الحَقيرة خلال إقامتِه في بيت المقدس، خلال المدة (١٢٦٩- ١٢٧٣هـ/١٨٥٣- ١٨٥٧م)[١٤١]. وبقيَ المَجْذومون يقيمون فيها حتى عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م على الأقل، حيث ظَهرَ موقعُهم على خارطة تومسون W. Thomson، وأَطلَقَ عليها قريةَ البرص Lepers Village.



مقطعٌ من خارطة تومسون، التي أعدَّها عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م، وتَظهرُ فيها حارةُ المُبرَصين، داخل باب النبي داود، برقم ٤٥.

وقد وَصفَ الرَّحالةُ بورتر Porter حالَهم، عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م، فقال: "توجد داخل باب النَّبي داود أرضٌ خلاءٌ، وفيها يَرى المرءُ أبشَعَ منظرٍ في القدس على الإطلاق. فهناك عددٌ قليلٌ من الأكواخ الحقيرة المتهدِّمة، يَسكنُ غالبيّتَها مرضى البَرَص، حيث يجلسون القرفصاء وسط الغبار، ويتسوَّلون من أيّ أحدٍ يدخل من الباب أو يخرج منه. أصواتُهم

[١٤٠] س ش 298/ 124، أواخر ربيع الأول 1230هـ. س ش ٣٣٤/ ٧٣، ٢٦ ج١ ١٢٦٨هـ. س ش ٣٤٥/ ١٨٤، أواسط مُحَرَّم ١٢٧٩هـ.

[141] The City of the Great King, p. 437.

خافتةٌ، وملامحُهم مشوَّهةٌ بسبب التَّقرُّحات والانتفاخات، حتى أنَّك تكاد لا تميّزها. وفي حالات عدَّة تآكلت أصابعُهم وأياديهم وأقدامُهم. ويبدو أنَّه المكانُ الوحيدُ الذي يُسمَح لهم المكوث فيه، حيث يتحاشاه السُّكّان. ورسم بورتر صورةً يدويَّة لشيخِهم[١٤٢].



صورةٌ حديثة لساحَةِ المَساكين. (تصوير بشير بركات، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).

ثمَّ إنّ "كونراد شيك" ذَكرَ في تقريرٍ كَتبهُ في ١١ جمادى الآخِرة ١٣٠١هـ، وَفْقَ 8 نيسان 1884م، أنَّ تلك السَّاحة أصبحتْ موقعَ سوقِ الجمعةِ بعد طردِ المَجذومين منها[١٤٣]. ويبدو أنَّهم لجأوا إلى منطقةٍ خارجَ باب النَّبي داود، حيث يَظهرُ في الصُّورةِ الشَّمسيةِ الآتيةِ مشهدٌ لبعضِهم خارج السور عام 1314هـ/1896م.

142 Jerusalem, Bethany, and Bethlehem, p. 62, 63.

143 Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band VIII, (1885), S. 42.



مجذومون يتسوَّلون خارج سور القدس عام 1314هـ/1896م.
(المصدر: Underwood & Underwood Publishers, USA).

وقد تعاطف بعضُ سكّان القدس مع أولئك المرضى، ومنهم سلمى خانم بنت أحمد بدر الجاعوني، حيث وقفتْ عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م وقْفًا على بنتَيْها وذريتَيْهما، فإذا انقرضوا عاد وقْفًا على "المُصابين بداء الجُذام القاطنين في بيت المقدس، عافانا اللهُ وإياهم، يُصرَف في حوائجهم ولوازمهم، ما دام موجود منهم واحد، فإذا لم يَبق منهم أحد، عاد وقْفًا على مصالح المسجد الأقصى"[١٤٤].

ومن جهةٍ أخرى، أسَّست السيدةُ الألمانية "كيفنبرينك أشينراده" ملجأً كبيرًا للمجذومين قرب بركة ماملا عام ١٢٨٤هـ/1867م، ثم تولَّت إدارتَه جمعيةُ الإخوة البروتستانتية الألمانية "هيرينهوت"[١٤٥]. وكان يضمُّ ثماني غُرَف، وكان الإقبالُ عليه ضعيفًا بسبب نهجِهِ التَّنصيري الصَّريح. وقد

[١٤٤] الأوقاف في القدس وجوارها خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ص ٦١٩، نقلًا عن س ش ٤٠٣/ ١٥-١٧، ٢٤ جمادى الآخِرة ١٣٢٧هـ.

[145] Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XVIII, (1895), S. 35.

نُقلَ في عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م إلى مبنًى جديد شمالي الكولونية الألمانية في حيّ البَقْعَة[١٤٦]، وكان يتَّسعُ لستِّين مريضًا[١٤٧].

وقد سعَت تلك الجمعية إلى إيواء مَجذومي فلسطين كافَّة فيه، بهدف حصرِ ذلك المرض في الملجأ والقضاء عليه. وبذَلَ مؤسِّسو الملجأ وداعموه جهدَهم لتحقيق هدفهم، الذي وَصَفه الطبيب الألماني ماكس زاندريسكي Dr. Max Sandreczky بأنَّه يبدو دينيًّا أكثرَ منه عِلميًّا. وأشار إلى تَلَكُّؤ السُّلطات العثمانية في تقييدِ حركةِ أولئك المرضى، أو فصلِهم عن أزواجهم بالإكراه، ولذا بَقِيَ عددُ نزلاءِ ذلك الملجأ محدودًا جدًّا[١٤٨].

وقد عزا الطبيبُ المذكورُ أسبابَ انتشارِه في فلسطين، بين الفقراء فقط، إلى قلَّةِ النَّظافة، والهواء الفاسد داخل المساكن، وشُرب المياه الملوَّثة وتناول الأطعمة الفاسدة. وأضاف أنَّه حالما كانت تَظهر أيُّ علامة للجُذام على شخصٍ في إحدى القرى، كان يُطرَدُ منها إلى أقرب مدينة، فيعيش على صدقاتٍ يُرسلها له أقاربُه. وكان النَّاس يَخلِطون بين الجُذام والسِفْلِس، إلى أن أتيح إجراءُ فحصٍ في الملجأ للتأكُّد من المرض[١٤٩].

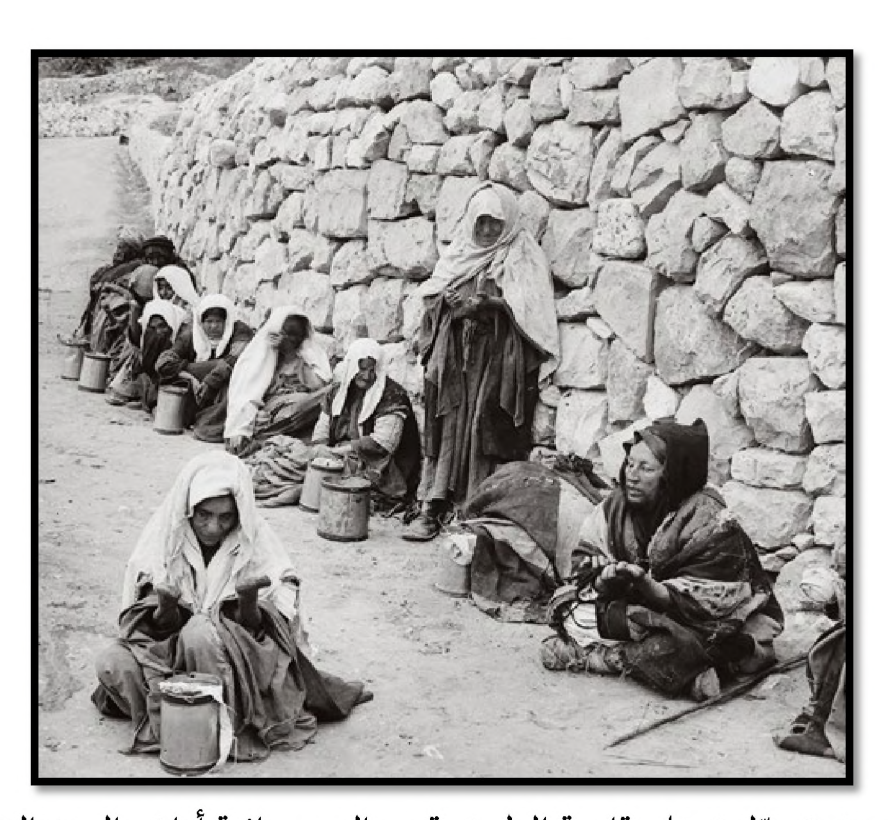
---

[١٤٦] سهلٌ يقع جنوب القدس في الجهة الغربية، على يسار المسافر إلى الخليل.

[147] Deine Mauer stehen vor mir allerzeit, S. 27.

[148] Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XVIII, (1895), S. 35.

[149] Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XVIII, (1895), S. 35, 37.



مَجذومون يتسوّلون على قارعة الطريق قرب الجيسمانية أواخِر العهد العثماني.

وقد نَشَرَ الدكتور الألماني آينْسلر Dr. med. A. Einsler، أحدُ الأطباء الذين عَمِلوا في الملجأ المذكور، مقالةً بعنوان "ملاحظاتٌ حول مرض الجُذام في الأراضي المُقدَّسة" عام ١٣١٠هـ/1893م، تناول فيها الادِّعاءَ بأنَّه مرضٌ طفيليٌّ مُعدٍ، ينتقل عبر اللَّمس، لكنّه رجَّح بأنَّه مرضٌ وراثيٌّ أكثر منه وبائي. وأشار إلى أنَّه منذ تأسيسِ ذلك الملجأ لم يُصَب أيُّ أحدٍ من الأطباء أو الممرضات به، رَغْمَ ملازمَتِهم للمرضى وملامَستِهم، وغسلِ ملابسِهم الداخلية، وغير ذلك من الممارسات التي تؤدّي إلى انتشار الأوْبِئَة عادةً. وذَكر أنَّ الجُذامَ المعروفَ في فلسطين يختلف كثيرًا عن الجُذامِ المنتشر في دول الشَّمال، كالنرويج والسُّويد وروسيا[١٥٠].

ثم نَشر الدكتور ماكس زاندريسكي مقالةً أخرى في عام ١٣١٢هـ/1895م، أيَّدَ فيها رأي آينسلر، وقال إنَّه حسب خبرتِه، فإنَّ مرضَ الجُذام في فلسطين غير مُعدٍ، وإنَّه خلال عشرينَ سنةً مضت لم يَنتقل ذلك المرض إلى أي طبيبٍ أو ممرِّضٍ يعمل بالملجأ المذكور[١٥١].

---

150 Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XVI, (1893), S. 247.
151 Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XVIII, (1895), S. 35.

وقد زارَ جرجس الخوري الملجأ خلال زيارته للقدس في رمضان ١٣٣١هـ/آب ١٩١٣م، ووصَفه فقال:

"في أورشليم عددٌ ليس بقليلٍ من المستشفيات المجانيَّة التي يَخدم أربابُها، بواسطتها، الإنسانية. ومن هذه مستشفى البُرص الألماني. ذهبنا إليه مع أحد الفُضلاء الذين لهم علاقةٌ فيه، وهو القِس فرهود قربان. والمستشفى واقعٌ إلى الجهةِ الغربيةِ من المدينةِ، في مكانٍ يُسمَّى البَقْعَة. فلمَّا دخلنا شاهدنا المُجْذَمين، نساءً ورجالًا، يَسرَحون في باحاتِه الجميلة، ويا لِكراهةِ منظرهم. إنَّ داءَ البرصِ الخبيث أو الجُذام، ينتشر في البَدَن، ويُحدِث تقرُّحًا ينتهي إلى تآكل الأعضاء وسقوطها. ولعلَّه هو الذي يُسمَّى "داء الأسد". وإنَّ أصابعَ المجذومين الذين نراهم أمامنا قد تكربَشت وتقبَّضت، ووجوههم قد تجهَّمت، وبشَّعها المرضُ تبشُّعًا مُخيفًا. وقد كنّا ننظر إليهم باشمئزازٍ مبتعدين عنهم، ولكنَّ اشمئزازنا كاد يزول عندما شاهدنا بعضًا من ممرِّضاتهم، أي الرَّاهبات الألمانيات، اللواتي يُشبهن البُدور، واقفاتٍ يَعصِبْن جراحاتِ أولئك المرضى، وهنَّ باسمات الثُّغور. فقلنا: ما أسمى النَّفس إذا تهذَّبت، وارتقت في سلَّم الإنسانية"[١٥٢].

وقد تولَّى الدكتور توفيق كنعان رئاسةَ ذلك الملجأ منذ عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م وحتى نهاية الاحتلال البريطاني[١٥٣]. وكان من أبرز الأطباء الذين ساهموا في اكتشاف طبيعة الجُذام وتطوير علاجٍ شافٍ منه[١٥٤]، حتى تم القضاء عليه بالتمام في نهاية المطاف. وكان مِن بين مَن أُدخِلوا في الملجأ المذكور أحدُ سكّان بيت حنينا، حيث عاد من أميركا عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣م مصابًا بمرض الجُذام، فطَلَبت زوجته الطَّلاق منه[١٥٥].

واستمرَّ العملُ فيه حتى النكبة، حيث تمَّ طَرْدُ المجذومين العرب منه، فساروا على الأقدام إلى سلوان ليُقيموا في الملجأ الآتي ذكرُه. ثمّ إنّ اليهود طَرَدوا آخِرَ مُمرِّضتَيْن ألمانيتَيْن منه عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ضِمن خمسين ألمانيًّا غير يهودي مِن فلسطينَ المُحتلةِ. ثم أسَّسوا في موقعه "مستشفى هانزن للمجذومين" Hansen Lepers Hospital، حيث

---

[١٥٢] سياحات ومشاهدات، ١/ ٤٩.

[١٥٣] شخصيات القدس في القرن العشرين، ص 178.

[١٥٤] توفيق كنعان، تقويم جديد، ص 78.

[١٥٥] س ش 424/ 225، 22 جمادى الأولى 1341هـ.

تضاءل العملُ فيه لقلَّةِ أعدادِ المجْذومين بسبب تطوّر التقنيات الطبية، حتى تمّ إغلاقه عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، فحوَّلتْ بلديةُ القدس الغربية مبْناهُ إلى متحفٍ للفنون[١٥٦].

ومن جهةٍ أخرى، كان والي القدس العثماني قد أنشأ "ملجأ المجذومين" أو "ملجأ البُرص"، عام ١٢٩١هـ/١٨٧٥م، في مبنى يقع قرب بئرِ أيوبِ جنوبيّ سلوان[١٥٧]. وتمَّ إجبارُ مرضى الجُذام على الإقامة فيه. وكان مؤلَّفًا من أربع غرفٍ فقط، أقام فيها نحو ٣٢ مجذومًا[١٥٨]. وكانوا 'يتسوَّلون نهارًا، ويأْوون هناك مساءً'[١٥٩]. وقد بلغ عددُ المصابين بالجُذام في مختلف أنحاء فلسطين عام ١٣١١هـ/١٨٩٤م حوالي 600 شخص[١٦٠].



صورةٌ لحيّ اليمن، جنوبيّ جبل سلوان، التُقطتْ عام ١٣٠٨هـ/١٨٩١م.
وأعتقدُ أنَّ ملجأ المَجذومين هو الظاهر أسفلَها جهة اليمين.

---

156 www.firststation.co.il.

157 Palestine Exploration Fund, Quarterly Statement, (1895), p. 329.

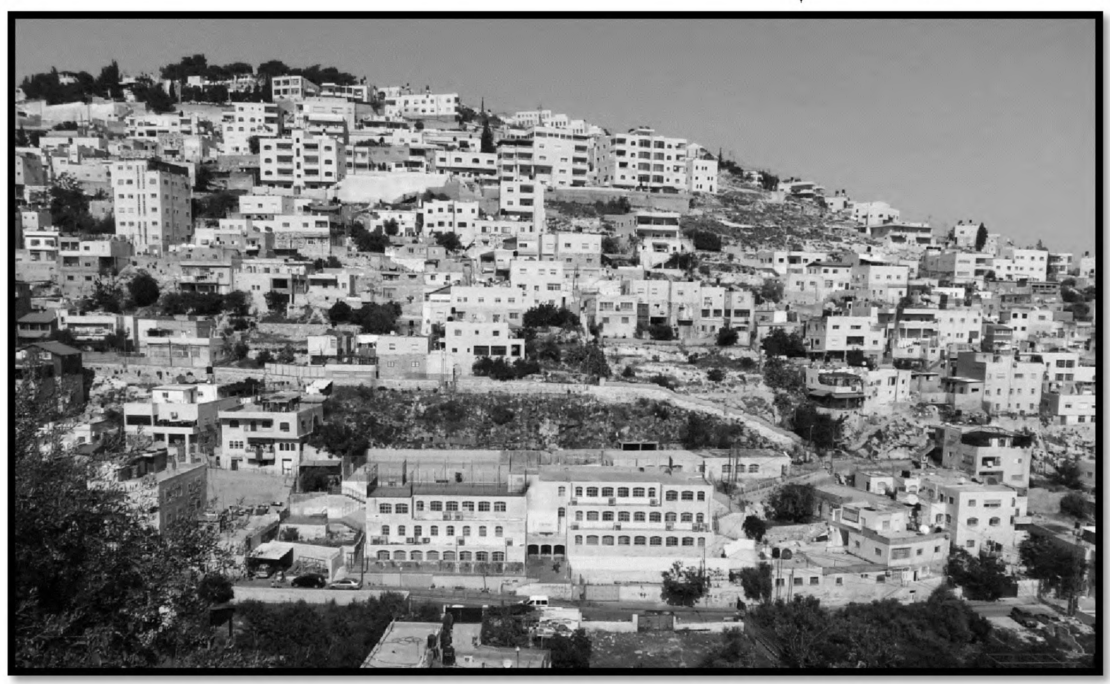
١٥٨ مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة ١٩١٨، ص 218.

١٥٩ الدّليل على مزارات اليهودية والجليل، ص 167.

160 Die Zeitschrift des Deutschen Palästina- Vereins, Band XVIII, (1895), S. 35.

وقد عُرِفَ بملجأ المساكين لدى السكَّان المحليّين[١٦١]، وبمستشفى البُرص لدى الدَّوائر الحكوميَّة في العهد الأردنيّ، واستمرَّ العملُ فيه حتى مُحَرَّم ١٣٨٠هـ/تموز ١٩٦٠م، حيث تمَّ إنهاء عقد استئجار المبنى[١٦٢]. وفي غضون ذلك، كان الطبيب توفيق كنعان قد فَرغَ من الإشراف على تشْييد مبنًى جديدٍ خاصّ بالمستشفى، على جبل النجمة الواقع في قرية سُردا شمالي مدينة رام الله، في العام المذكور[١٦٣].

أما الملجأ القديم في سلوان فقد هدمتْهُ السلطات الإسرائيلية حوالي سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، وشيَّدت في موقعه "مدرسة سلوان المُختلَطة" سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.



مدرسة سلوان المُختلَطة التي شُيِّدَت في مَوْقع ملجأ المجذومين عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. (تصوير بشير بركات، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

مرض التِّيفوئيد

يُسبِّب مرضُ التِّيفوئيد typhoid حُمًّى وقشعريرةً وطفَحًا في الجلدِ وتَضخُّمًا في الطّحال، وأحيانًا التهابًا وتضخُّمًا في المرارة. وهو ينتشر في الصَّيف خاصّةً، وذلك عن طريق المُلامسة أو تناول أطعمةٍ ملوَّثةٍ بجراثيمَ

---

[١٦١] حسب إفادةِ بعضِ مُعَمَّري حيّ سلوان (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

[١٦٢] وقائع وقررات مجلس أمانة القدس، رقم ١٨، عام ١٩٦٠م.

[١٦٣] وقائع وقررات مجلس أمانة القدس، رقم ١٨، عام ١٩٦٠م. تقويم جديد (توفيق كنعان)، ص 83.

من نوعِ السَّالمونيلا. وكان منتشرًا في فلسطين قبل أن يَعرِف الأطباءُ تشخيصَه، فلم يَعلَموا بوجوده[١٦٤]. وكان الدكتور توفيق كنعان أول مَن شخَّصه في فلسطين، وذلك على مريضٍ من أهالي بيت لحم، حيث طَلَب توفيق من طبيبٍ بريطاني، يُدعى ميلنس، أنْ يفحص دمَه، فتثبُتَت إصابتُه بالتِّيفوئيد، وذلك خلال زيارة الطبيب للقدس عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م[١٦٥].

وقد أُصيبَ به بعض سكّان القدس في صيف عام 1334هـ/1916م[١٦٦].

وحيث أصبح التِّيفوئيد أحد الأوْبِئَة الأكثر انتشارًا في فلسطين بعد احتلالها، فقد شكَّلت حكومةُ الانتدابِ لُجنةً لمكافحته[١٦٧]. وتشير إحصاءاتٌ نشرَتها تلك اللُّجنة إلى أن ٧٠- ٨٠ بالمئة من الإصابات به في الأعوام ١٣٤٢- ١٣٤٤هـ/١٩٢٣- ١٩٢٥م، كانت بين اليهود، وذلك استنادًا إلى بياناتٍ أصدرَتْها مختبراتُ هداسا ومستشفياتٌ يهوديةٌ.

وفي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦هـ، بلغ عددُ الإصابات بالتِّيفوئيد بين العرب في فلسطين ٢٩١ إصابة، (من بينها ٢٨ حالة أدَّت إلى الوفاة)، وشملَتْ ١٢٧ إصابةً في القدس، (من بينها ١٥ حالة أدَّت إلى الوفاة). أمّا في الوسطِ اليهودي، فقد بلغت ٧٩٧ إصابةً، (من بينها ٤٨ حالة أدَّت إلى الوفاة)، وشملت ١٧١ إصابةً في القدس، (من بينها تسع حالات أدَّت إلى الوفاة)[١٦٨]. ولذلك، رَبطَ البعضُ بين انتشاره وبين الهجرة اليهودية، وعزا كلِغلِر Kligler، أحدُ الباحثين في الجامعة العبرية آنذاك، ذلك إلى الأزمة الاقتصادية التي طرأت في العام المذكور، ممّا ساهم في سوء التَّغذية بين اليهود. وأضاف كلِغلِر أنَّ التيفوئيد يُصيب الناس من مختلف الأعمار والأجناس، ذكورًا وإناثًا[١٦٩].

---

[١٦٤] وتجدُرُ الإشارةُ إلى أنَّه كان معروفًا لدى الأطباء في العاصمة، فقد توفِّيَ روحي الخالدي بالتيفوئيد بالمستشفى الفرنسي بالأستانة عام 1331هـ/ 1913م. (جريدة فلسطين، 7 رمضان 1331هـ/ 9 آب 1913م، ص 3).

[١٦٥] المجلة الطبية العربية الفلسطينية، السنة الثالثة، 2#، كانون الثاني 1948م، ص 21.

[166] Our Jerusalem, p. 253.

[167] Study on the Epidemiology of Typhoid Fever, pp. 14.

[١٦٨] وتوفِّيَ به صلاح الدين بن مصطفى الخالدي (15 عامًا) سنة 1347هـ/ 1928م. (جريدة فلسطين، 19 جمادى الأولى 1347هـ/ 2 تشرين الثاني 1928م، ص 5).

[169] Study on the Epidemiology of Typhoid Fever, pp. 16, 21-28.

ثم إنَّ الدكتور توفيق كنعان رصدَ ٦٥٠ إصابةً به في المدَّة ١٣٤٤-١٣٥٦هـ/١٩٢٥- ١٩٣٧م، من بينها ٤١٤ حالة عالجها بنفسه في المستشفى الألماني، والباقية سُمح له بالاطِّلاع على وثائقها في المستشفى الحكومي، مشيرًا إلى أنَّ إصاباتٍ أخرى كثيرةً كانت منتشرة، ولم يُكشَف عنها لعدم توجُّه المصابين للفحص[١٧٠].

ومع تطوُّر الخدمات الصِّحية في فلسطين، أصبحتْ معالجةُ هذا المرض هيِّنةً، ولذا أخَذَ بالتَّراجع سريعًا، باستثناء المدَّة ١٣٥٩-١٣٦٢هـ/١٩٤٠- ١٩٤٣م، حيث ارتفع بشكلٍ ملحوظٍ، فبلغ عددُ المصابين به ٣٧٩٣ شخصًا، من بينهم ٢٤٩١ عربيًّا و ١٣٠٢ يهوديًّا. ثم بدأ عدد الإصابات بالتَّراجع تارةً أخرى[١٧١].

مرض التِّيفوس

يُعدُّ مرضُ التِّيفوس typhus من الأمراضِ المُعديةِ التي تُسبِّب الصُّداعَ والقشعريرةَ والحُمّى والطَّفح الجلدي. وهو ينتشر خاصّةً في المناطقِ المنكوبةِ بالحروبِ والمجاعات، وغالبًا ما ينقلُه القملُ في المناطق القذرة من شخصٍ إلى آخر.

وقد تُوفِّي ثمانيةُ حُجّاجٍ ألمانٍ بالتِّيفوس أو الدُّزنتاريا في القدس سنة ١٣٢٢هـ/1904م، وتُوفي قَسّيسٌ ألمانيٌّ شابٌّ، وزوجتُه، بالتِّيفوس في بيت لحم سنة ١٣٣٠هـ/1912م[١٧٢]. وأصيبَ به بعضُ سكان القدس خلال الحرب العالمية الأولى، في جمادى الآخِرة 1333هـ/نيسان 1915م، وفي رَجَب 1333هـ/أيار 1915م[١٧٣]، وتُوفِّي به الشَّاب أحمد بن رشيد النَّشاشيبي[١٧٤].

واستمرَّ انتشار وباء التِّيفوس في القدس في العام التالي. ولذا تمّ تخصيص المستشفى البلدي، الذي شيَّدته بلدية القدس في حي الشيخ بدر

[١٧٠] المجلة الطِّبية العربية الفلسطينية، السّنة الثّالثة، 2#، كانون الثّاني 1948م، ص 22.

[١٧١] المجلة الطِّبية العربية الفلسطينية، السّنة الثّالثة، 2#، كانون الثّاني 1948م، ص 25.

[172] Seuchen-, insbesondere Malaria-Bekämpfung, in Jerusalem, S. 315.

[١٧٣] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص ١٨١، 202.

[١٧٤] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص 216. وهو أخو راغب النَّشاشيبي.

عام ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م[١٧٥]، للمصابين بهذا الوباء، حتى أنّ مديره الدكتور فوتيوس إقليدس Euklides قد توفّي به عن ٥٤ عامًا، رَغْمَ أنه كان يكوي ملابسه كافّةً يوميًّا للوقاية[١٧٦]. وكان ذلك في شهر رَجَب ١٣٣٤هـ/أيار ١٩١٦م، حيث تُوفِّي كثيرون آخرون، وكان منهم باسكال ساروفيم[١٧٧]، والأب إينريك الفرنسيسكاني، وحنّا بطاطو، وفقراء كثيرون من مختلف الأديان. وحدَثَ أنْ تُوفِّي به ٩٧ شخصًا في يومٍ واحدٍ. وفي ١٦ رجب، وَفْقَ ١٩ أيار، بلغ عددُ الإصابات في القدس ١٢٥٠ إصابةً. ثم بدأ التِّيفوس بالانحسار عن القدس في ٢٣ رَجَب ١٣٣٤هـ، وَفْقَ ٢٦ أيار ١٩١٦م، وتوفِّيَ به محمد سعيد بن محيي الدين الخالدي[١٧٨].

وتوفِّيَ به إبراهيم الشمّاس مفتشُ المعارف في لواء الشمال، ونُقِلَ جثمانُه للدفن في القدس، عام 1346هـ/ 1927م[١٧٩].

وباءُ الجَدَري

يُعدُّ الجَدَري smallpox من الأمراض الفيروسيَّة المُعدِية، حيث ينتشر عبر التَّنفس أو اللَّمس. وقد يؤدِّي إلى الوفاة، أو يسبِّب تشوُّهاتٍ مُستديمة، وأحيانًا العمى. ويقال إنه تمَّ القضاءُ على جرثومته على كوْكب الأرض عام 1400هـ/1980م.

وكان أهلُ القدس يتوجَّسون خيفةً من عدوى الجَدَري، فعندما تُوفِّي بدويٌّ بعد إصابته به في سجن النيابة[١٨٠]، في أواخر جمادى الأولى

---

[١٧٥] دراسات في تاريخ بيت المقدس، ص 224.

[١٧٦] مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة ١٩١٨، ص 219-220، 267.

[١٧٧] وصفه بايوبار Ballobar بأنه طبيب يوناني، حيث خَلط بينه وبين شخص آخَر. أمّا هذا، فهو باسكال بن متيا بن ساروفيم اللاتيني، الذي تخرَّج من جامعةٍ فرنسيةٍ ثم عُيِّن مهندسًا في بلدية القدس، وصمَّم برج السَّاعة الذي شُيِّد فوق باب الخليل. (القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية، ص 333). وقد تُوفّي في محلة المصرارة في 3 أيار 1916م، حسبما ورد في سجلات محكمة القدس الشَّرعية. (س ش ٤١٤/ ٥٥، #١٣١، ٢٨ شعبان ١٣٣٤هـ). وكنتُ قد عثرتُ على أخطاء أخرى عدَّة في كتاب Jerusalem in World War I: The Palestine Diary of a European Diplomat، ولا مَجال لذِكْرِها هنا.

[178] Jerusalem in World War I: The Palestine Diary of a European Diplomat, p. 95-97.

[١٧٩] جريدة الجامعة العربية، 3 صفر 1346هـ/ 1 آب 1927م، ص 4.

٩٧٥هـ/١٥٦٧م، أمَرَ قائدُ عَسَسِ المدينةِ بدفنِه دون غسيل، لكنَّ الأهالي لم يُنفِّذوا أمرَه، فغسَّلوا الميِّتَ ودفنوه في مقبرة ماملا[١٨١].

وذَكَرَ المطران صمويل غوبات Samuel Gobat، أنّ وباءَ الجدري انْتَشَرَ في بيْت المَقْدِسِ خلال شتاء عام ١٢٧٠هـ/1853-1854م، فقَضَى على حَوالي عُشْرِ سُكّان المدينة[١٨٢].

ثم إنّ بيرثا سبافورد Bertha Spafford ذَكرتْ أنَّ الجَدَريّ انتشر في القدس قبل عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، فبعد أنْ زارت عائلتُها دارَ صديقٍ مقدسيٍّ، أخبَرهم أنَّ أهلَه مصابون بالمرض، فخرجوا على الفور، لكنهم حَملوا معهم العدوى[١٨٣].

وقد سنَّت الحكومةُ قانونًا في ١٧ مُحَرَّم ١٣١٢هـ، وَفْقَ ٢١ تموز ١٨٩٤م، يقضي بتطعيمِ السُّكان كافَّةً ضدَّ وباء الجَدَري. فتمَّ تطعيمُهم مرةً واحدةً، ولم يُطعَّموا في السنوات التالية. فلما انتشر الوباء في القدس في ربيع الآخر ١٣١٨هـ/آب ١٩٠٠م _ويُعتقد أنَّه كان قد وصل من مِصر_ أصاب بضعة أشخاصٍ بالِغين في مطلع الشهر، وكانت إصاباتهم طفيفة. إلا أنَّه سرعان ما انتشر بشدَّة أواسط الشهر، حتى أنَّ نصف الذين أصيبوا به تُوفُّوا. ولُحِظَ أنَّ غالبية المصابين كانوا شبابًا، أو تزيد أعمارهم عن سبع سنين، من الذين لم يُطعَّموا.

وقد نجا الأجانب من ذلك الوباء، حيث تمَّ تطعيمُهم أجمعين في مدارسِهم وأديرتِهم ومؤسساتِهم. ثمّ ازداد هذا الوباءُ انتشارًا في الأشهر التالية، حيث بَلَغَ ذروَتَه في تشرين الثّاني، فقرَّرت الحكومة تطبيق قانون التَّطعيم بصرامة. وفي شوّال ١٣١٨هـ/شباط ١٩٠١م، كان عددُ المصابين به في القدس وضواحيها قد بلغ ما بين ١٥٠٠ و ١٦٠٠ إصابة، من بين السكان الذين بلغ عددُهم آنذاك ستين ألفًا. وبلغ عدد المُتوفّين به ما بين ٣٥ و ٤٠ شخصًا. وأُصيبَ بعضُهم بالعمى. وكان أكثر انتشارًا بين المسلمين. أما الأرمن، الذين كانوا يُعتبرون من أكثر السكّان "المُتنوِّرين"

---

[١٨٠] كان موقعه آنذاك فيما يعرف حاليًّا بمسجد عمر بن الخطاب، المقابل لكنيسة القيامة من الجهة الجنوبية، أسفل المئذنة الأفضلية. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 46).

[١٨١] س ش 51/ 45، أواخر جمادى الأولى 975هـ.

[182] Samuel Gobat, Bishop of Jerusalem, his life and Work, p. 309.

[183] Our Jerusalem, p. 114.

في المدينة، فقد أصيبت به من بينهم فتاةٌ واحدةٌ فقط، وتُوفِّيت به، ذلك أنّها رفضت التَّطعيم. وكان الجَدَري قد انتقل إلى يافا أيضًا، حيث أُصيبَ به أربعةُ أشخاص من الجاليةِ الألمانيةِ فيها، التي بلغ عددُها ٥٢٠ شخصًا آنذاك، وتُوفِّي أحدُهم بذلك المرض. ثم بدأ الوباءُ بالانحسارِ عن يافا في شَوّال ١٣١٨هـ/شباط ١٩٠١م[١٨٤].

ثمَّ انتَشر الجَدَري في القدس تارةً أخرى خلال الحربِ العالميةِ الأولى. وكانت ابنةُ عبد السَّلام الحسينيّ، إحدى ضحاياه، حيث تُوفيت عن عُمرٍ لم يَزِد عن ثلاثين عامًا، وذلك في 3 رَجَب 1333هـ، وَفْقَ 16 أيار 1915م[١٨٥]. واستمرَّ الوباءُ حتى أواخر العام المذكور على الأقل[١٨٦].

وخلال الاحتلال البريطاني، عَيّنت بلديةُ القدس مأمورًا للتَّلقيح ضدَّ مرض الجَدَري[١٨٧]، للأسبابِ المذكورةِ آنفًا.

وباءُ السُّل

انتشرَ وباءُ السُّل tuberculosis في بَيْتِ المَقْدِس عبر العصور. ويُطلَق عليه أيضًا مرضُ التدَرُّن، حيث تُسبِّبُهُ جرثومةٌ تُدعى عصية الدَّرن، التي تُصيب الرئتين بشكلٍ خاص. وقد تُصيب الكِلى والغُدد الليمفاوية وغيرها، وتُؤدّي إلى الوفاة ما لم تُعالَج. وكان الطبيبُ الألماني روبرت كوخ قد اكتشف جرثومَتَه عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م.

وقد أصيبَ بالسُّل بعضُ سكان القدس عام 1329هـ/1911م، فوصَفَهُ الدكتور إلياس حلبي (ت 1337هـ/1919م)[١٨٨]، في مقالةٍ نشرتها مجلةُ المقتطَف، وتحدَّث فيها عن أسبابِ انتشاره. ولأهميتِها أنقلُها مختصرةً فيما يأتي، فهي تصِفُ، بلا ريبٍ، أسبابَ انتشار أوبئةٍ أخرى خلال العهد العثماني:

'انتَشَرَ هذا المرضُ في القدس مؤخّرًا انتشارًا هائلًا، حتى أنَّ الطبيب لا يكاد يمرُّ به يومٌ إلا ويُعاين واحدًا أو اثنين من المَسْلولين. ولا

---

184 Smallpox in Jerusalem and Jaffa in 1900 and 1901, p. 661.

١٨٥ عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص 201.

186 Our Jerusalem, p. 235.

١٨٧ تقرير هيئة بلدية القدس عن سنة 1936-35، ص 19.

١٨٨ كان يُدير مستوصفًا في القدس آنذاك. وهو أخو الصيدلي أنطوني الحلبي. (يوميات خليل السكاكيني، 3/ 158. مباحث في التاريخ المقدسي الحديث، 1/ 99).

يكاد يفحصُ عشرةَ أشخاصٍ، حتى يجدَ في واحدٍ أو اثنين منهم علاماتٍ تَدلُّ على أنَّ هنالك عدوًّا كامِنًا يتحفَّز لمهاجمةِ الجسم والفتكِ به. فرأيتُ، والحالة هذه، أن أُطْلِع الجمهورَ على أهمِّ أسباب هذا المرض الوبيل، وأهمِّ الطُّرق والعادات المحليَّة، التي عمِلَت وتعمل على انتشاره. وآمل أن يكون من ذلك فائدةٌ كبيرةٌ للخاصَّة والعامَّة. فإنَّ انتشار هذا المرض في هذه البلاد قد بلَغَ حدًّا لم يَعدْ في وُسعنا السكوت عنه.

أولًا: البيوت.

من يَزُر دُور الوطنيين داخل البلدة _فقراءَ وأغنياء_ يرَ أنَّ أكثرَ المنازلِ عبارةٌ عن ساحةِ دارٍ ضيّقةٍ، بُنِيَ على جوانبها بيوتٌ رطبةٌ مظلمةٌ، تُطلُّ شبابيكُها على تلك السَّاحة. وأكثرُ هذه الغرف لا تدخلُها الشمسُ مطلَقًا، أو إنْ دخلَتها فهي لا تتجاوز العَتبَة. ومنها عددٌ، ليس بقليل، لا يدخلها النُّور إلا ضئيلًا. فقد دُعيتُ، غيرَ مرّةٍ، لزيارةِ مرضى في بيوتٍ، كنتُ أحتاج فيها إلى إنارة القنديل أو الشَّمعة في رابعة النَّهار، لأتمكَّن من فحص لسان المريض. أما هواء الغرف، فبعضُه لم يتجدَّد منذ زمنٍ طويلٍ. وليس ثمَّ أعظم من الرطوبةِ والظُّلمةِ أسبابًا لنمو الميكروبات. ولهذا، فإنَّ هذه المنازل لا تخلو من المَصْدورين، أو المصابين بأوجاعِ الرأسِ والمفاصل والكلى، فضلًا عن الجمودِ والخمولِ.

يقولُ الناس: إنَّ المنازلَ طوالع، فطالعُ هذه الدار جيدٌ، وطالعُ تلك رديءٌ. صَدَقوا في ما يقولون. ولكنَّ سبب ذلك كله ما تَقدَّم ذكرُه من الأحوال الصِّحية، وليس الأبالسة والأرصاد. والخلاصةُ أنَّ هذه المنازل الرَّطبة التي يسكُنها أولئك الفقراء المساكين والأغنياء الأغبياء، سببٌ من الأسباب المُهمَّة التي تعمل على انتشار السُّل في البلاد، وخيرٌ للإنسان أن يَسكُن في بيتٍ حقيرٍ، من خشبٍ أو صفيحٍ أو شعرٍ، من أنْ يَسكُن في تلك المنازل الحجرية التي لا تختلف كثيرًا عن القبور. وما يُقال عن البيوت يُقال عن كثيرٍ من الدَّكاكين في خان الزَّيت وسوق العطَّارين والسُّوق الكبيرة.

ثانيًا: المُهاجَرة.

إنَّ أكثر المهاجرين هم من الذين فرغَت جيوبُهم وضاقت في وجوههم أسبابُ المعاش، فذهبوا ولا يزالون يذهبون إلى أميركا أو غيرها، حيث عاشوا بالتَّقتير المفرط، وعانوا من التَّعبِ والنَّصَبِ أشكالًا

وألوانًا، فما انقضَت أشهرٌ أو أعوامٌ حتى اصفرَّت وجوههُم وهزُلت أبدانهم، ومرضوا في صدورِهم، وعادوا إلى البلادِ مَصْدورين مَسْلولين.
أخبَرَني أحدُ الثقات أنَّ أربعةً وعشرين شخصًا من المهاجرين اتفقوا على اكتراءِ غرفةٍ واحدةٍ للنوم، طلبًا للاقتصاد أو التَّقتير، ثم قسَّموا أنفسهم ثلاث فرقٍ، فكان كل ثمانيةٍ منهم ينامون في الغرفة ثماني ساعاتٍ مناوبةً. فكم يعيشُ أمثال هؤلاء، وهم على هذه الحال، بصحةٍ جيدةٍ وأجسامٍ نشيطةٍ.

ثالثًا: الأكل.

إنَّ أكثر الذين يُصابون بالسُّل على أنواعه، حتى السُّل الرِّئوي، تَنتقِل إليهم العدوى بطريق المَعِدة. وأهمُّ المأكولات التي ينتقل مكروب السُّل بواسطتها هي الحليب واللحم. هذه المعاليقُ[١٨٩] المصابةُ بالتَّدرُّن تُباع على رؤوس الأشهاد في السُّوق. هذه علّاقات الأمعاء، المعروفة عند العامةِ بالحلوانات، وفيها مئاتٌ من الغُدد المصابة، تؤكلُ دائمًا. وهذه الأغنام والأبقار الضَّعيفة تُذبَح كل يوم. مَرَّ أمام مستوصَفي في الأسبوع الفائت قطيعٌ كبيرٌ من البقر، فرأيتُ أنني لو فحصتُها فحصًا دقيقًا لما ألفيتُ بينها واحدةً سليمةً من السُّل، فقد كانت كلُّها عبارةً عن هياكلَ عظام، مُغشاةً بالجلد. فمثل هذه الأبقار تُذبح وتُباع كلّ يوم.

رابعًا: قِلَّة الرياضة.

إنَّ أكثر سكّان البلاد يميلون إلى الخمولِ والكسلِ، فيقضون ساعاتِ البطالةِ في قهواتٍ ضيِّقةٍ قذرةٍ، ويجلسون على أبوابِ المخازنِ يَتَنشَّقون الغبارَ وجراثيمَه المَرَضيّة، وليس بينهم مَن يهتمُّ بالمشي أو الصَّيدِ أو ركوبِ الخيلِ أو التَّصعيدِ في الجبال أو اللعبِ في المحلاتِ الطلِقةِ الهواء. ولستُ أدري كيف يطيق البعضُ حشرَ نفوسهم في هذه القهواتِ المظلمة، ولا سيَّما في أيام الشِّتاء، وكيف لا يختنقون والأبوابُ موصَدة عليهم، وبخارُ تنفُّسِهم المتكاثفُ يسيلُ على زُجاجِ الأبواب. على أنَّي لا ألوم هؤلاء الجُهلاء قدْر ما ألوم أعضاءَ بلديّتنا الذين يمرُّون بهذه المحلات كلَّ يوم، وهُم صامتون ولا هَمَّ لهم إلا زخرفةَ البلدةِ زخرفةً خارجيةً، ويُغفِلون هذه المحلات العمومية، التي هي عبارةٌ عن مُستنقعِ سمومٍ يُهدِّد سعادةَ الأهالي وصحةَ أجسامِهم وعقولِهم.

[١٨٩] جمع مِعلاق، وهو رئتا الذبيحة وملحقاتهما، التي تُعلَّق على علّاقةٍ أمام دكان القصَّاب.

كلُّ ما لنا من المُتنزَّهات العمومية بستانٌ ضيّقٌ يحيطُ به الغبار من كل جهةٍ[١٩٠]، فما ضرَّ البلديةَ لو سعَت في إيجاد بستانٍ فسيحٍ في مكانٍ طلقِ الهواء، بعيدٍ عن الغبار، وغرَسَت فيه أشجارَ الصنوبر، وجلبتْ إليه المياه الكافيةَ، وأفردت فيه محلاتِ الألعاب الرياضية المختلفة، فيقصدُه الناسُ من كل جهةٍ، يُروِّحون فيه نفوسَهم ويُروِّضون أبدانَهم.

خامسًا: إنَّ في البلاد عاداتٍ قبيحةً تساعد على انتشار السُّل، منها:

شرب النَّارجيلة في البيوت والقهوات، فإنَّ أطرافَ برابيج هذه النَّراجيل تَحملُ ملايينَ من الجراثيم المُعْدية، من ميكروبات السُّل وغيرها، وهي تنتقل من فمٍ إلى فمٍ، حتى تصل إلى جسمٍ نحيفٍ، وصدرُه ضعيفٌ، فتَفتِك به.

ومنها الأكل وشُرب القهوة والماء في المحلات العمومية. فإنَّ أصحابَ هذه المحلات لا يعتنون بتنظيفها، وإذا أرادوا ذلك فهم لا يَعرفون الطَّريقة لقتلِ الجراثيمِ العالقةِ بشفاهِ الفناجين والكؤوس والصُّحون.

ومنها طريقةُ شُرب الماء من الإبريق رأسًا، فإن بعض العائلات تشتري القُلَّة (الشُّربة)، أو الإبريق، فيكون بمثابة سبيلٍ يَشرب منه الجميع، إلى أن يُقضى عليه بالكَسر أو تَكثُر عليه الجراثيم العَفِنة، فتُفسِد طعمَ الماء فيه. وقد رأيتُ أُناسًا يرفضون الشُّرب بالكأس بدعوة أنَّ شُرب الإبريق أسيَغُ وألذّ.

ومنها بيعُ السُّوس والليمونادة. فيَشرَبُ من كأسٍ واحدةٍ ثلاثةُ أرباع سكان البلدة.

[١٩٠] يَقصِد متنزه البلدية الواقع شمالي عمارتها في بداية شارع يافا.



بائعُ شرابِ السوس في ميدان عمر بن الخطاب، خلال الاحتلال البريطاني.
(المصدر: المكتبة الوطنية في أستراليا، مجموعة هارلي، رقم ٣٧٨٢).

ومنها تقبيلُ الفم واليد في الزِّيارات. وهي عادةٌ قبيحةٌ اعتادت عليها الشَّابات، ولها يدٌ طويلةٌ في نقْل العدوى وانتشار الأمراض، وأقبحُ من ذلك تقبيلُ العجوزِ الحدْباء يدَ عجوزٍ أخرى، بدعوى أنَّها أكبر بسنةٍ واحدةٍ.

ومنها تقديم المُرَبَّيات في الأعياد والأيام الرسمية، فإنَّ الملاعق تنتقل من فمٍ إلى فمٍ، قبل أنْ تُنظَّف وتُطَهَّر التَّطهير الكافي.

ومنها تقبيلُ الميّتِ وبعض الأماكن الأثرية، مما أكتفي بالتَّنبيه إليه، فلا أخوضُ في البحث فيه، مخافةَ أنْ أَجرح عواطف بعض المتديّنين.

ومنها عادةُ البَصْق في الطُّرق والشَّوارع. فإن كثيرًا من الميكروبات لا تلبثُ أنْ تنتقلَ إلى الأيدي والأُنوفِ والأفواه، بواسطة الأحذيةِ والرياح.

ومنها عادةُ حَجْبِ النِّساء. فإنَّ كثيراتٍ منهن لا تقع الشَّمس على وجوههنَّ إلا نادرًا. فإذا كنَّ في البيت عِشْنَ في غُرفٍ مظلمةٍ. وإذا خرجنَ إلى السوق أَسدَلْنَ الحجابَ على وجوهِهن.

سادسًا: إنَّ في البلاد اعتقاداتٍ تساعد على انتشار السُّل.

منها السِّحر والجِنّ. فقد رأيت من وجهاء البلدة من يَنسُب السُّل إلى شُربِ كأسٍ مسحورةٍ أو ملازمةِ أحدِ أرهاطِ الجِنّ للمرض، فيأخذ في معالجة هذه الأشياء بالبخور والتَّعاويذ والصِّيام الطَّويل، فيُعَجِّل بذلك على حياة المصاب.

سابعًا: الوسخ.

زُرْ أيها القارئ الفاضل أيَّ شارعٍ تُحب أو أيَّ مدرسةٍ تريد، وراقب الأولاد وقت اللعب، وافحص أيديهم وأظافرَهم، وقُلْ ماذا تجد. تجد هناك أولادًا يَجمعون التُّراب، الذي هو عبارة عن مزيجٍ من الأقذارِ والميكروبات المُعديةِ، كُوَمًا وأهرامًا صغيرة. وهناك جماعةٌ تلعب بالكُلَل[١٩١]، فإذا عرِقَتْ يدُ الواحد منهم فَرَكَها بالتُّراب، ومسحَ أصابعه بشفَتيه. وهناك طائفةٌ تحمل حَفناتِ التُّراب، فتقذف بها على المارَّة. وثمَّ رهطٌ يجرُّ قطعةَ خشبٍ، وقد جلس عليها ولدٌ، والغبارُ يثورُ عليهم من كلِّ جهةٍ. هذا، وحبّذا لو وقفَت الحالُ عند هذا الحدِّ، فإن هؤلاء كلهم يذهبون توًّا إلى المائدة ويأكلون بأيديهم السَّامة، ويبلَعون ملايين من الميكروبات التي يحملونها على أيديهم وتحت أظافرِهم. إنَّ انتشارَ التهابِ اللوزتين والحَلق في الأولاد، وكثرةَ ما نراه فيهم من الالتهاب والتدرُّن في الغُدَد اللِّيمفاوية في العُنق، المعروف عند العامةِ بالخنازير، لا يفسِّره إلا هذا الوَسخ. أما الوَسخ في الآباء والأمهات والبيوت فليس بأقلَّ منه في الأولاد. ولو اهتمَّ الواحدُ منهم بغسلِ يديه بالماءِ والصَّابون جيّدًا قبل الأكل _والماءُ والصَّابونُ رخيصٌ_ لأَمِنَ كثيرًا من الأمراض.

ثامنًا: الجَهل.

وليس هذا بالسَّبب الضَّعيف، فإنَّ من النّاسِ مَنْ يُنكر وجودَ الميكروبات بتاتًا، ومنهم من يُنكر تشخيصَ الطَّبيب، أو إذا اعتقد بصِحَّته أخفى المسألةَ عن الغريب والقريب، حتّى المريض، لئلا يتأثر. فلا هذا يجتنبُ مؤاكلةَ الناس ومشاربهم وتقبيلَهم والبَصق في الممرّات العمومية، ولا الناس تحتَرِس من ذلك كله. ولو عرَفَت العامَّةُ ما في ذلك من الخطر على النّاسِ وعلى المريضِ نفسه، لما أقدَموا على كتمه عن أحدٍ. وكم

[١٩١] جمع "چل"، وهي كُراتٌ صغيرةٌ، تُقذَف إحداها على الأخرى. وكانت تُصنَع من طين مجفَّف صلب. ثم أصبحت تُصنع من الزجاج.

مُصابًا شُفي ثم أُصيب بالعدوى ثانيةً من بُصاقِه هو. ولو عَرَفَ أهلُ المريض أنَّ من أهمِّ شروطِ شفاءِ المريض الاحتراسُ من بُصاقه، لما أقدموا على إخفاء المرض عنه.

ومنهم مَنْ يُهمِل الاعتناءَ بالمصاب، متَّكلًا على الله أنْ يُجري في مريضه عجيبةً فيُشفى بلا تعبٍ ولا اعتناءٍ.

ومنهم من لا يهمُّهُ غير نفسه وأهلَ بيته، فإذا مات المريض باع كل ثيابه وقطع الأثاث الملوَّثة، للجيران أو بيد الدَّلال. وحبّذا لو مَنعت البلديةُ شراءَ الأثاثِ والثّيابِ القديمةِ وبيعها من دون تعقيمها أو إبراز شهادة من الطبيبِ بصحَّةِ أصحابِ تلك الثياب، لِكَون الطبيب هو المسؤول عن النتيجة.

تاسعًا: الفقر.

لمَّا كان اتّقاءُ هذا المرض بالغذاءِ الجيّدِ والسُّكنى في محلاتٍ مُطْلَقةِ الهواء، وكانت معالجةُ المَسلولين تتطلَّب بعض النفقة، كان الفقرُ من الأسبابِ التي تساعد على انتشار هذا الدّاء في البلاد. على أنّي أضع هذا السَّبب في المنزلةِ الأخيرة"[١٩٢].

انتهى كلام الدكتور إلياس حلبي.

وقد لَحَظَت السيدةُ روث ودسمول Ruth Woodsmall، عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، أنَّ مرض السُّل كان منتشرًا في الأحياءِ القديمةِ في نابلس، لأنَّ مبانيها متلاصقةٌ وطرقاتها مظلمةٌ وتهويتها رديئةٌ، وهو ما لَحَظَته في بغدادَ أيضًا. وكان من فوائدِ الزَّلزلةِ _وكلُّ فِعْلِ اللهِ خَيْر_ التي دمَّرت قِسمًا كبيرًا من نابلس عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م تشييدُ مبانٍ جديدةٍ خارج البلدةِ القديمةِ، مما انعكس إيجابيًّا على الصِّحةِ العامةِ. وأضافتْ أنّ الأمر كذلك بالنِّسبةِ لمدينةِ القدس، حيث كان السكّانُ من مُختلفِ الطَّبقاتِ يعيشون داخل السُّور في ظروفٍ غير صحيّةٍ جرّاء الاكتظاظ، فيما تمَّ بناءُ منازل جديدة، ذات حدائق، خارج السُّور[١٩٣].

وقد استمرَّ انتشارُ مرض السُّل في القدس خلال الاحتلال البريطاني، ويُروى أنَّ مواطِنين تُوُفّوا به عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

---

[١٩٢] "السُّل في القدس الشَّريف"، في: مجلة المقتطف، مجلد 39، ج3، رمضان 1329هـ، أيلول 1911م، ص 221-217.

[193] Moslem Women enter a New World, p. 291-292.

ولخطورة هذا المرض تمَّ تأسيسُ "جمعية مكافحة السُّل" في القدس، وكان من بين أعضائها الدكتور مهدي بن طاهر الحسيني (ت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، وعبد اللَّطيف بن ممتاز الحسيني (ت 1414هـ/1994م)[١٩٤].



الدكتور مهدي بن طاهر الحسيني، عضو جمعية مكافحة السُّل في القدس.

وتمَّ تشكيلُ "اتحاد الجمعيّات العربيّة لمكافحة السُّل في فلسطين". وقد عُيِّن الدكتور رأفت فارس "أمينَ السِّرِ العام" له، وسَبق له أنْ عمِل طبيبًا للأمراض الصدريّة في دائرة الصحّة العامّة في حكومة الانتداب، ثم مديرًا لـ "مستشفى بيت صفافا للأمراض السارية"[١٩٥]، الذي تأسَّس عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، وضَمّ أكثر من ٦٠ سريرًا، ثم تولّى إدارته الدكتور محمود الدجاني (ت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)[١٩٦]. وبعد الفراغ من علاج المريض، كان يُنقل للنَّقاهة في "مستشفى وَعَر كَتَن"، القائم في منطقة مرتفعة قرب القرية[١٩٧].

---

١٩٤ مباحث في التاريخ المقدسي الحديث، 1/ ٩٥، 193.

١٩٥ المجلة الطِّبية العربيّة الفلسطينيّة، السنة الثانية، 6#، أيلول 1947م، ص 108.

١٩٦ شخصيات القدس في القرن العشرين، ص 104.

١٩٧ بعد حرب النكبة وقع في المنطقة الحرام، ثم استولت السلطات الإسرائيلية على "مستشفى بيت صفافا للأمراض السّارية" بعد احتلال الضفة الغربية، وحوّلته إلى مدرسة إتري لتعليم التوراة وملجأ للعجزة. أما "مستشفى وعر كتن"، فقد استخدمه الجيش الأردني بعد النكبة كبرج مراقبة. (معالم بيت صفافا في الذاكرة، ص 19).

أمراضٌ وأوبئةٌ أخرى

ومن الأمراضِ المُعديةِ الأخرى التي ظَهَرتْ في القدس أيضًا، مرضُ الخُنَّاق، أي الدِّفتيريا diphthera، وهو يسبِّب التهاباتٍ حادَّة في الحَلْق، حيث انتَشر بين الأطفال خلال ذي القعدة ١٢٧٥هـ/حزيران ١٨٥٩م[198]. ومنها نوعٌ شديدٌ من الإنفلونزا القاتلةِ، انتشر في القدس سنة 1307هـ/1890م[199].

ومنها مرضُ الحَثَر أو "الرَّمد الحُبَيبي"، أي trachoma، الذي يُصيبُ العين، ويؤدّي إلى العَمى، وكان أحدَ الأوْبِئَة التي انتشرت بكثرةٍ أواخر العهد العثماني، فبَعد هزيمةِ الدولة العُثمانيةِ، عَدَّهُ بايوبار Ballobar، قنصلُ إسبانيا في القدس، سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٨م، والملاريا، مُصيبتَيْ فلسطين، هذا ،عدا عن سكّانها، الذين يُشكِّلون أعظمَ المصائب!!!"[200]، حسب تعبيره اللطيف!

وأخيرًا، أشيرُ إلى اعتقادي بأنّ وَباءً قد وَقعَ عام ٩٠٤هـ/ ١٤٨٩-١٤٩٩م، ولم أقعْ على أيِّ دَليلٍ عليه، سوى ما وَردَ على المَخطوطِ رقم ١٨٨م، المَحفوظ في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي، وفيه أنّ محمد بن علي الحنفي فَقَدَ ابنَهُ أحمد في أوائل جمادى الآخِرة ٩٠٤هـ، ثمّ ابنَهُ شرف الدين في ١٣ جمادى الآخِرة ٩٠٤هـ، ثم ابنَهُ كمال الدين في سلخ شوال ٩٠٤هـ، ثمّ ابنَهُ علي في ٢٢ ذي القعدة ٩٠٤هـ. ويَظهرُ النَّصُّ في الصورَةِ الآتِية:

---

198 The Journal of the Palestine Oriental Society, vol. 18, p 210.
199 Our Jerusalem, p. 167.
200 Jerusalem in World War I: The Palestine Diary of a European Diplomat, p. 201.

توفي الولد سيدي احمد
رحمه الله تعالى رحمة واسعة
نهار الثلاثاء [illegible] شهر جمادى
الآخرة [illegible] اربع وتسعمائة
[illegible]

[illegible] عبد الله [illegible] الكريم
[illegible] الراجي رحمة ربه [illegible]
[illegible]
محمد [illegible]

توفي الولد سيدي خالد رحمه الله تعالى رحمة واسعة
وجعل قبره روضة من رياض الجنة ليلة
الجمعة وقت العشاء ثالث عشر شهر
جمادى الآخرة من شهور سنة اربع وتسعمائة

توفي الولد كمال الدين رحمه الله تعالى رحمة
واسعة صبح نهار الاحد سلخ شهر شوال
سنة تاريخه اعلاه

توفي الولد سيدي علي رحمه الله تعالى رحمة
واسعة نهار الثلاثاء [illegible] وعشرين
من شهر ذي القعدة سنة تاريخه اعلاه

الزَّلازل

تعرَّضتْ مدينةُ بَيْتِ المَقْدِس وجوارُها لزلازل عِدَّة عبْر التاريخ. وقيل إن عددَها تجاوزَ ستةَ آلاف زلزلة في المُدةِ (١٦٠٦ ق. م.-١٨٤٢م). ويبدو أنَّ فلسطين تُصاب بزلزلةٍ واحدةٍ عظيمةٍ كلَّ قرنٍ تقريبًا[٢٠١]. وأعرِضُ في هذا الفَصْلِ ما وقعتْ عليه من أخبار تلك الزَّلازل، وما وردَ عنها في سجلات المَحكمة خاصّةً، حيث لمْ يُنشَر بعضُه من قبل.

ففي عام 783 ق. م. وقعتْ زلزلةٌ أوْدَتْ بحَياةِ حوالي ٧٠ ألف نسمة. وفي عام ٦٤ ق. م. أدَّتْ زلزلةٌ أخرى إلى هَدْمِ أسوارِ القدس.

وفي سنة 31 ق.م.، وقعتْ زلزلةٌ عنيفةٌ في غَوْرِ الأردن وبَيْتِ المَقْدِس، حيث ذَكَرَ المؤرِّخ الروماني جوزيفوس أنّها أسفرتْ عن وفاةِ حوالي عشرة آلاف شخصٍ تحت الردم، ونفوقِ عددٍ كبيرٍ من المواشي[٢٠٢].

وفي نيسان 363م، وقعتْ زَلزلةٌ قويةٌ أثَّرتْ على أنحاءِ فلسطين وشرقيّ الأردن كافَّة، وأدَّتْ إلى تصدُّعِ حجارةِ الأساسِ القديمةِ في المسجد الأقصى (السليماني)، وهَدْمِ منازل وعَرائش عِدَّة[٢٠٣].

وفي سنة ٣٩هـ/٦٥٩م، حدثتْ زَلزلةٌ عظيمةٌ في فلسطين، أسفرَت عن هدم مدينة أريحا[٢٠٤].

وفي رمضان ١٣٠هـ/أيار ٧٤٨م، وقعت زَلزلةٌ في بَيْتِ المَقْدِس أثَّرت على قُبَّة الصَّخرة المشرَّفة، وسقطت الجدرانُ الشَّرقيَّة والغربيَّة من

---

٢٠١ مقالة "الزلازل في فلسطين"، لنجيب ميخائيل الساعاتي، في: مجلة الزهرة، # 9-10، عام ١٩٢٦م، صص ٤٢٦-٤٣٠. الموسوعة الفلسطينية، 2/ 516.

202 Jerusalem: the topography, economics and history from the earliest times to A.D. 70, Vol. I, p. 64. Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXVIII, (1905), S. 208.

203 Jerusalem: the topography, economics and history from the earliest times to A.D. 70, Vol. I, pp. 64-65. Jerusalem in History, p. 95.

٢٠٤ خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ص 47.

المُصلَّى القبلي، وأُعيدَ تعميرُها في خلافة أبي جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ/٧٧٥م)[٢٠٥].

وفي 14 جمادى الأولى 131هـ، وَفْقَ 18 كانون الثاني 749م، وقعت إحدى أشدّ الزَّلازل في تاريخ المنطقة، حيث أحدثتْ أضرارًا بالغةً في مدنٍ عدَّة، مثل بيسان والقدس وجرش، وتُوفِّي عشراتُ الآلاف من السكان تحت الرَّدم. وقد أعلن علماء جيولوجيون وآثاريون في جامعة تل أبيب عن اكتشافاتٍ جديدةٍ، دلَّتْ على وقوع تلك الزَّلزلة، حيث عثروا على آثارِ الدَّمار الذي سبَّبَتْهُ في الجولان وطبريا، وخاصةً في قرية أمِّ القناطر، التي عثروا فيها على بِركةٍ شُطِرت إلى نِصفَين يَبعدُ أحدهما مترًا واحدًا عن الآخر، بسبب تلك الزَّلزلة، ونَشروا تقريرًا بذلك عام 1428هـ/2007م[٢٠٦].

وقد ذَكرَ العُلَيْمي، رحِمَهُ الله، أنَّ زَلْزَلةً وقعتْ في بَيْت المَقْدِس أدَّتْ إلى هَدمِ ما عمَّره أبو جعفر المنصور في المسجد الأقصى، فلمّا وَلِيَ الخلافةَ المهديُّ أمَرَ بإعادة تعْميرِه عام ١٥٩هـ/٧٧٦م[٢٠٧]. ولعلَّه يُشير بذلك إلى قوْلِ المَقدسي البَشّاري في وَصفِ المسجد الأقصى: 'وكان أحسنَ من جامع دمشق، لكنْ جاءت زَلْزَلَةٌ في دولة بني العباس فطرَحَت المُغطّى إلا ما حول المحراب. فلمّا بلغَ الخليفةَ خبرُهُ، قيل له: لا يفي بِردِّهِ إلى ما كان بيتُ مالِ المسلمين. فكتَبَ إلى أمراءِ الأطرافِ وسائرِ القُوّادِ أنْ يَبني كلُّ واحدٍ منهم رُواقًا، فبَنَوْهُ أوْثَقَ وأغْلَظَ صِناعةً ممّا كان'[٢٠٨].

وفي سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م، أصابتْ بَيْتَ المَقْدِس زَلزلةٌ ألْحقتْ أضْرارًا جسيمةً بالمُصلّى القِبْلِي في المسجد الأقصى، وقيل إنها أدَّت إلى سقوط قُبَّة مسجد الصَّخرة وأُعيدَ رفعُها[٢٠٩]، لكنّ العُلَيْمي شكَّكَ في ذلك، وقال: 'لمْ أطَّلِع على حقيقةِ الحال في سقوط القبَّة التي على الصخرة، ولا إعادتها، والظاهر أنّ السقوطَ كان في بعضِها، لا في كلِّها، والله أعلم'[٢١٠].

---

[٢٠٥] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 1/ 238، 281.

[206] The Jerusalem Post (Newspaper), 14 Oct. 2007.

[٢٠٧] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 1/ 283.

[٢٠٨] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 144.

[٢٠٩] القدس في التاريخ، ص 146.

[٢١٠] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 1/ 304.

وفي ١٥ مُحَرَّم 425هـ، وَفْقَ ١٠ كانون الأول ١٠٣٣م وقعت زَلزلةٌ ضخمةٌ في مصر والشَّام؛ قال ناصر خُسْرَو خلال زيارته للرَّملة: ′وقد كتب إمام الصّفة، أنَّه في الخامس عشر من شهر مُحَرَّم سنة ٤٢٥، زُلزلت الأرض بشدَّة هنا، فخَرِبَتْ عماراتٌ كثيرةٌ، ولم يُصَب أحدٌ من السُّكان بسوء′[٢١١].

وقد تتابع وقوع هزّاتٍ أرضيَّة بعدئذٍ على مدى أربعين يومًا، وكان منها تلك التي وقعت في ١٠ صَفَر ٤٢٥هـ، وَفْقَ ٤ كانون الثاني ١٠٣٤م، حيث أدَّت إلى هدْمِ جزءٍ من المُصَلّى القِبْلِي في المسجد الأقصى الذي بناهُ المهديُّ في القرن الثاني الهجريّ، فأعاد الخليفةُ الفاطميُّ، الظاهرُ لإعزاز دين الله، تعميرَه في العام التالي، ولحِقَتْ أضرارٌ جسيمةٌ بالرملَةِ وأريحا ونابلس[٢١٢].

وقال مُجيرُ الدين العُلَيْمي: ′وفي سنة خمسٍ وعشرين وأربعمائةٍ كثُرت الزَّلازل بمصر والشَّام، فهُدِمتْ أشياءُ كثيرةٌ، ومات تحت الرَّدمِ خلْقٌ كثير. وانهدم من الرَّملة ثلثُها، وتقطَّع جامعُها تقطُّعًا، وخرَج أهلُها منها، فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام، ثم سَكَنَ الحال فعادوا إليها. وسقط بعض حيطان بَيْتِ المَقْدِس، ووقع من محرابِ داود قطعةٌ كبيرة، ومن مسجد إبراهيم الخليل، عليه الصَّلاة والسَّلام، قطعة′[٢١٣].

ويَظهر أنّ بعض تلك الزلازل سبَّبت موجات تسونامي على شواطئ بلاد الشام؛ قال ابنُ العماد الحنبلي، ضمْن تأريخِه لسنة 425هـ: ′فيها، كما قال في الشذور: هبَّت ريحٌ سوداء بنصيبين، فقلَعتْ من بساتينها كثيرًا، ورمتْ قصرًا مبنيًّا بآجرٍ وحجارةٍ وكلس، ووقع هناك برَدٌ في أشكال الأكُفِّ والأَصابع. وزُلزِلت الرَّملةُ، فهُدم نحوٌ من نصفها وخُسِف بقرى. وسقط بعض حائط بَيْتِ المَقْدِس. وسقطت منارةُ جامع عسقلان. وجَزَرَ البحرُ نحو ثلاثةِ فراسخ، فخرج الناس يتتبَّعون السمك والصدف، فعاد الماءُ فأخذَ قومًا منهم. انتهى′[٢١٤].

---

[٢١١] سفر نامة، ص 66-65.

[٢١٢] القدس في التاريخ، ص 170.

[٢١٣] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 304.

[٢١٤] شذرات الذهب في أخبارِ مَن ذهب، 4/ 121.

وقال ابن الوردي، ضمْن تأريخِه لسنة 460هـ/1068م: ʻفيها زُلزلت فلسطين ومصر، حتى طلعَ الماءُ من رؤوس الآبار، ورُدِم عالمٌ عظيمٌ، وزال البحرُ عن السَّاحل مسيرة يومٍ فالتقَطَ الناس من أرضه، فعاد الماءُ وأهْلَكَ خَلْقًاʼ[٢١٥].

وقال مجير الدين العُلَيْمي: ʻوفي جمادى الأولى، سنة ستين وأربعمائة، كانت زَلزلةٌ بأرض فلسطين، أهلكَتْ بلاد الرَّملة، ورَمَتْ شُرافتَيْن من مسجد رسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم. وانشقَّت الأرضُ عن كنوزٍ من المال. وهلَكَ منها خمسة عشر ألف نسمة. وانشقَّت صخرةُ بَيْتِ المَقْدِس، ثمّ عادت فالْتَأَمَتْ بقُدرةِ اللهِ تعالى. وغارَ البحرُ مسيرةَ يومٍ، ودخل النَّاس في أرضِه يلتقطون منه، فرَجع عليهم، فأهْلَكَ خَلقًا كثيرًا منهم. فسبحان من يتصرَّف بعباده بما شاءʼ[٢١٦].

ونَقل ابنُ العماد الحنبليّ، ضِمْن تأريخِه لسنة 460هـ، عن ابن الجوزي قوله: ʻكانت زَلزلةٌ بفلسطين وغيرها. أهلكت من أهلِ الرَّملة خمسةَ عشرَ ألفًا. ووقعت شُرافتان من مسجد رسول الله، صلَّى الله عليه وسلَّم. وانشقَّت الأرض عن كنوزٍ من المال. وانشَقَّتْ صخرةُ بَيْتِ المَقْدِس، ثم عادت فالْتَأَمَتْ. وغار البحر من الساحل مسيرة يوم، وساحَ في البر، ودخل الناس إلى أرضِه يلتقطون، فرجع إليهم، فأهلك خلقًا كثيرًا منهم. وبلغت هذه الزَّلزلةُ إلى الرَّحبة والكوفةʼ[٢١٧]. ولا يخفى التشابُهُ بين هذا النص وما ذكره مجير الدين العُلَيْمي.

وفي سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، وقعت زَلزلةٌ في فلسطين، وأثَّرت على كنيسة القيامة في القدس[٢١٨].

وفي ليلة الأحد، ٤ جمادى الآخِرة ٥٥٢هـ، وَفْقَ ١٣ تموز ١١٥٧م، وقعتْ زَلزلةٌ في بلاد الشَّام، وأحدَثت دمارًا في حلب وحمص وحماة، وغيرها[٢١٩].

---

[٢١٥] تتمَّة المختصر في أخبار البشر، 1/ 561-560.

[٢١٦] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 1/ 304.

[٢١٧] شذرات الذهب في أخبارِ مَن ذهب، 4/ 255.

[٢١٨] خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ص 74.

[٢١٩] تاريخ دمشق، لابن القلانسي، ص 525.

وفي الساعة التاسعة من يوم الإثنين، ٤ رَجَب ٥٥٢هـ، وَفْقَ ١٢ آب ١١٥٧م، وقعتْ زَلزلةٌ أخرى شماليّ البحر الميت، وأَلحقتْ دمارًا هائلًا في غالبية المدن الشامية، كدمشق وحماة وحلب[٢٢٠].

وفي شعبان 597هـ/أيار 1201م، وقعت زَلزلةٌ عظيمةٌ؛ قال ابنُ العماد الحنبليّ: ′وفي شعبان كانت الزَّلزلة العظمى التي عمَّت أكثرَ الدنيا. قال أبو شامة: مات بمصر خلقٌ كثيرٌ تحت الهدْم. قال: ثم تهدَّمت نابلس. وذكر خسفًا عظيمًا، إلى أن قال: وأُحْصِيَ مَن هلك في هذه السَّنة، فكان ألفَ ألفَ ومائة ألف′[٢٢١]. وقال السَّيوطي: ′وكان في هذه السَّنة، في شعبان، زَلزلةٌ هائلةٌ من الصَّعيد، هَدَمَت بنيانَ مصر، فمات تحت الهدم خلقٌ كثيرٌ′[٢٢٢].

وفي سنة 608هـ/١٢١٣م وقعتْ زَلزلةٌ في فلسطين، لكنها لم تُؤثِّر على القدس[٢٢٣].

وفي سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م وقعتْ زَلزلةٌ بالشَّام ومصر؛ قال السَّيوطي: ′وفي سنة اثنتين وسبعمائة في ذي الحجَّة، كانت الزَّلزلةُ العظمى بمصر، وكان تأثيرُها بالإسكندرية أعظمُ من غيرها، وطلع البحرُ إلى نصف البلد، وأخذ الجمال والرجال، وغرِقَت المراكب، وسقطت بمصر دورٌ لا تُحصى، وهلك تحت الرَّدم خَلقٌ كثيرٌ′[٢٢٤].

وفي سنة 749هـ/1348م انتشر الطَّاعون في قبرص، ثم تبعتْهُ زَلزلةٌ عنيفةٌ وإعصارٌ مُرعب، فذَبَحَ السُّكان عبيدَهم المسلمين خشيةَ أن يُسيطروا على أسيادِهم [إذا ضعفوا]، ثم هربوا بحرًا في الاتجاهات كافَّة، فهاج البحرُ فتكسَّرتْ سفنُهم على الصُّخور[٢٢٥].

وفي يوم الأحد، ٥ مُحَرَّم ٨٦٣هـ، وَفْقَ ١٢ تشرين الثاني ١٤٥٨م، أصابت القدسَ زَلزلةٌ عظيمةٌ؛ قال مجير الدِّين الحنبليّ: ′وقعتْ زَلزلةٌ

---

[٢٢٠] تاريخ دمشق، لابن القلانسي، ص 529-528.

[٢٢١] شذرات الذهب في أخبارِ مَن ذهب، 6/ 536.

[٢٢٢] حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 2/ 293.

[٢٢٣] خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ص 83.

[٢٢٤] حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 2/ 299-298.

[225] The Epidemics of the Middle Ages, p. 12-13.

هَدمتْ قُبَّة كنيسةٍ ملاصقةٍ لقُمامةٍ من جهة القِبْلَة'[٢٢٦]. وقال ابن إياس: 'وكانت هناك زَلزلةٌ شديدةٌ صعبةٌ، وقعَ منها عِدَّةُ دورٍ ما بين القدس والخليل'[٢٢٧].

وفي العاشر من ذي القعدة 952هـ، وَفْقَ 13 كانون الثاني 1546م، أصابَت فلسطين إحدى أعنف الزَّلازل في تاريخها. ويبدو أنَّ مركزها كان مدينة نابلس؛ قال موسى بن أبي الفتح الفتيانيّ (ت 1007هـ/1599م)[٢٢٨]:

'في يوم الخميس بعد الظهر، عاشر ذي القعدة سنة ٩٥٢، حصلت الزَّلزلةُ العظمى في بَيْت المَقْدِس والخليل وغزَّة والرَّملة والكرك والسَّلط ونابلس، وامتدَّت إلى دمشق، واستمرَّت يسيرًا، ومع ذلك لم تَتْرُك في الغالب بيتًا عُلويًّا في بَيْت المَقْدِس إلا هَدمته أو شقَّقته، وكذلك في الخليل. وانهدَمت مدرسة السُّلطان قايتباي، رحمه الله تعالى، بغزَّة، وكذلك من مدرستِه بالقدس الشَّريف من ناحية القِبلَة والشمال والشَّرق. وانهدم رأس مئذنة باب السِّلسلة. وأما مدينة نابلس، فقد كانت فيها أعظم من الجميع، وهلكَ فيها تحت الرَّدم نحو خمسمائة إنسان[٢٢٩]. ثم وقعت ليلة الأحد عاشر المُحَرَّم مزعجةً، دويُّها أعظمَ من الأولى وزالت. ثم يوم الأربعاء، ثاني عشر ربيع الأول من سنة ٩٥٣، وقعت قبل الظهر وسكَنَت، وأدركَها بعض النَّاس دون بعض. وقد خرج عن الإحصاء تكرُّرها في الأيام السَّابقة، تارةً ليلًا وتارةً نهارًا، حرَّره الفقير موسى بن فِتْيان'[٢٣٠].

وتمَّ توثيق تلك الزَّلزلة وآثارها في بعض مخطوطات القدس وسجِلّات محكمتها، لسنين عدَّة بعد وقوعها. فمنها:

'وُلِدَ المولودُ المباركُ الميمونُ عبد القادر، وَلَدُ كاتبِهِ صلاح، نهار الأربعاء، ٤ ذي القعدة ٩٥٢، وفي نهار الخميس، حادي عشر تاريخه،

[٢٢٦] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 264-263.

[٢٢٧] بدائع الزهور في وقائع الدهور، 2/ 350.

[٢٢٨] مباحث في التاريخ المقدسي الحديث، 3/ 141-140.

[٢٢٩] يُلْحَظُ أيضًا أنّ مدينة نابلس تضرَّرتْ أكثر من غيرها خلال الزّلزال الذي هزَّ فلسطين عام 1346هـ/1927م.

[٢٣٠] مجلة دراسات، مجلد 12، 8#، 1985، مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس، نصٌ جديدٌ عن حياته ونص ذيل كتابه الأنس الجليل، ص 128-127.

حصل بمدينة القدس زلازل ووقع بها ؟ وتُوفّي خَلْقٌ كثيرٌ تحت الرَّدم، وفي الطُّرق وببلاد القدس،[٢٣١].

،قد وقعت الزَّلزلةُ في يوم الخميس، عَقِب صلاة الظهر، 11 ذي القعدة سنة 952،[٢٣٢].

وفي ذي القعدة 952هـ/1546م أيضًا ،انهدمتْ قنطرةٌ راكبةٌ على قبر علاء الدِّين البصير[٢٣٣]، وبيثٌ علوّها بسبب الزِّلزال،[٢٣٤].

وفي السادس والعشرين من شَوّال 953هـ/1546م، طلَبَ الآغا سرور، النَّاظرُ على وقف الطواشية بالقدس الشَّريف، من القاضي الإذن بتعمير بعض المباني التي خرِبت بسبب تلك الزَّلزلة[٢٣٥].

وفي الخامس من ربيع الأول 954هـ/1547م، طُلب من القاضي الإذنُ بتعمير مبانٍ تقع في طريق باب السِّلسلة، تضرَّرت من الزَّلزلة المذكورة[٢٣٦].

وفي 14 جمادى الأولى 954هـ/١٥٤٧م، تعاقد المعلم داوود بن عبد الله المهتدي المِعمار وجرمانوس بن قسطنطين النصراني، بطرك طائفة نصارى الروم بالقدس الشريف آنذاك، على أن يَنقُض له الطبقةَ العلوية من قبة الأجراس الملاصقة لقُمامة، المتفسِّخة من الزلزلة الواقعة بالقدس الشريف سابقًا،[٢٣٧]. وقد أشار شحادة خوري ونقولا خوري إلى ذلك _دون تحديد المصدر_ فقالا: ،وسنة ١٥٤٥ حدث زلزال فسقط جانبٌ من قبة

---

[٢٣١] غلاف المخطوط رقم 740، المحفوظ في مكتبة المسجد الأقصى.

[٢٣٢] س ش 17/ الصفحة الأولى.

[٢٣٣] يقع في رباط علاء الدين البصير، خارج باب النَّاظر غربي المدرسة الحسنية، مقابل الرَّباط المنصوري. أنشأه علاء الدِّين آيدغدي بن على بن عبد الله الركني البصير، ناظر الحرمين الشَّريفين، عام 666هـ/1268م. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 43).

[٢٣٤] س ش 17/ 448، ذو القعدة 952هـ.

[٢٣٥] س ش 18/ 496، 26 شَوّال 953هـ.

[٢٣٦] س ش 19/ 35، 5 ربيع الأول 954هـ.

[٢٣٧] س ش 19/ 224، 863#، 14 جمادى الأولى 954هـ.

أجراس كنيسة القيامة، وسقط بسقوطها العقد الواقع بين كنيستي مار يعقوب والأربعين شاهدا"[٢٣٨].

وفي ربيع الآخر ٩٥٦هـ/١٥٤٩م، أخبر يحيى المُزْهِرِيُّ قاضيَ القدس أنَّ مدرسة جدِّهِ المُزْهِرية[٢٣٩] "انهدمَ فيها أماكن من الزَّلزلة الواقعة بالقدس الشَّريف سابقًا"، فأذِن له بتعميرها[٢٤٠].

وفي الرابع والعشرين من رَجَب 957هـ/1550م صدر "الإذن بتعمير دير النَّخلة بالقدس الشَّريف الذي تضرَّر بسبب الزَّلزلة الواقعة قديمًا بالقدس الشَّريف"[٢٤١].

وفي الأول من شعبان 964هـ/١٥٥٧م، أبلغ شمسُ الدِّين الكرديُّ قاضيَ القدس أنَّه كان قد عمَّر دارًا بزُقاق الحدّادين، برأس عقبة الخواجه زاهد، في مطلعِ سنة 953هـ، بعد وقوع الزَّلزلة[٢٤٢].

وفي أواخرِ شعبان ٩٧٢هـ/١٥٦٥م، أخبر النَّاظرُ على وقف التُّربة السَّعدية، مُحَمَّدُ بن الشِّهابي أحمد، قاضيَ القدس، أنَّ الدار بخط باب السِّلسلة الموقوفة عليها، كانت قد تهدَّمت بسبب زَلزلة سنة ٩٥٢هـ/١٥٤٥م، فأذِن له باستبدالها بمالٍ مع خُداوردي بن حسين الخلوتي[٢٤٣].

وفي ليلةٍ أسفَرَ صباحُها عن ١٥ رَجَب ٩٥٨هـ، وَفْقَ ١٩ تموز ١٥٥٠م، "خُلِع باب المسجد الإبراهيمي، ووقع ارتجاجٌ عظيمٌ بمدينة الخليل"[٢٤٤].

---

[٢٣٨] خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ص 123.

[٢٣٩] تقع المدرسة المزهرية في الصف الجنوبي من طريق باب الحديد، غربي المدرسة الأرغونية، وقفها مُحَمَّد بن مُزْهِر الأنصاري عام 885هـ/1480م. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 37).

[٢٤٠] س ش 22/ 72، ربيع الآخر 956هـ.

[٢٤١] س ش 23/ 550، 24 رَجَب 957هـ.

[٢٤٢] س ش 33/ 452، 1 شعبان 964هـ.

[٢٤٣] س ش 46/ 206، أواخر شعبان 972هـ.

[٢٤٤] س ش 24/ 530، 2344#، 28 رَجَب 958هـ.

وأرَّخَ إسماعيل الديري على نُسْخةٍ من "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل"، في 4 صفر 994هـ، وَفْقَ 24 كانونِ الثاني 1586م، الحدَثَ الآتي: ’وَقَعَ الزّلْزالُ بالديارِ القدسية والبقاع الأُنْسِيَة، بين الصّلاتَيْن يوم الأحد، رابع شهر صفر الخير سنة 994. وكان كاتِبُهُ في خِدمَةِ وَلَدِ العَمِّ محمد أفندي الديري بالمدرسة المنجكية، وكذلك الشيخ أبو العون الضيائي. وحَصلَ له رجفةٌ نحو ساعة. ولم يَحصلْ لأَحَدٍ ضَرَر، ولم يُهْدَمْ شيءٌ سوى بعضِ مَنارةِ القلعة‘.



الحمد لله رب العالمين

وقع الزلزال بالديار القدسية والبقاع الانسية
بين الصلاتين يوم الاحد رابع شهر صفر الخير ٩٩٤
وكان كاتبه في خدمة ولد العم محمد افندي الديري بالمدرسة المنجكية
وكذلك الشيخ ابو العون الضيائي وحصل له رجفة نحو ساعة
ولم يحصل لاحد ضرر ولم يهدم شي سوى بعض منارة القلعة

وفي ٤ شَوّال 994هـ، وَفْقَ 18 أيلول 1586م، وقعت ’بين الظهر والعصر، زَلزلةٌ عظيمةٌ، قُصِف منها منارةُ القلعة، وبعضُ سوق العطّارين، وانهَدَم في مصر ما يزيدُ على خمسمائة بيت، وانهدَمت قلعة الشُّوبك‘.

و "حصل يوم الإثنين، الخامس من شهر شعبان ٩٩٧، [وِفْقَ ١٨ حزيران ١٥٨٩م]، بعد صلاة العصر زَلزلة"[٢٤٥]، في بَيْت المَقْدِس.

وفي 26 مُحرم 1015هـ، وَفْقَ 2 حزيران 1606م، وقعت حادثةٌ غريبةٌ، لعلها تشير إلى وقوع تسونامي أيضًا، فقد كتب أحدُ نزلاء طرابلس الشَّام، ما نَصّه:

"ومن غريب ما يُؤثَر، أنَّه في ليلة السبت، 26 مُحَرَّم الحرام من سنة 1015، عَذُبَ البحرُ بساحل الشّام، وزاد عن معتاده كثيرًا، حتى وصل إلى مكانٍ لم يكن يصِلهُ ماؤهُ من قبل ذلك. وظهرت عذوبةُ مائِهِ لكلِّ أحدٍ، حتى أنَّ أهلَ المراكب عَلِموا ذلك، وهم على أميالٍ من السَّاحل، فملأَ كلٌّ أوعيةً مما يليه. ووصل إلى حدِّ التَّواتر، وبقي كذلك من مغرب الليل إلى صباحها، والناس يَرِدون منه مُتعجِّبين ومُظهرين التَّسبيح. ولقد شَرِبْتُ مما مُلِئَ منه، فكان أشبه بماءِ زمزم... وكتبه مُحَمَّد فتح الله بن محمود البيلوني الحلبيّ، نزيلُ طرابلس المحروسة"[٢٤٦].

و "في نهار الخميس، الخامس من شهر جمادى الآخِرة سنة ١٠٢٤، [وِفْقَ الأول من تموز ١٦١٥م]، قبل الظهر حصلت الزَّلزلة"[٢٤٧]، في بَيْت المَقْدِس.

وتفيد الحُجَّةُ الآتية، احتمال وقوع زَلزلةٍ في بَيْتِ المَقْدِس، قبل سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م، حيث ورد فيها أنَّه "تضعضعَ بنيانُ المدرسة التَّنكزية[٢٤٨]، الواقع فوق أروقة الحرم الشَّريف، في هذه السَّنة من كثرة الزَّلازل والأمطار، وتشقَّق عقود الأروقة الرَّاكبة عليها مع عقود البيوت الكائنة فوقها، وآلت إلى السُّقوط والانهدام"، فأذِن القاضي بتعميرها[٢٤٩].

---

[٢٤٥] س ش 69/ صفحة العُنوان.

[٢٤٦] صفحة رقم 1ب، في المخطوط رقم (192 حديث 1138)، في المكتبة الخالدية بالقدس.

[٢٤٧] س ش 96/ صفحة العُنوان.

[٢٤٨] تقع جنوبي باب السِّلسلة وتُطل على ساحة المسجد الأقصى ويمتدُّ جزءٌ منها فوق الأروقة الغربية. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢/ ٣٥).

[٢٤٩] س ش 156/ 397، 29 شَوّال 1069هـ.

وفي سنة 1122هـ/1710م وقعت زَلزلةٌ أثَّرت على مدينة طبريا[٢٥٠].

وفي ربيع الأول ١١٧٣هـ/تشرين الثاني ١٧٥٩م، وقعت زَلزلةٌ في دمشق[٢٥١]، وكانت شديدةً في القدس، حيث 'أوهنت البناء، وخلخلت بعض أماكن من تربة سيدنا داود وتربة سيدنا اشماويل، عليهما الصَّلاة والسَّلام، وبعض الزَّوايا، ومنارات المسجد الأقصى، حتى كادت أن تركعَ وتُستقصى، وأُسقطَت عن بعضها وشقَّقت بناء وقْفِه. وخرِبت بعض المدارس القديمة، القليل والمضمحل وقفها بالكلية، كالمدرسة التَّنكزيَّة. ومزَّعت حيطانَ القلعة المنصورة، وهدمت بعضها مع بعض سور المدينة'. فتمَّ الكشفُ على تفاصيلِ الخراب، وتخمينُ تكاليفِ إعمارِ أشدِّ المباني تضرُّرًا، وهي زاوية أبي يزيد، وباب الصَّخرة الغربيّ الآيل إلى السقوط، ومدرسة قايتباي، والمدرسة التَّنكزية، والزاوية الأسعدية على جبل طور زيتا ومئذنتها، ومئذنة القلعة وبعض أبراجها، والمئذنة الحمراء ومسجدها، والزاوية المولوية ومئذنتها ومسجدها، و'السور السليماني من جانب المسجد الأقصى'، فبلغ مجموع ميزانية الإعمار ٧٧١٠٠ قرش أسديّ[٢٥٢].

وتتابعت في السنوات التالية إعادةُ تشييد مبانٍ أخرى هُدمت جرّاء تلك الزَّلزلة؛ ففي ربيع الأول ١١٧٤هـ/١٧٦٠م أذِنَ القاضي بإعادةِ بناءِ دارٍ كانت راكبةً على المدرسة البلدية[٢٥٣]، وجاريةً في وقف 'المرحوم والمغفور له الملك الأشرف قايتباي، رحمه الله'[٢٥٤].

---

[250] Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band VII, (1884), S. 186.

[251] Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXVIII, (1905), S. 208.

[٢٥٢] س ش 243/ 161، [شَوّال 1173هـ].

[٢٥٣] تقع المدرسة البلدية شمالي باب السَّكينة غربي المسجد الأقصى. وقفها سيف الدين منكلي بُغا الأحمدي. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 35).

[٢٥٤] س ش 243/ 263، 25 ربيع الأول 1174هـ.

وفي جمادى الأولى ١١٧٨هـ/١٧٦٤م، أُعيدَ بناءُ حائطِ دارٍ، كان قد هُدِم 'لمّا كان قبل تاريخه حصلت الزَّلزلةُ بالقدس الشَّريف'[٢٥٥].

وكانت تلك الهزَّةُ قد أصابت بلاد الشَّام بأكملها؛ قال ميخائيل بريك: 'ثم في صباح الثلاثاء، في ١٩ تشرين الأول سنة ١٧٥٩ مسيحية، الموافق ٩ ربيع أول سنة ١١٧٣، قبل الشمس بثلاث ساعات، صارت زَلزلةٌ عظيمةٌ بمدينة دمشق، مقدار نصف ربع ساعة، ...، ثم تواردت الأخبار بأنَّ الزَّلزلة كانت عظيمةً في جميع البلاد العربية، البرُّ والساحل، من حدِّ أنطاكية إلى عريش مصر، مدن وقرى، وراح عالم وبلاد لا تُعدّ، والزَّلازل لم تزل تتكرَّر. وفي الليلة الثامنة والعشرين من الزَّلزلة الأولى، ليلة الخامس عشر من تشرين الثاني، ليلة الإثنين، وهي أولُ ليلة صيامِ الميلاد، الموافقة ربيع الآخِر، في ساعتَين من أول الليل، ...، إذ حدثَ بغتةً بسرعةٍ زَلزلةٌ عظيمةٌ مرهبةٌ مخيفةٌ، مقدار نصف ربع ساعة، هَدَمت الحيطان وهَدَّت الأركان وهَدَمت المواذن والجوامع، ...، وأما في باقي البلاد والقرى، من أنطاكية إلى القدس الشَّريف للعريش، كُنّا نسمعُ كلامَ صدقٍ عن الموت الذي وقع شيءٌ مهول، فإنَّه خرِبت البلاد، وفنيت العباد، والألوف التي راحت تحت الرَّدم لا تُعدُّ ولا يَعلَم فيها إلا باريها. ولم تَزَل الزَّلازل متتابعةً إلى مدةِ سنة، مرة زَلزلةً ثقيلةً وأخرى خفيفة'[٢٥٦].

وقال كامل الغزيّ: 'وفي فجر يوم الثلاثاء من ربيع الأول من هذه السَّنة [1173هـ]، المصادف لابتداء كانون الأول، حصلتْ زَلزلةٌ عمَّت جميع البلاد الشَّامية، بحلب ودمشق وحمص وحماة وأنطاكية وشَيْزَر وحصن الأكراد، وجميع بلاد السَّاحل، كصيدا وصفد وغزَّة والقدس، فخرِبَت البلاد، وتدحرجَت الصُّخور من أعالي الجبال، وانفتحت في الأرض الأخاديد، ونضبت عيونٌ وانفتحت أخرى، واضطربت السُّفن في مياه عكا، حتى زحفَ بعضُها إلى البرّ، وخرجت الأسماكُ إلى الرَّمل، ونَقلَ منه الناسُ ما لا يُحصى'[٢٥٧].

---

[٢٥٥] س ش 247/ 111، أواخر جمادى الأولى 1178هـ.

[٢٥٦] تاريخ الشَّام، لميخائيل بريك، ص 79-78.

[٢٥٧] نهر الذهب في تاريخ حلب، 3/ 235.

وفي سنة 1236هـ/1821م، وقعت زَلزلةٌ أثَّرت على المدرسة الصَّلاحية[٢٥٨]. وقد وردت في سجل المحكمة، رقم 307، المدوَّن في سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٣م، عدَّةُ حجج تتضمَّنُ طلباتٍ من القاضي بالإذن بإعادة بناء دورٍ هُدِمت في القدس، وقد يكون ذلك جرّاء الزَّلزلة المذكورة.

وفي 16 مُحَرَّم 1250هـ، وَفْقَ 25 أيار 1834م، وقعت زَلزلةٌ عظيمةٌ، كان مركزها في البحر الميت[٢٥٩]. وقد أدَّت إلى دَمارِ نصفِ مدينة عَكّا، وخراب أسوار طبريا، وانهيارِ سور بَيْتِ المَقْدِس والعديد من المباني ككنيسة القيامة وكنيسة مار سابا، ممّا استدعى إعادةَ بناء بعضها. ففي جمادى الآخِرة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، كتب قاضي القدس، ما نصُّه:

'لمّا كان سنةَ تاريخه أدناه، في اليوم السادس عشر من مُحَرَّم الحرام، حصلت الزَّلزلةُ العظيمةُ. وحَصلَ منها أضرار، ...، ومن الجملة انهدَمتْ قبَّة المصعد مع أركانِها، الواقع به أثرُ قَدم سيدنا عيسى، عليه السَّلام، الكائن ظاهر القدس الشَّريف، من الجهة الشَّرقية، بقرية طور زَيتا، بحذا زاوية وليّ الله تعالى، الشيخ مُحَمَّد العَلَمي، قُدِّس سرُّه العزيز. فرهبان الإفرنج القاطنين، بالقدس الشَّريف، باشروا وابتدؤوا بتعمير القُبَّة المزبورة، حيث إنَّ تعميرها مخصوصٌ فيهم من قديم الزَّمان، بموجب سندٍ شرعيٍّ من سَلَفنا، جناب عبد الله أفندي، القاضي بالقدس الشَّريف إذ ذاك، مؤرّخًا في ١٥ شعبان سنة ١١٩٠'[٢٦٠].

وأدَّت تلك الزَّلزلةُ أيضًا، إلى انشقاق قُبَّة كنيسة القيامة[٢٦١]. وتهدّم الجزءُ الشمالي من سوق الخواجات، ولم يُعمَّر حتى يومنا هذا، ولذا يُطلَق عليه "السُّوق المهدوم"، أو "سوق الصبرة"، حيث زُرِع صبرٌ فوق أنقاضه. ولم يَتبقَّ منه سوى مقهى صيام في أقصى الشمال، ودكان أخرى في جهته الجنوبية، في وسط السُّوق الأصلي.

---

[٢٥٨] القدس في التاريخ، ص 174. وتقع المدرسة الصَّلاحية شمال غربي باب الأسباط. وقفها صلاح الدين الأيوبي على تدريس المذهب الشافعي، (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢/ ٤١).

[259] Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXVIII, (1905), S. 208.

[٢٦٠] س ش 319/ 35، 16 جمادى الآخِرة 1250هـ.

[٢٦١] خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ص 190.

وانْفَرَدَ سبيريدون Spyridon اليوناني بالحديثِ عن زَلْزَلَةٍ وقعتْ في الساعة السادسة من صباح يوم الأحد، 4 مُحَرَّم 1250هـ، وَفْقَ 13 أيار 1834م، وذَكَرَ أنّها أضرَّتْ بعِدَّةِ كنائس وأسْقَطَتْ قُبَّةَ الصُّعود، ودمَّرت عِدَّةَ دورٍ في القدس، وهَدَمَتْ جُزءًا من سور القدس، وأسْقَطَتْ مِئْذَنةً في القدس وأخرى في قرية الطور، وصدَّعَتْ صهاريج وطفَحَت المياهُ مِن بعضِها[٢٦٢]. ويَظهَر أنها الزَّلْزَلَةُ المذكورة آنِفًا نفسها، إلا أن مُتَرْجِمَ النَّصِّ من اليونانية إلى الإنجليزية، قد أخْطأ في قراءة تاريخ اليوم 25 فجَعَلَهُ 13، والله أعلم.

وأدَّت تلك الزَّلزلةُ إلى انهيار منشآتٍ أخرى عدَّة في القدس، فمنها حائطٌ بالطّاحونة من الجهة القبلية، الجارية في وقفِ المرحوم مُحَمَّد باشا، محافظ القدس الشَّريف سابقًا، الواقعة بمحلَّة النَّصارى، وانهدَم الدَّرجُ من دار إسحق بيك، فأُعيدَ بناءُ ذلك في ربيع الأول ١٢٥١هـ/١٨٣٥م، وقُدِّم للقاضي بيانٌ بما تمَّ صرفُهُ على التَّعمير[٢٦٣].

وفي ٢٤ رمضان ١٢٥٢هـ، وَفْقَ ١ كانون الثاني ١٨٣٧م، وقبل الغروب بعشر دقائق، ضرَبتْ زَلزلةٌ عنيفةٌ بلاد الشَّام، وكان مركزها مدينة صفد، فأدَّتْ إلى وقوع خَسائر هائلة فيها. وقال شاهدُ عيانٍ في طبريا، إنَّه كان يمشي في الطَّريق، وفجأةً انشقَّت الأرضُ وابتلعت اثنين من رفاقه، ثم التأمت، وفي اليوم التالي عاد وحَفر في الموقع، فوجدَهما مَيّتين وقوفًا. وقالت امرأةٌ، كانت ترعى غنمًا بجوار مدينة طبريا عند وقوع الكارثة، إنها سمعت صوتًا شديدًا يشبِهُ صوت العاصفة، واهتزَّت الأرضُ تحت قدميها، وسقطت صخورٌ من الجبل، فحَملَقت في أسوار المدينة، فشاهدتها وهي تتشقَّق وتسقطُ منها أجزاء عدَّة. وبعد دقيقةٍ لم ترَ سوى سحابةٍ كثيفةٍ من الغبار الدّاكن فوق المدينة كافَّة. ثم سمعت أصواتًا كالرَّعد: بكاءٌ وعويلٌ من آلاف الأفواه، استمرَّا حتى الليل. ولمّا دخلت المدينة، حاولت جاهدةً إزالة الأنقاض عن أطفالها وزوجها، حتى سال الدَّم من أصابعها، فتوقَّفت واستسلمت[٢٦٤].

---

[262] Annals of Palestine, 1821-1841, in: The Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. XVIII (1938), p. 92.

[٢٦٣] س ش 319/ 165، سلخ ربيع الأول 1251هـ.

[264] Hastening Redemption, p. 69.

وقد أدَّت تلك الزَّلزلةُ إلى مقتل حوالي ٥٠٠٠ شخص، وإلى تدمير ١٧ قريةً في قضاء طبريا، لكنها كانت خفيفةً جدًّا في بَيْت المَقْدِس[٢٦٥].



صَدْعٌ قربَ نهر الأردن نَجَم عن زَلزلةِ ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، يُثبتُ صِحَّةَ روايةِ ابتلاعِ الأرضِ لشخصَيْنِ خلال زَلزلةِ ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م، في طبريا. (المصدر: مجموعة ماتسون).

وذكَرَت السيدةُ إليزابيث فِن Elizabeth Finn[٢٦٦] أنها شعرت بوقوع زلزلةٍ في القدس في ذي الحجَّة سنة 1267هـ، وَفْقَ تشرين الأول 1851م، ولم تحدِّد اليوم، حيث اهتزَّ المقعد الذي كانت تجلس عليه[٢٦٧]، ويبدو أنَّها كانت خفيفة، إذ لم يرِد وقوع أي إصاباتٍ أو أضرار.

وفي 14 مُحرَّم 1314هـ، وَفْقَ 26 حزيران 1896م، في الساعة الحادية عشرة مساءً، وقعتْ زَلزلةٌ في بَيْتِ المَقْدِس، ولُحِظَت في طبريا وحيفا[٢٦٨].

---

[٢٦٥] المحفوظات الملكية المصرية، 3/ 210-208. الموسوعة الفلسطينية، 2/ 516.

[٢٦٦] هي زوجة جيمس فين James Finn، قنصل بريطانيا في القدس، التي أقامت فيها مدة طويلة.

[267] Reminiscences of Mrs. Finn, p. 100.

[268] Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXVIII, (1905), S. 206.

وفي 3 رمضان 1317هـ، وَفْقَ 5 كانون الثاني 1900م، ما بين الساعة الثانية والساعة الثالثة صباحًا، وقعت زَلزلةٌ في القدس، ولُحِظَتْ في حيفا، ويبدو أنَّها كانت أعنفَ في الناصرة[٢٦٩].

وفي ليلةٍ أسفرَ صباحُها عن اليوم الأول من مُحَرَّم 1321هـ، وَفْقَ 30 آذار 1903م، وقعت ثلاثُ زَلزَلات في بَيْتِ المَقْدِس، كانت أقواها في الساعة الواحدة وخمس دقائق ليلًا، ولُحِظَت في غزَّة وحيفا والنَّاصرة ونابلس، لكنها كانت أشدَّ عُنفًا في يافا. وقد ذكرَ أحد سكانها أنَّ منظرَ الشَّمس قبل غروبها في التاسع والعشرين من الشهر المذكور كان مُرعبًا، وفي المساء شعر السكّان بضغطٍ كاتم شديدٍ في الهواء، حتى أنَّ بعضهم لم يتمكَّنوا من النَّوم بسهولة. وبينما كان الألماني تيودور فولفر نائمًا في يافا، على سريرٍ فوق الرِّمال، داخل خيمةٍ، اهتزَّ السرير، فقام منه فزِعًا. وكانت قد سبقتها زَلزلةٌ في الساعة الحادية عشر ليلًا، وتبعتها زَلزلةٌ أخرى في الساعة الخامسة صباحًا. وذَكَر أشخاصٌ عدَّة أنهم سمعوا عويلَ الكلاب والضِّبّاع ونباحها قُبَيْل وقوع الزَّلزلةِ الوسطى، التي كانت أشدَّها[٢٧٠].

وفي 29 رمضان 1321هـ، وَفْقَ 19 كانون الأول 1903م، وقعت زَلزلةٌ في بَيْتِ المَقْدِس[٢٧١]، ولم يرِدْ أيّ ذِكرٍ لوقوع أضرارٍ أو إصابات.

وفي يوم الإثنين، ١١ مُحَرَّم ١٣٤٦هـ، وَفْقَ ١١ تموز 1927م، في الساعة الثالثة وأربع دقائق عصرًا، وقعت أشهرُ زَلزلةٍ في فلسطين في العصر الحديث، حيث شَعَرَ أهلُ مدينةِ القدس بهزَّتين أرضيَّتين، مُتَّجهتين من الجنوب الغربيّ إلى الشمال الشَّرقيّ، بصورةِ تموُّجاتٍ، وكان رأسُ الموجة في الطُّور وجبل الزَّيتون. وكانت الهزَّتان عنيفتَين جدًّا، لم يَروا مثلَهما في تاريخ القدس ولا فلسطين. وقد استولى الجَزَعُ على النّاس،

---

[269] Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXVIII, (1905), S. 206.
[270] Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXVIII, (1905), S. 206, 214.
[271] Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXVIII, (1905), S. 206.

وتساقطت منازلُ كثيرة، وعَلا الغبارُ إلى الجو، وسُمِعت أصواتُ الصِّياح والرُّعب عالية[٢٧٢].

وقد بلغت شدَّة الزلزلة ٦,٥ درجة على مقياس ريختر، وكان مركزُها بجوار جسر دامية في غور الأردن، ودامت مدَّةً تتراوح بين العشرين والثلاثين ثانية، وتبِعَتها ثلاثُ زلزلاتٍ خفيفةٍ، فأمضى معظمُ سكان فلسطين اللَّيلتين التاليتين خارج منازلهم[٢٧٣].

وقد سبَّبت تلك الزَّلزلة دمارًا كبيرًا في المباني، وخاصّةً في نابلس والقدس والرَّملة واللُّد وعمَّان والسَّلط، وأَسفَرت عن سقوط 272 قتيلًا و 833 جريحًا في فلسطين وشرق الأردن[٢٧٤]، وكان من بينهم ١٣٠ شخصًا في القدس[٢٧٥]. وتهدَّمت ٣٠ دارًا وتصدَّعت ٢٩٨ أخرى في القدس، داخل السُّور وخارجه، وكان أكثرُها في عقبة السَّرايا وحارة اليهود وحارة النَّصارى وحارة باب الخليل وجبل الطُّور. وفي القرى القريبة من القدس تهدَّمت ٨٤ دارًا وتصدَّعت ٩٠ أخرى[٢٧٦].

ولَحقتْ أضرارٌ جسيمةٌ في المُصَلّى القِبْلِي في المسجد الأقصى، وتشقَّقت الأروقَة في الحرم الشريف، وتصدَّع السُّور في بعضِ جهاتِه، وسقط القسم العُلويّ من مئذنةِ الحرم الواقعة في جهة باب الأَسباط[٢٧٧]. ولذا اضطُرَّ المجلسُ الإسلاميّ الأعلى إلى تنفيذِ خُطَّةٍ شاملةٍ لترميمه. فأعدَّ حَمْلةً لجمع تبرُّعاتٍ من العالم الإسلاميّ لهذا الغرض، فسارع كثيرٌ من المصريين والهنود والسعوديين وغيرهم، إلى التبرُّع لهذا الغرض[٢٧٨].

---

[٢٧٢] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 14 تموز 1927م، ص 4.

[٢٧٣] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 14 تموز 1927م، ص 4. مجلة المقتطف، مجلد 71، ج2، ص 237، شهر صَفَر 1346هـ/ آب 1927م. الموسوعة الفلسطينية، 2/ 516.

[274] Handbook of Palestine and Trans-Jordan, p. 35.

[٢٧٥] مجلة المقتطف، مجلد 71، ج2، ص 237، شهر صَفَر 1346هـ/ آب 1927م.

[٢٧٦] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 14 تموز 1927م، ص 5-4.

[٢٧٧] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 14 تموز 1927م، ص 5. تاريخ قبة الصَّخرة المشرَّفة والمسجد الأقصى المبارك، ص ٢٠٦.

[٢٧٨] المسجد الأقصى المبارك، بمناسبة تجديد القسم الشرقي والرواق الأوسط منه، ص 9.



مئذنة باب الأَسباط في بداية الاحتلال البريطاني، قبل وقوع الزلزال.
(المصدر: مجموعة ماتسون).

والجدير بالذِّكر، أنَّ كثيرين من اليهود استبشروا بوقوع أضرارٍ في المسجد الأقصى، "فلَمْ تكَدْ تمرُّ ساعةٌ واحدةٌ على حدوث الزَّلزلة، حتى هَرَعَ عددٌ غيرُ قليلٍ من اليهود إلى أبواب الحرم الشَّريف، ليرَوا مَبلغَ تأثيرها عليه. وأشاعتْ جريدةُ "دوءار هايوم" أنَّ الزِّلزال دمَّرَ قُبَّةَ الصَّخْرة، وجَعَلَ الترميمات التي جَرَت في المسجد الأقصى بأموالِ الإعاناتِ المجموعةِ من العالم الإسلاميّ، وقدرُها مائةَ ألف جنيه، تَذهب أدراج الرِّياح"[٢٧٩].

وتَضرَّرَ من تلك الزَّلزلة المسجد العُمَريّ الصَّغير أيضًا، الواقع في حارة المغاربة، شمال غربيّ دير مار مُرقص للسِّريان، فقد هُدِم وأصبحَ مكَبًّا للنِّفايات، ثم أعيد بناؤه في العهد الأردني[٢٨٠].

وتَضرَّرَ منها مسجد أبو بكر الصِّديق، الواقع في حَوْش الشَّاويش، حيث تَوَقَّفت الصَّلاة فيه، ثم استُعيض عنه بمَرْسَم الخطّاط عبد القادر

[٢٧٩] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 1 آب 1927م، ص 2.
[٢٨٠] مساجد بيت المقدس، ص ٢٠.

الشِّهابي[٢٨١] الذي كان في الطابق الثاني من المبنى نفسه عام 1347هـ/1928م[٢٨٢].

وتضرَّرتْ منها الزاوية الظَّاهريّة الواقعة جنوبيّ كنيسة فيرونيكا في عقبَة المفتي[٢٨٣]، حيث تهدَّم بعضُها خلال تلك الزَّلزلة[٢٨٤].

وتَضرَّرَ منها أيضًا المسجد الأسعدي على جبل الطُّور. ودُمِّر مسجد أبو ديس القديم، فأُقيمَ على أنقاضِه مسجدٌ جديدٌ عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م[٢٨٥].



بعض آثار الدَّمار الذي لَحِقَ بالمسجد الأسعدي على جبل الطُّور.
(المصدر: مجموعة ماتسون).

وتضرَّرت منها كنيسةُ القيامة، فرمَّمتها حكومةُ الاحتلال البريطاني في المُدَّة 1348- 1351هـ/1930- 1933م[٢٨٦].

---

[٢٨١] هو عبد القادر بن إسحق الشهابي (ت 1372هـ/1952م). تعلم فن الخط العربي في إستانبول، وكان أشهر خطاطي فلسطين خلال الاحتلال البريطاني، ولُقّب بخطاط حكومة فلسطين. (تاريخ المكتبات العربية في بيت المقدس، ص ١٤٥-١٤٦).

[٢٨٢] سلسلة مساجد بيت المقدس: مسجد أبي بكر الصِّدّيق، ص 12، 17-16. س ش 168/ 279، صَفَر 1079هـ.

[٢٨٣] وكانت يُطلَق عليها "عقبة الظاهرية" منذ العهد المملوكي حتى أواخر العهد العثماني، حيث سَكن بها مفتي القدس.

[٢٨٤] معاهد العلم في بيت المقدس، ص 368. كنوز القدس، ص 313.

[٢٨٥] معجم بلدان فلسطين، ص 92. أبو ديس، منسف كرم وينبوع علم، ص 84-81.

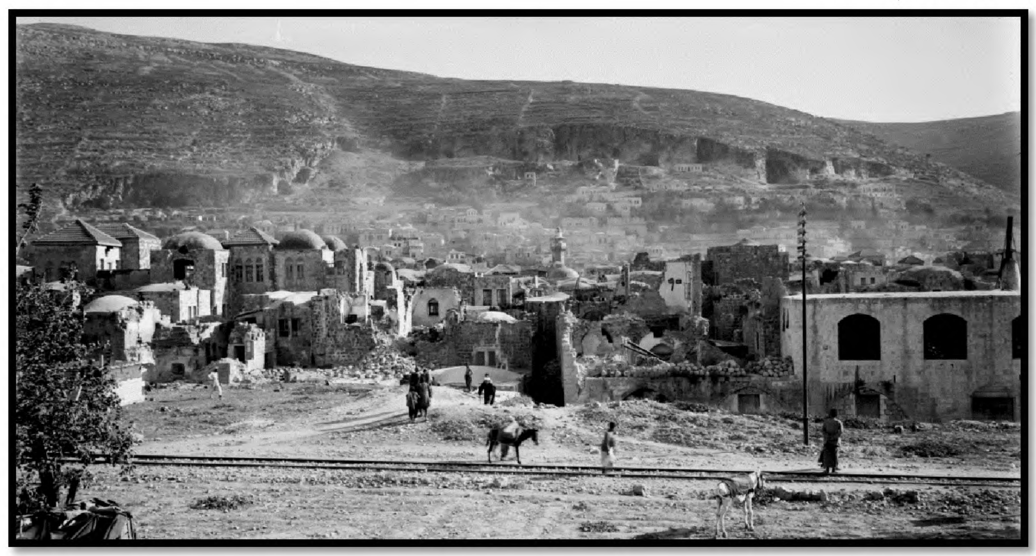
[٢٨٦] المفصل في تاريخ القدس، ص 518.

وتشير صورٌ التُقِطت آنذاك إلى تَضرُّر مبنى الأوغستا فيكتوريا القائم على جبل الزَّيتون، حيث كان يُقيمُ فيه من كان يُطلَقُ عليه: المندوبُ السامي البريطاني، في ذلك الحين. وتَضرَّر مبنى مستشفى العيون، (أي مستشفى القديس جون)، الواقع آنذاك جنوبيّ القدس، على طريق الخليل، والمطلّ على وادي الرَّبابة.



بعض آثار الدَّمار الذي لَحِقَ بمبنى الأوغستا فيكتوريا.
(المصدر: مجموعة ماتسون).

أما نابلس، فقد كانت أشدَّ مدن فلسطين تضرُّرًا، حيث هُدِمَ قِسمٌ كبيرٌ منها، وقُتِل فيها ١٥٠ شخصًا[٢٨٧]. ولذا سارعت المدن الأخرى إلى نجدتِها، فأرسلت بلدية القدس قِنطارين من الخبز، وأرسل المجلس الإسلاميّ الأعلى ٧٠ كيسًا من الدَّقيق، إضافةً إلى كمّيةٍ أخرى أرسلها أهالي طولكرم[٢٨٨].



---

[٢٨٧] مجلة المقتطف، مجلد 71، ج2، ص 237، شهر صَفَر 1346هـ/آب 1927م.
[٢٨٨] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 14 تموز 1927م، ص 5.

مشهدٌ عامٌّ للدَّمار الذي ألحقتْهُ زَلزلة سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م بمدينة نابلس.
(المصدر: مجموعة ماتسون).

وفي أريحا، سَقطَ فندقُ نَزّال على ثلاثِ نِسوةٍ هنديات فقُتِلْن، وقُتل فيها أيضًا في جهاتٍ مختلِفةٍ أربعةُ أشخاص، وتَهدَّمت بِضعةُ منازل، وتصدَّعت الفنادقُ الأخرى، وتَهدَّمت كنيسةُ مار يوحنا، وهُدِمت نقاطُ بوليس حكومتَي فلسطين وشرق الأردن. وتَصدَّع جسرُ أللنْبي، بحيث امتَنع مرورُ السَّيارات عليه. وقال القادمون من أريحا إنَّ ماءَ الأردن أصبح أسودَ كالقطران، وإنّه حدثَ انفساخٌ كبيرٌ في وادي شُعيب[٢٨٩].



أطلال فندق القصر الشَّتوي Winter Palace في أريحا بعد الزَّلزلة.
(المصدر: مجموعة ماتسون).

وفي رام الله وما حولها، قُتِلَ ١٩ شخصًا، وتَهدَّمت ١٨٣ دارًا وتصدَّعت ١٢١ أخرى. وفي اللُّد قُتِلَ ٣٠ شخصًا وتَهدَّم قِسمٌ كبيرٌ منها.

[٢٨٩] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 14 تموز 1927م، ص 5.

وفي الرَّملة قُتِلَ ٣٠ شخصًا[٢٩٠]. وقد تَهدَّم ٩٠ بالمئة من مباني قريَتَي الرَّام ومِخماس، فتَشتَّت أهلهما[٢٩١].

وقد سارع المجلس الإسلاميّ الأعلى إلى تشكيلِ لجانٍ لجمع التَّبرعاتِ ودَعم المتضررين[٢٩٢]. وشكَّلتْ حكومةُ الاحتلال "لجنة إعانة منكوبي الزَّلزال" لجمع التَّبرعات، وعَيَّنت جورج أنطونيوس أمينًا على صندوقِها[٢٩٣]. وقد بلغَ مقدارُها 25 ألف جُنيه لمساعدةِ المنكوبين، وتمَّ صَرْف 11 ألفًا منها في فلسطين لبناءِ منازلَ للذين تشرَّدوا جَرّاء الزَّلزلة ولإصلاحِ المباني المتضرِّرة[٢٩٤].

وممّا يُذكَر أنَّ جريدة فلسطين، انتهزَت وقوعَ الزَّلزلةِ للسُّخْريةِ من أحدِ مشايخ المسجد الأقصى، ففي عددِها رقم ٩٩٨، المؤرَّخ في ٢٠ مُحَرَّم ١٣٤٦هـ، نشَرت في الصفحةِ الرابعة، خبرًا اعتبرَتْهُ طُرفةً، تحت عنوان "سبب حدوث الزَّلزال"، مفادُهُ أنَّ مراسلَ جريدةِ "هآرتس" قابَلَ أحدَ شيوخ الحرم الشَّريف، وسألَه عن رأيه في سببِ حدوثِ الزَّلزال، فقال له: إنَّ اللهَ زلزَلَ الأرضَ لكثرة خطايا سكّانِها. وعبَثًا حاول مراسلُ الجريدة إقناعَ الشَّيخِ بأنَّ الزَّلزالَ حدَثَ من تقلُّصِ بعضِ أجزاءِ القشرةِ الأرضيَّة. وقد رَدَّت جريدةُ "الجامعة العربيَّة" على تلك السُّخرية[٢٩٥].

وفي أواخر ذي الحجَّة 1349هـ/أواخر نيسان 1930م، وَقَعت زَلزلةٌ متوسطةٌ في القدس، ولم تُلْحِق أضرارًا تُذْكر[٢٩٦].

---

[٢٩٠] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 14 تموز 1927م، ص 4-5.

[٢٩١] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 11 آب 1927م، ص 1.

[٢٩٢] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 14 تموز 1927م، ص 5.

[٢٩٣] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 1 آب 1927م، ص 6. وكان من بين المتبرعين: عبد الرَّحمن الحاج إبراهيم ونمر عبد القادر ونافع عنبتاوي وحسن حنان وخليل طه ونمر النابلسي وطاهر صلاح وحافظ طوقان وأحمد الشَّكعة وقسطندي سلامة وسعيد كمال وحسن صدقي الدَّجاني، وبلدية يافا وبلدية حيفا والقنصلية الألمانية والجمعية الإنجليزية اليهودية والبنك العثماني والكولونية الأميركية وبنك كريديه ليونه. ووردت تبرعات من أشخاص مصريين عدَّة، منهم سعد زغلول باشا. وتبرَّع آخرون بمبالغ أقل في الدُّفعتَيْن الثانية والثالثة. (جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 11 آب 1927م، ص 7. جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 18 آب 1927م، ص 8).

[294] Handbook of Palestine and Trans-Jordan, p. 35.

[٢٩٥] جريدة الجامعة العربية، بتاريخ 1 آب 1927م، ص 2.

[٢٩٦] جريدة أبابيل، بيروت، 976#، 3 مُحَرَّم 1349هـ.

وفي سنة ١٣٥٦هـ/1937م، وقعت زَلْزلةٌ خفيفةٌ، لكنّها أضرَّت بالمُصلَّى القبليّ في المسجد الأقصى، فاضطُرَّ المجلسُ الإسلامي إلى إعادةِ ترْميمِ القسم الشرقي والرُّواق الأوسط منه، تحت إشراف محمد عبد الفتاح حلمي، مفتش هندسة الآثار العربية في مصر آنذاك، حيث أُنْجِزَ الترميمُ والتذهيبُ عام 1363هـ/1944م[٢٩٧].

وفي ١٥ مُحَرَّم ١٣٧٤هـ، وَفْقَ ١٣ أيلول ١٩٥٤م، وقعت زَلزلةٌ ضعيفةٌ في وسط فلسطين، ولم تُسبِّب خسائرَ تُذْكَر[٢٩٨].

وفي يوم الأربعاء، العشرين من ذي الحجَّة 1424هـ، وَفْقَ 11 شباط 2004م، وقعت زَلزلةٌ أحدثت أضرارًا طفيفةً في بَيْت المَقْدِس، وتبِعتها زَلزلةٌ خفيفةٌ في ١٩ جمادى الأولى 1425هـ، وَفْقَ 7 تموز 2004م، ولم يُسجَّل وقوعُ أيِّ ضررٍ بسببها.

وفي يوم الأحد، السابع من رمضان 1432هـ، وَفْقَ السابع من آب 2011م، وقعت زَلزلةٌ خفيفةٌ، بَلغَ مقدارها 4.5 درجات على مقياس ريختر، وكان مركزها السَّاحل الفلسطيني.

وفي ليلة السبت، الحادي والعشرين من جمادى الآخِرة 1433هـ، وَفْقَ الثاني عشر من أيار 2012م، وَقَعت زَلزلةٌ بلغ مقدارها 5.5 درجات على مقياس ريختر، وكان مركزها البحر الأبيض المتوسط، ولم يُسجَّل وقوعُ أي ضَررٍ بسببها في فلسطين.

---

[٢٩٧] المسجد الأقصى المبارك، بمناسبة تجديد القسم الشرقي والرواق الأوسط منه.

[٢٩٨] الموسوعة الفلسطينية، 2/ 516.

الجَراد

ابتُلِيَتْ فلسطينُ في مواسم عِدَّة بأسرابٍ مِن الجراد الذي كانَ يجْتاحُها قادمًا مِن نَجْد، وأحيانًا من السودان[٢٩٩]، أو العراق[٣٠٠]، وخاصّةً في شهرَيْ آذار ونيسان. وكان يُتابِع زحفَهُ نحو الشمال، فيَقضي على المحاصيلِ الزراعيَّة في طريقِه، ويُسبِّب أوبئةً ومجاعات. وكان رِفاعَةُ الطهْطاوي (ت ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) يرى أنَّ 'الجرادَ هو سببُ قحْطِ الشَّام في غالِبِ الأحوال'[٣٠١]. وسيشمل الحديثُ فيما يأتي غزوَ الجراد للشام، لأنَّه كان يغزو معها الدِّيارَ القُدسيَّةَ في آنٍ واحدٍ، في معْظَم الحالات.

ولِشدَّة تأثيرِ الجرادِ على حياةِ الناس، كان بعضُ سكّان محافظة القدس يُطْلِقون على أبناءِهم اسْمَ "جراد"، ومنهم "سلامة بن سالم بن جراد" من أهالي قرية أبو ديس، المذكور عام ٩٩٦هـ/١٥٨٨م[٣٠٢]، ومنهم "جراد بن عُبيد السلواني"، المذكور عام ١١٥٥هـ/١٧٤٢م[٣٠٣].

وكان الجرادُ يصلُ إلى فلسطينَ في سنواتٍ متباعدةٍ غير متسلسلة، ويَصعبُ ربْطُها بتغيُّراتٍ مناخيَّةٍ أو بيئيَّة. وفيما يأتي بيانٌ لِما وقعتْ عليه من أخباره.

ففي عام 743هـ/1343م وَصَلَ الجرادُ قادمًا من العراقِ إلى حلبَ ودمشق والقدس وغزَّة، وقُضِيَ عليه بدخوله إلى المناطق الصحراوية[٣٠٤].

وفي مستهل جمادى الأولى 889هـ/أواخر أيار 1484م، 'وَرَدَ جرادٌ كثيرٌ على بَيْتِ المَقْدِس، فأكلَ غالبَ ثَمَرَةِ الكرومِ والزرْعِ والخضرواتِ، واستمرَّ مُدَّةً، يذهب ويعود'[٣٠٥].

---

[299] Handbook of Palestine and Trans-Jordan, p. 393.

[٣٠٠] العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشَّام، ص ٣١٥؛ نقلًا عن: المقريزي، السلوك، ج2، ق3، ص 623-622.

[٣٠١] التعريبات الشافية لمُريد الجغرافية، ص 150.

[٣٠٢] س ش 67/ 341، 5 رمضان 996هـ.

[٣٠٣] س ش 232/ 72، أواسط رمضان 1155هـ.

[٣٠٤] العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشَّام، ص ٣١٥؛ نقلًا عن: المقريزي، السلوك، ج2، ق3، ص 623-622.

[٣٠٥] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 332.

وفي شعبان 1071هـ/نيسان 1661م، ′حدَثَ جوعٌ شديدٌ في تلك السَّنة في فلسطين بسبب الجراد، وعَقِبَهُ وباءٌ عظيم′[٣٠٦].

واجتاح الجرادُ الديارَ القدسيَّةَ سنة 1136هـ/١٧٢٤م[٣٠٧].

وقال البُديري الحلّاق، في تأْريخه لجمادى الأولى ١١٥٩هـ/حزيران ١٧٤٦م: ′وصلَ الجرادُ للشَّام، وكان حولَها سنينٌ مُخيِّمٌ، فنَزَلَ على بساتينها، فأَكلَ حتى لم يُبْقِ ولم يَذَر، فأَرسل حضرةُ الباشا[٣٠٨] رجلَين مِن أهل الخبرةِ يأتونَه بماء السَّمَرْمَر′[٣٠٩].

والجديرُ بالذِّكْرِ أنّ إحضارَ ماءِ السَّمَرْمَر كان مِن بين الخُرافات التي شاعت في ديارنا في الأزمان الغابرة، فقد زَعَمَ بعضُ الدجّالين أنّ ثمَّةَ عيْن ماءٍ تقع في بلاد العجم، إذا نُقِلَ ماءٌ منها، ووُضِعَ في بلدةٍ ما تحت شروطٍ معيَّنةٍ، فإنّه يَجلبُ إليها طيرَ السَّمَرْمَر، وهو أحدُ الطيور التي تَفترس الجراد. وكان كثيرٌ من الحكّام والعوام يُصدِّقون تلك الخرافة. قال كامل الغزي: ′وفي سنة 964 أرسَل قُبَاد باشا[٣١٠]، والي حلب، رجلًا أعْجميًّا إلى ما وراء أصبهان، لإحضارِ ماءِ السَّمَرْمَر إلى حلب، بسبب جرادٍ مَهولٍ كان بها. وحَسَّنَ قُبَاد باشا لأَرباب الأموال أنْ يَجمعوا للرَّسول مالًا، فجمعوا له ما ينوف على مائتي دينارٍ سلطاني. فذهبَ وعاد في سنته ومعه الماء، فخرج الناسُ إلى لقائه ودخلوا به بالتَّهليل والتَّكبير. ولمّا كان مِن تمام خاصَّةِ هذا الماء ألّا يُدْخَل تحت سقْفٍ _كما زعموا_ كان مُسْتَصْحِبُهُ إذا وصلَ إلى بلدةٍ يَسحَبُهُ بحبلٍ من فوق بابها، حتى وصل إلى حلب، فسُحِب من فوق سور باب قنسرين. وكان الجراد قد غَرَّزَ في الأرض، فأخذت الحكومةُ بجمعِهِ من أطراف حلب... فلم يَمْضِ القليلُ من الزمان إلا وكَبُرَ ما بقي وزَحَفَ على البساتين، فحُرِّك الماءُ المذكور

---

[٣٠٦] خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية، ص 155.

[٣٠٧] س ش 222/ غير مرقم. ورَد في حُجَّة مؤرَّخة في 25 جمادى الآخِرة 1140هـ، أنَّ الجراد كان قد اجتاح المنطقة عام 1136هـ. علماء دمشق في القرن الثّالث عشر، 1/ 357.

[٣٠٨] قُلتُ: إذا ذُكرَتْ كلمة "الباشا" مفرَدةً في التاريخ العثماني، فهي تعني "الوالي".

[٣٠٩] حوداث دمشق اليومية، للبديري الحلّاق، 1/ 17.

[٣١٠] لم يُحَدِّد النجمُ الغزّي تاريخَ وفاته. لكنّه ذَكر أنّ ابنَه سليمان باشا ولي نيابة القدس الشريف مُدَّةً طويلة، وقُتل في دمشق عام ٩٩٧هـ/١٥٨٩م. (الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، ٣/ ١٥٧-١٥٨).

ليجيء السَّمَرْمَر، بتحريك الشيخ مُحَمَّد الكواكبي ومعه مريدوه فلَمْ يُفِد، فزَعَمَ الناسُ أنّ خاصيَّتَه انقطعتْ، إذْ لَمْ يكن الواردُ به من أهل الصَّلاح، والشرطُ أنْ يكون منهم!'[311].

وفي سنة 1160هـ/1747م 'كان الجرادُ مُغرِّزًا[312] من العام الماضي، في الشام وأراضيها، فلمّا جاء الرَبيعُ صار يَظهرُ شيئًا فشيئًا، إلى أنْ ظَهرَ مَظْهرًا شنيعًا، وبدأ يزحفُ مِثلَ النمل والذَّر، فبدأ يأكلُ الزَّرعَ ويُتلفُ النَّباتَ، فوقَعتْ الناسُ في كربٍ عظيمٍ. فنبَّهَ حضرة أسعد باشا[313]، حفِظَهُ الله، على الفلّاحين عمومًا بأنْ تجمَعه وتأتي به، ...، فجيءَ به أحمالًا، وأمَرَ به أن يُدفَن'[314]. وبعد حينٍ 'كثُرَ الجراد وأضرَّ بالعباد، وكأنَّ الناسَ لم يجمعوا منه شيئًا'. وفي أواخر جمادى الأولى كان 'الجرادُ في أرض الشَّام زايد'[315].

وفي ذي الحجَّة ١٢١١هـ/حزيران ١٧٩٧م، أشار إبراهيمُ العورة إلى 'حضور الجراد الكثير'[316] دون تفصيل، بينما ذَكرَ حيدرُ الشهابي أنّ الجرادَ وصلَ إلى لبنان من جهة الجنوب، أي فلسطين، فأهلكَهُ الطَّيرُ فوْر نضوجه[317].

وفي أوائل سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م 'حضر الجرادُ العظيمُ على إيالة صيدا، وغرَّز في أراضيها، وفَقَّس، وأَكَلَ المزروعَ الصَّيفي، من قُطنٍ وسُمسمٍ، مع قِسمٍ من الشَّتوي'[318].

وفي ذي القعدة 1242هـ/حزيران ١٨٢٧م، ظَهرَ جرادٌ في دمشق[319].

---

[311] نهر الذهب في تاريخ حلب، 3/ 182، 206-207.
[312] في الأصل "مفرزا".
[313] هو أسعد باشا بن إسماعيل العَظْم (ت 1171هـ/1757م)، وَلِيَ دمشق 14 عامًا، وبنى فيها قصْرَ العظم الشهير. (الأعلام، 1/ 300).
[314] حوداث دمشق اليومية، للبديري الحلاق، 1/ 21.
[315] حوداث دمشق اليومية، للبديري الحلاق، 1/ 22.
[316] تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، ص 8.
[317] تاريخ أحمد باشا الجزار، ملحق الكتاب، ص 454.
[318] تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، ص 156.

وفي ذي الحجة ١٢٨١هـ ومحرم وصفر ١٢٨٢م، وَفْقَ أيار وحزيران وتموز ١٨٦٥م، غزا الجراد المنطقة الممتدة من غزة وحتى لبنان[٣٢٠]، فأكل كل ما هو أخضر وقضى على مزروعات الصيف. إلا أن الحبوب سلِمَتْ منه، لأنَّها كانت قد بلغتْ مرحلةً من النُّضج والصلابة، بحيث لم يستطع الجرادُ أكلَها. ولذلك فإنه _ولحُسن الحظ_ بعدما سطا على الذُّرَة، وهي الغذاء الرئيس للفلاحين، اتجه في شهر تموز نحو الشرق، فعادت الذرة ونبتت تارةً أخرى وكان حصادها جيّدا[٣٢١].

ثم ظَهَرَ الجرادُ بعدئذٍ في أوقاتٍ مُتفرّقةٍ، وبأعدادٍ قليلةٍ، وعلى مساحاتٍ محدودةٍ، كما في سنة 1322هـ/1904م، حيث وَصَلَ من جهة مصر[٣٢٢].

وفي جمادى الأولى 1333هـ/آذار 1915م، بدأتْ إحدى كوارث الجراد التاريخية في فلسطين، وربما كان أشدّها وآخِرها، حيث انتَشر في جنوبيّ بلاد الشام[٣٢٣]، فأَهلَكَ المزروعات، وضاعفَ من مُعضِلةِ نقصِ المواد التموينيَّة التي كانت تعاني منها بلادُ الشام مُسْبقًا، جرّاءَ الحرب العالمية الأولى، والحصار البحري الذي ضربهُ الحلفاء على السواحل الشامية.

وقد ذَكر مراسل صحيفة "نيويورك تايمز" في 6 جمادى الآخِرة 1333هـ، وَفْقَ 21 نيسان 1915م؛ نقلًا عن سبعين يهوديًا، كانوا قد وصلوا إلى الإسكندرية قادمين من القدس، في طريقهم للهجرة إلى أميركا وأستراليا، أنَّ الوضع الاقتصادي في فلسطين كان مرعِبًا. فسِعرُ كيسِ الطحين بلغَ 15 دولارًا، وتضاعَفَ سعرُ البطاطا ست مرّات، والسُّكر والنفط غير مُتوافِرين، وتوقَّفت الأموال عن التَّداول بين الناس. وتوفِّي كثيرون جوعًا. وظهرتْ مؤخّرًا أسرابٌ هائلةٌ من الجراد، لتُرَسِّخَ المِحنة[٣٢٤].

---

[٣١٩] علماء دمشق في القرن الثالث عشر، 1/ 357.

[٣٢٠] هذا يشير إلى أنه وَصَلَ من مصر، والله أعلم.

[321] Samuel Gobat, Bishop of Jerusalem, his life and Work, p. 352-353.

[322] The New York Times, 21/11/1915.

[٣٢٣] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص 80-79.

[324] The New York Times, 23/4/1915.

وحالما سَمع جمال باشا بوصول الجراد إلى جنوبيّ بلاد الشام، شكَّل "اللُّجنة المركزية لمكافحة الجراد"، في سَنْجَق القدس وولايتَي بيروت ودمشق، تحت رئاسة مِدْحت بك، مُتصرِّف القدس[٣٢٥]. وتمَّ تعيينُ الدكتور هارون هارونسون، الخبير في وزارة الزراعة في واشنطن، مفوَّضًا عامًّا في المناطق المذكورة[٣٢٦].

وقد فُرِضَ على كلِّ رجلٍ يبلغُ ما بين 15 و60 عامًا من العمر أنْ يَجمَع عشرين كيلوغرامًا من بَيْض الجراد[٣٢٧]. وفي 9 جمادى الآخِرة 1333هـ، وَفْقَ 23 نيسان 1915م، سُنَّ قانون ضريبةِ الجراد[٣٢٨]، فمَنْ عَجِزَ عن جَمْع البيْض، كان عليه أنْ يَدفع ضريبةً بلغ مقدارُها 4.4 ليرة تركية[٣٢٩]، ثم خُفِّضتْ إلى ليرةٍ واحدةٍ على كلِّ غنيٍّ، وستّين قرشًا على كلِّ متوسِّطِ الحال، وثلاثين قرشًا على كلِّ فقيرٍ[٣٣٠]. وتمَّ تطبيقُ القانون بشدَّة، فقد تمَّ إغلاقُ الدَّكاكين التي لم يُظْهِر أصحابُها بَيضًا أو وَصْلِ دفعِ الرُّسومِ مقابل الإعفاء. واضطرَّ 800 شخص إلى دفعِها، بينما اشترى آخرون بَيضًا من فلّاحين بالخفاء. وتمَّ إجبارُ سكانِ القرى على البحث عن البيض يومًا بعدَ يوم[٣٣١].

[٣٢٥] عُيِّن متصرِّفًا على القدس لمدَّة وجيزة عام 1333هـ/1915م. (المفصّل في تاريخ القدس، ص 328).

[326] The New York Times, 21/11/1915.

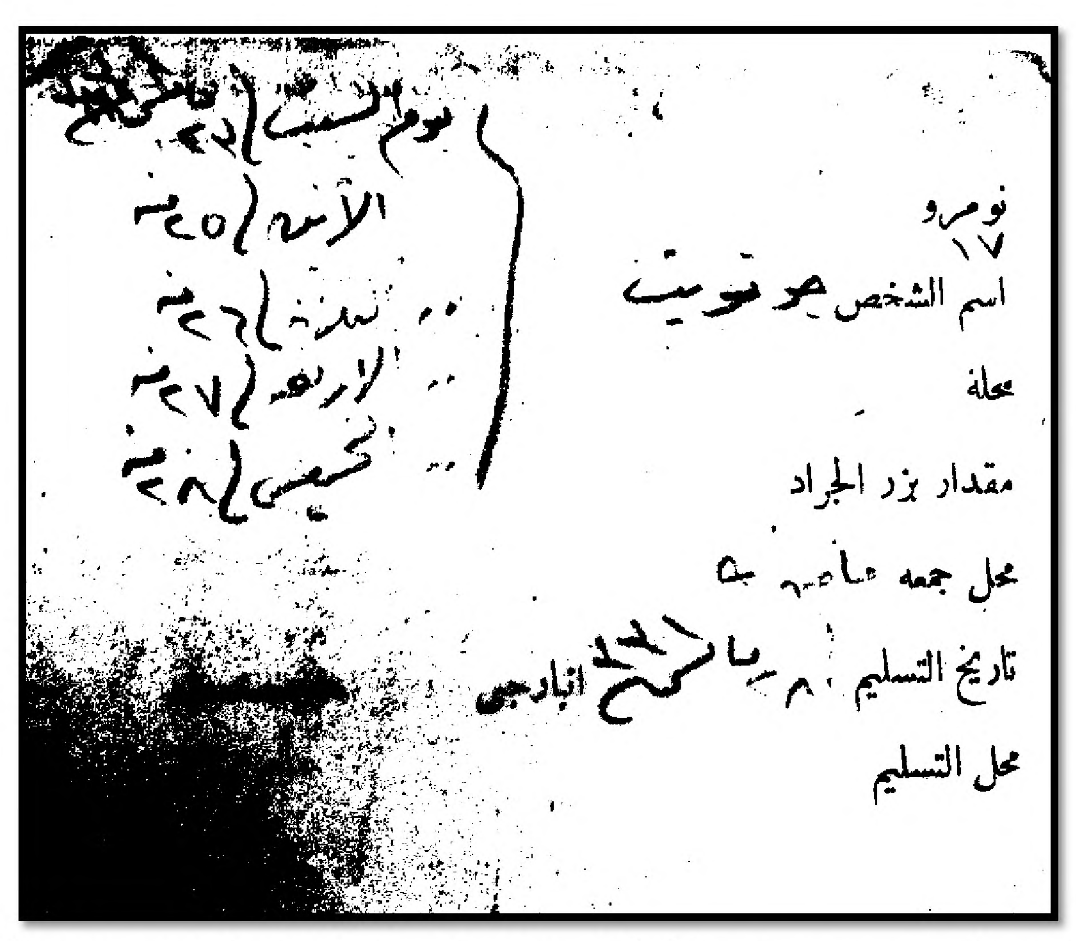
[٣٢٧] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص 114.

[٣٢٨] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص 128.

[329] The New York Times, 21/11/1915

[٣٣٠] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص 131.

[331] The New York Times, 21/11/1915.



نومرو
١٧
اسم الشخص
محله
مقدار بزر الجراد
محل جمعه
تاريخ التسليم
محل التسليم

وصْلٌ باستلامِ بيْضِ جرادٍ، جَمعَهُ أحدُ المواطنين في منطقة مامِلا، في 12 جمادى الأولى 1333هـ، وَفْقَ 28 آذار 1915م. (المصدر: مجموعة وثائق الكولونية الأميركية).

وقد وَصل الجرادُ إلى أرض البَقْعَة، الواقعة جنوب غربيّ القدس، في 7 رَجَب 1333هـ، وَفْقَ 20 أيار 1915م. وسرعان ما كادت الخضرواتُ أنْ تَنقطع كليًّا من الأسواق، باستثناءِ البرتقال، حيث هبطتْ أسعارُه بشدَّةٍ، لعدم تصديرِه إلى بريطانيا في تلك السنة[٣٣٢].

وفَوْر ظهورِ الجراد في ضواحي القدس بدأتْ مقاومتُه بطريقةٍ منظَّمةٍ، حيث اصطفَّ الرجالُ والنساء والأطفال على امتدادِ الطُّرقات التي تَفصِلُ بين الخَلاءِ والحَدائق، وأخَذوا يُلَوِّحون بأعلامٍ حول الجراد، لتجميعِه ثم استدراجِه نحو صناديق مصفوفة في الاتجاه الذي يتقدَّم الجرادُ نحوه، حيث يقفُ حرَّاسٌ يمنعونه من تجاوزِ ذلك الفخّ، فيتمّ حشْرُه هناك[٣٣٣].

---

[٣٣٢] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص ٢٠٨، 226.

[333] The New York Times, 21/11/1915.



جمعٌ من الأجانب، حسبما تَدلُّ أزياؤهم، يصطادون الجراد في جمادى الأولى 1333هـ/أيار 1915م، في البَقْعَة ترْجيحًا. (المصدر: مجموعة الكولونية الأميركية).

ثم وَصل الجرادُ إلى بِركة السلطان في 15 رَجَب 1333هـ، وَفْقَ 30 أيار 1915م[٣٣٤]. وقد كَتَبَ واصف جوهرية في مذكِّراته، ما نَصُّهُ:

'كانت تلك السَّنة مَحْلًا وانحبست الأمطار، وغَزا القدسَ والبلادَ الجرادُ بصورةٍ فظيعةٍ جدًّا، فإنِّي أذكُر تمامًا، والله يشهد، أنَّني عندما كنتُ نازلًا على سُلَّم البلدية، رفعتُ رأسي إلى السماء، مع جميع الناس، فلم نستطع رؤيةَ الشمس قطْعيًّا، فكان الجرادُ الطيَّار شبيهًا بالغيوم المتكاثفة في الجو، ...، فقَضى على جميع المزروعات والأشجار كافَّةً، حتى أنَّني أذكرُ بأنَّه كان يأكلُ قِشرَ الأرومة والأغصان'[٣٣٥].

وسَرعان ما دخل الجرادُ إلى البلدة القديمة من باب الخليل وباب المغاربة[٣٣٦]، ثمَّ وصلَ إلى المسجد الأقصى يوم الثلاثاء، 18 رَجَب 1333هـ، وَفْقَ 1 حزيران 1915م[٣٣٧]. وبعد انتشارِه حول القدس، قرَّرت السُّلطات، يوم الجمعة، 21 رَجَب 1333هـ، وَفْقَ 4 حزيران 1915م،

---

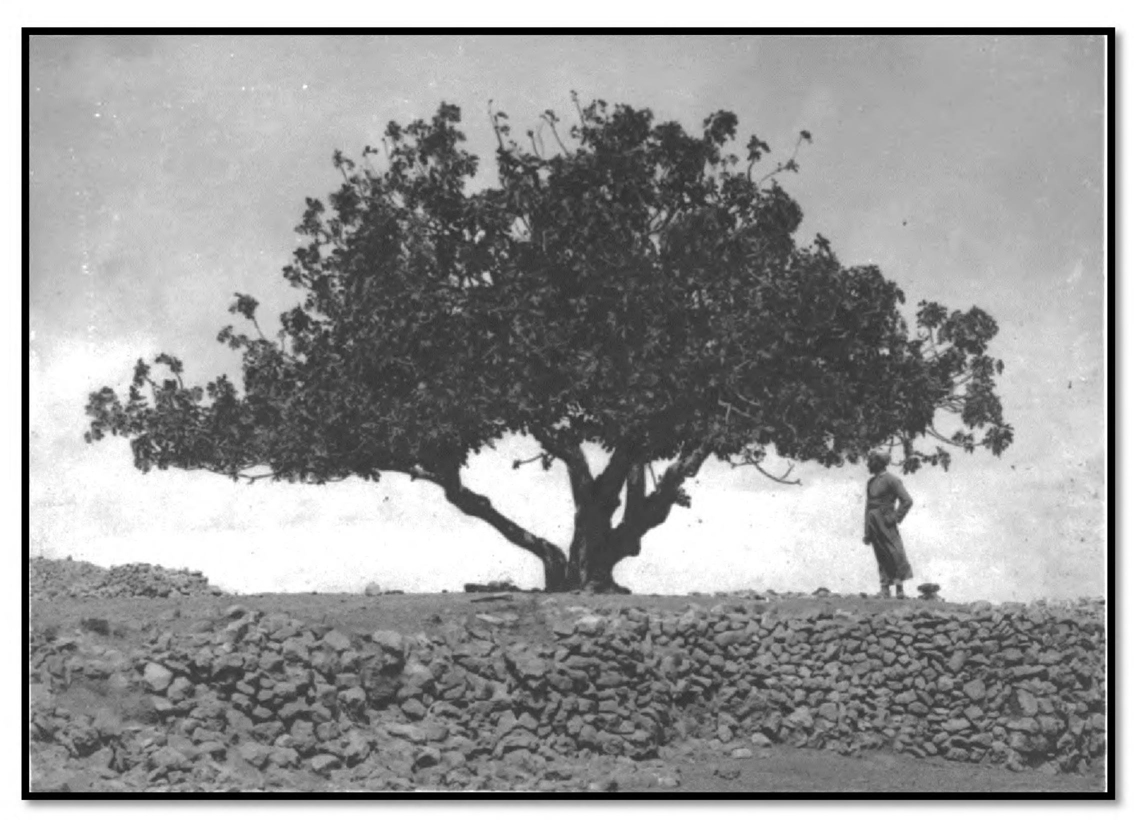
[٣٣٤] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص 223.
[٣٣٥] القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، ص 190.
[٣٣٦] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص 226.
[٣٣٧] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص 227.

إجبارَ التُّجّارِ على إغلاق دكاكينهم، وذهاب جميع الرجال إلى البَقْعَة والطُّور وغيرهما من الضواحي، لمقاومة الجراد. وكانت الشرطةُ تسوق معها كلَّ من تصادفه في الطريق، وخاصةً الفقراء والضعفاء، أما الوجهاء والأغنياء فلَمْ تعترضهم[٣٣٨].

وقد حاول السُّكان حمايةَ الأشجار بتثبيتِ صفائحَ من التَّنكِ أو الزِّينكو حول جذوعها، لمنعِ الجرادِ من التسلُّق عليها[٣٣٩]، لكنَّ ذلك لم ينفع كثيرًا[٣٤٠]. وكانت حديقةُ قصرِ إسماعيل بك الحسيني (ت ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م)[٣٤١]، إحدى الحدائق التي نجَتْ من الجراد، حيث أحضر كثيرين من فلاحي قرية بير معين، الواقعة في قضاء يافا، وأمَرَهم بالجلوس فوق الأشجار والضَّرب على صفائح التَّنك، ممّا جعلَ الجرادَ ينفرُ من الهبوط عليها. واستخدَم صفائح التَّنك لمَنْعِ الجراد الزَّحّاف من التسلُّق على الجذوع، حيث تمَّ حرقُه على الفور[٣٤٢].

---

[٣٣٨] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص 228.
[339] The New York Times, 21/11/1915.
[٣٤٠] عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، ص 230.
[٣٤١] هو إسماعيل حقي بن موسى الحسيني. استعانت به السُّلطات العثمانيَّة في جباية الضّرائبِ من الفلاحين. تولّى منصب مدير المعارف في أضنه ثم في القدس، ثم تولّى مراقبة المطبوعات والصحف الصادرة في متصرفية القدس. بنى بيت الشَّرق عام 1315هـ/1897م، واستقبل فيه القيصر الألماني غليوم الثاني عام 1316هـ/1898م. (شخصيات القدس في القرن العشرين، ص 59).
[٣٤٢] القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، ص 191.





صورتان لشجرةٍ في ضواحي القدس قبْلَ زَحفِ الجراد، وبعدَه، سنة 1333هـ/1915م.
(المصدر: مجموعة الكولونية الأميركية).

وقد كَتبَ الدكتور أوتيس غليزبروك Otis Glazebrook، القنصلُ الأميركيّ في القدس، تقريرًا، في مُحَرَّم 1334هـ/تشرين الثاني 1915م، حول تلك المَوْجة من الجراد الذي دَمَّر مزروعات فلسطين ومحاصيلَها، وجاء فيه أنَّ أسرابَه ملأت الحقول على مَدِّ البصر. ورَغْمَ الإجراءات التي تمَّ اتخاذُها كافَّة لم يَسلَم سوى القليل من المحاصيل أو الحقول. وعانى من ذلك سهلُ البَقْعَة بشكلٍ خاص، حيث تقعُ مستوطناتٌ يهوديَّةٌ وألمانيَّةٌ. ونَجَت حقولُ يافا من الجراد، بينما دُمِّرت الحقول في السهل الساحلي كافَّةً، وخاصّةً ما بين يافا والقدس، وهي التي كان أهالي القدس يعتمدون عليها للتَّزوُّد بالخضروات والفواكه. وفي المناطق الجبليَّة الواقعة بين القدس والخليل، تضرَّرتْ أشجار الزَّيتون والعِنب بشكلٍ خاص. ويُعدُّ زيت الزَّيتون غذاءً رئيسًا، حيث يَحلُّ محلَّ اللُّحوم لدى الفلاحين والفقراء. والعِنبُ مهمٌ لدى مختَلَف فئات الشعب، وقد أثَّرَ فقدانُه بشدَّة عليهم، لأنَّ السُّكر كان قد انقطعَ كلِّيًا عن البلاد في تلك السَّنة، فاعتمدَ الناس على الدِّبس كبديلٍ عن السُّكر. والغريب أنَّ اللَّقلق، الذي كان يُعتمدُ عليه باعتباره أكبر عدوٍ للجراد، تناقَصت أعدادُه في تلك السَّنة، بحيث كان تأثيرُه ضئيلًا[٣٤٣].

وإضافةً إلى ذلك تسبَّب الجرادُ بانتشار 'أمراضٍ فتّاكةٍ، مثل التيفوس والتِّيفوئيد والملاريا والجَدَري'[٣٤٤].

وفي 16 ذي الحجَّة 1342هـ، وَفْقَ 19 تموز 1924م، نَشرَتْ حكومةُ الاحتلال البريطاني إعلانًا يقضي بسريان القانون العثماني المتعلِّق بمكافحة الجراد، الصَّادر في 4 ذي الحجَّة 1330هـ، وَفْقَ ١٣ تشرين الثاني ١٩١٢م، بحيث يكافحُهُ أصحابُ الأراضي والمَزارع بلا أجرةٍ، سوى لِمن يُظهرُ نشاطًا مميَّزًا في ذلك[٣٤٥].

وفي أواخر سنة ١٣٤٦هـ، أي أوائل سنة ١٩٢٨م، تصدَّت حكومةُ الاحتلال لغزو الجراد بأجهزةٍ خاصةٍ، شملتْ قاذفاتِ لهَبٍ أثبتَتْ فاعليتَها. ثمّ تبعَهُ غزوٌ ضخمٌ لشرقيّ الأردن في شَوّال وذي القعدة 1347هـ، وَفْقَ

---

[343] The New York Times, 21/11/1915.

[٣٤٤] القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، ص 191.

[٣٤٥] جريدة حكومة فلسطين الرسمية (الانتدابية)، 120/ 843-842.

آذار ونيسان 1929م[٣٤٦]، فتصدَّى له بعضُ موظفي حكومة الانتداب البريطاني في ذي الحجَّة 1347هـ/أيّار 1929م، وقَضَوا عليه[٣٤٧]. وكان مَصدرُه صحراءَ نجد، وكانت وطأتُه أخفَّ من غَزوِ عام 1333هـ/1915م[٣٤٨].

وفي شعبان 1348هـ/كانون الثاني 1930م، وصلتْ أسرابٌ من الجراد إلى يافا[٣٤٩]. وفي أوائل ذي القعدة 1348هـ/نيسان 1930م، انتشرَ في بئر السَّبع والخليل[٣٥٠]. وظَهرَ الجرادُ في أراضي الغَوْر، ثم انتَشرَ في مُختَلَفِ الأراضي الفلسطينية في صفر 1366هـ/ كانون الثاني 1947م[٣٥١].

وسُجِّلَ ظهورُه في أزْمِنَةٍ أخرى، كما في رمضان 1425هـ/تشرين الثاني 2004م، حيث وَصلتْ أعدادٌ ضئيلةٌ من الجراد إلى فلسطين. وفي رَجَب 1434هـ/آذار 2013م وصلتْ أعدادٌ أكبر منه إلى جنوبيّ الخليل، إلّا أنَّ وزارة الزراعة تمكَّنتْ من القضاء على سِربِهِ فوْرَ اكتشافِه، حيث تمَّ رشُّهُ بموادّ كيماويَّةٍ.

---

[346] Handbook of Palestine and Trans-Jordan, p. 263.

[٣٤٧] جريدة حكومة فلسطين الرسمية (الانتدابية)، 236/ 502.

[348] Handbook of Palestine and Trans-Jordan, p. 393.

[٣٤٩] جريدة أبابيل، 963#، 2 رمضان 1348هـ، ص 4.

[٣٥٠] جريدة أبابيل، 971#، 13 ذي القعدة 1348هـ، ص 5.

[٣٥١] جريدة الدفاع، 17 صفر 1366هـ، 10 كانون الثاني 1947م، ص 3.

القَحْط

أشارَت مصادر عِدَّة إلى مُعاناة أهل القدس من انْحِباس مياهِ الأمطار عبْر التاريخ، وما كان يَنتُج عنه مِن شدائد، كالمجاعات والأوْبِئَة. ويُعَدُّ انقطاعُ مياهِ قناةِ السبيل[٣٥٢] عن بَيْتِ المَقْدِس في سَنةٍ معيَّنةٍ مؤشِّرًا ثانويًّا على وجود قَحْطٍ في تلك السَّنة.

وكان أهل المدينة يلجأون إلى صلاةِ الاسْتسْقاء كُلَّما انْحسبتْ عنهم الأمطار، كغيرِهم من المسلمين. ومن الأمثلة على ذلك انحباسُها سنة 895هـ/1489- 1490م؛ قال العُلَيْمي:

'فيها قَحَطَ المطرُ ببَيْتِ المَقْدِس، حتى مضى غالبُ الشِّتاء، وانزعجَ الناس لذلك، وصاموا ثلاثةَ أيامٍ، ثم استَسْقَوا في صبيحةِ يومِ الأحد، خامس عشر ربيع الآخر، بالصَّخرة الشَّريفة، وخَطَبَ الخطيبُ شرفُ الدين بن جماعة[٣٥٣] خُطبةً بليغةً، وتضرَّع وابتَهل، وضجَّ الناس إلى الله بالدُّعاء، ودَخلوا إلى الجامع الأقصى بالذِّكرِ والتَّهليل، ثم انصرفوا ولم يُسْقَوا في يومهم، فجَزِعَ الناس لذلك، وتضرَّعوا إلى الله تعالى، فلمّا مضى النَّهار وأقبلتْ ليلةُ الإثنين أغاثَ اللهُ عبادَه بالمطر الغزير، فامتلأَت الآبار ورُوِيَت الأرض، وأظهرَ اللهُ إجابةَ دُعاءِ عبادِه الضُّعفاء، فاطْمأنَّ الناس، وحَمدوا اللهَ وأَثنَوْا عليه، وله الحمدُ والمِنَّة'[٣٥٤].

وانحبستِ الأمطار أيضًا عام 978هـ، حتى رمضان منه، وَفْقَ شباط 1571م، فأُقيمتْ صلاةُ الاستسقاء في المسجد الأقصى، يوم الخميس، 22 رمضان 978هـ، وَفْقَ 17 شباط 1571م، وخَطبَ شيخُ الإسلام علي بن الزَّين؟ بالمصلِّين، ثم صَلَّوْا يومَ الجمعة، 23 رمضان 978هـ، وَفْقَ 18

---

[٣٥٢] يُعْتَقد أن بونتيوس بيليت، حاكم القدس الروماني (٢٦-٣٦م) هو الذي أنشأها. (The Water Supply of Jerusalem, Ancient and Modern, p. 106.). وكانت تجري فيها مياهُ نهر العروب جنوبي الخليل نحو المسجد الأقصى. وحَظِيَتْ برعايةِ حكّام القدس منذ العهد الروماني وحتى نهاية العهد العثماني. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 92. المفصل في تاريخ القدس، ص 438-437. من آثارنا في بيت المقدس، ص 146-141).

[٣٥٣] هو موسى بن عبد الله بن محمد الجماعي (916-845هـ/1510-1441م). (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 143. الكواكب السائرة، 1/ 309).

[٣٥٤] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 348.

شباط 1571م وخَطبَ فيهم نورُ الله بن جماعة[٣٥٥]، ثم صَلَّوْا يوم السبت، 24 رمضان 978هـ، وَفْقَ 19 شباط 1571م، وخَطبَ فيهم شيخُ الإسلام مُحَمَّد بن أبي اللُّطف الشَّافعي[٣٥٦].

وعندما تأخَّر سقوطُ الأمطار سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨- ١٧٥٩م، ذهبَ بدرُ الدِّين بن مُحَمَّد بن بدر الدِّين بن جَماعة الكناني (ت ١١٧٤هـ/١٧٦١م)، ′لمَرقَدِ خليفةِ ربِّ العالمين، سيِّدِنا داود، على نبيِّنا وعليه الصَّلاة والسَّلام مِن الملك المعبود، فتَرامَت الناسُ على أَعتابِه العالية، وتضرَّعتْ لأرحمِ الرَّاحمين بحضْرتِه السَّامية، وأقاموا حلقةَ الذِّكرِ والدُّعاء، فأَخَذَ مولانا الشيخَ بدر الدِّين الحالُ، ولَبِسَهُ ثوبُ الجلال، فصارَ الناسُ من هَيبَتِه خائفين، وللنَّظر إليه لا يستطيعون. وخرجَ من ذلك المقامِ ذاهبًا لمدينة سيِّدنا الخليل، على نبيِّنا وعليه الصَّلاة والسَّلام، ماشيًا مُنفردًا على حالتِه المَهولة، والناس لا يَعلمون سَيْرَه ولا مَقولَه، فتَلاحَقَهُ أتباعُه، وأَركَبوه إلى أنْ وَصلَ لِرحاب جدِّ المرسلين، وخليلِ ربِّ العالمين، فترامى على الأعتاب، وتوسَّل به وبأولادِه وبسيِّد الأحباب، وتضرَّع وبكى، ونَحَبَ فأَبكى′[٣٥٧].

وإضافةً إلى ما سَبَقَ، ثَبَّتَ المؤرِّخون وسجلاتُ محكمة القدس سنواتِ قَحْطٍ أخرى أصابَت بَيْتَ المَقْدِس. فمنها سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م، حيثُ ′تأخَّر المطرُ ببلاد القدس والسَّاحل، حتى فات أوانُ الزَّرع وجفَّت الآبار، ونَضَبَ ماءُ عين سِلوان′[٣٥٨].

وفي سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٦م ′أَقْحَطَتْ بِلادُ القدس والسَّاحِلِ ومُدُنُ الشَّام، إلى حلب، وبلَغت الغرارةُ من القمح إلى مائتي درهم وعشرين، والشَّعير بالنِّصف من ذلك، واللَّحم: الرَّطل إلى عشرة دراهم، والفاكهة إلى أربعة أمثالها′[٣٥٩].

---

[٣٥٥] هو نور الله بن برهان الدين إبراهيم بن جماعة (ت 987هـ/1579م). (س ش 41/ 171، 6 شوّال 987هـ).

[٣٥٦] س ش 54/ 611، رمضان 978هـ. وهو أحد أجداد عائلة جار الله المعاصرة.

[٣٥٧] تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر، ص 225-224.

[٣٥٨] إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص 106.

[٣٥٩] إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص 108.

وفي سنة 748هـ/1347م عمَّ القَحْط دمشقَ وحَوْرانَ وبَيْتَ المَقْدِس و ‹ارتفعت الأسعار، حتى بيعَ رطلُ الزَّيت بأربعة دراهم ونصف، ومثلُهُ السِّيرج والصَّابون والأرُز، ووصلَ سعرُ غرارة القمح بدمشق إلى ثلاثمائة درهم، بل إنَّ الحال وَصلَ بأهل حوران، مُصَدِّري القمح، للذهاب إلى المناطق البعيدة لِجَلبِه من أجْلِ المؤونة والبِذار. وإذا سافر أحدٌ منهم يَصْعُبُ عليه تحصيلُ الماءِ لنفسه ولدابَّته، لأنّ المياه التي في الطُّرقات كلُّها نفَدَت، وأمَّا القدسُ فأشدّ حالًا وأبلَغ في ذلك›[٣٦٠].

وفي سنة 782هـ/1380م عمَّ القَحْط بلاد الشَّام كافةً، وارتفعت الأسعارُ فيها حتى ‹وَصل سعرُ غرارةِ القمح بدمشق مائتين وخمسين، وبِيعَ رطلُ الخُبز بدرهم. واستَسقى الناس بالقدس فسُقوا، ولله الحمد›[٣٦١].

وفي سنة 825هـ/1422م ‹هبَّت ريحٌ ذاتُ سَمومٍ بالكَرك وما حولها، فأفسدَت المَزارع، وقلَّ الماءُ جِدًّا بتلك البلاد وبالقدس، وتفرَّق أهلُ تلك البلاد من القَحْط›[٣٦٢].

وفي سنة 873هـ/1468م ‹حَصلَ الغلاءُ العظيمُ في جميع المملكة، واشتدَّ الأمرُ ببَيْتِ المَقْدِس، وقلَّت الأقواتُ منه، ووصلَ سِعرُ القمح كُلُّ مُدٍّ بدينار، والشَّعير كُلُّ مُدٍّ بعشرين درهمًا، ووقع الغلاءُ في كلِّ الأصناف، مِن الأرُز والزَّيت والبصَل وغير ذلك، حتى في الخضراوات، وضجَّ الناس إلى الله سبحانه وتعالى›[٣٦٣].

وفي صيف 981هـ/1573م عانى أهل القدس وقُراها من قِلَّة الأمطار التي هَطَلَت في موسم الشِّتاء السَّابق[٣٦٤]، حتى اشتكى وكيلُ خَرْجِ

---

[٣٦٠] العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشَّام، ص 312؛ نقلًا عن: أبو الفداء، المختصر، ج4، ص 151-150، وعن ابن كثير، البداية، ج14، ص 235.

[٣٦١] العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشَّام، ص 312، نقلًا عن: ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص 15، وعن ابن قاضي شهبة، تاريخ، ج3، ص 39.

[٣٦٢] إنباء الغمر بأبناء العمر، 3/ 268.

[٣٦٣] العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشَّام، ص 313. نقلًا عن: البصروي، تاريخ البصروي، ص 36-34، وعن العُلَيْمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 285.

[٣٦٤] س ش 55/ 496، أوائل ربيع الأول 981هـ.

العمارة العامرة من عدمِ وجودِ أرُزٍّ للطبخ[٣٦٥]. وفي شَوّال 981هـ/شباط 1574م[٣٦٦]، وفي محرَّم ٩٨٢هـ/أيار ١٥٧٤م، انقطع ماءُ قناة السبيل لقِلَّة الأمطار[٣٦٧].

وانقَطَعَ ماءُ قناةِ السبيلِ عن بَيْتِ المَقْدِس في شعبان ١٠٢٤هـ/أيلول ١٦١٥م[٣٦٨]. ويبدو أن سبب ذلك كان قلة كمية الأمطار التي هطلت في الموسم السابق.

وفي شهرَيْ رمضان وشوال ١٠٢٤هـ، وَفْقَ تشرين الأول وتشرين الثاني ١٦١٥م:

"وَقْعٌ مِن العَجائب: حَصَلَ لأهْلِ بَيْتِ المَقْدِسِ مِنْ أوّلِ شهْرِ رمضان المبارك إلى آخرِ شهْرِ شوال، ضيقٌ في الماءِ حتى ما وُجِدَ في بَيْتِ المَقْدِسِ شُرْبَةُ ماء، ووَصَلَ ثَمَنُ جَرَّةِ الماء في القُدْسِ الشريف مِصْرِيّتَيْن. وغالبُ شربِ أهل القُدْسِ من عَيْنِ لِفْتا وعَيْنِ سِلْوان، ومِن غيرهم من العيون الخارجَةِ عن القدس. ومِن بَرَكَةِ أهْلِ القدس أنْ ما عُهِدَ أنّ عَيْنَ سِلْوانَ طَلَعَتْ في اليوم والليلة غَيْرَ مَرَّةٍ واحِدَةٍ، وفي هذه المُدَّةِ كلّ يومٍ تَطْلُعُ مَرَّتَيْن وثلاثة، فهذِهِ مِن بَرَكَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ. وحَصَلَ هذِهِ المُدَّة المذكور في سَنَةِ 1024"[٣٦٩].

---

[٣٦٥] س ش 55/ 495، 25 ربيع الأول 981هـ.

[٣٦٦] س ش 56/ 732، 12 شَوّال 981هـ.

[٣٦٧] س ش 56/ 104، 27 مُحَرَّم 982هـ.

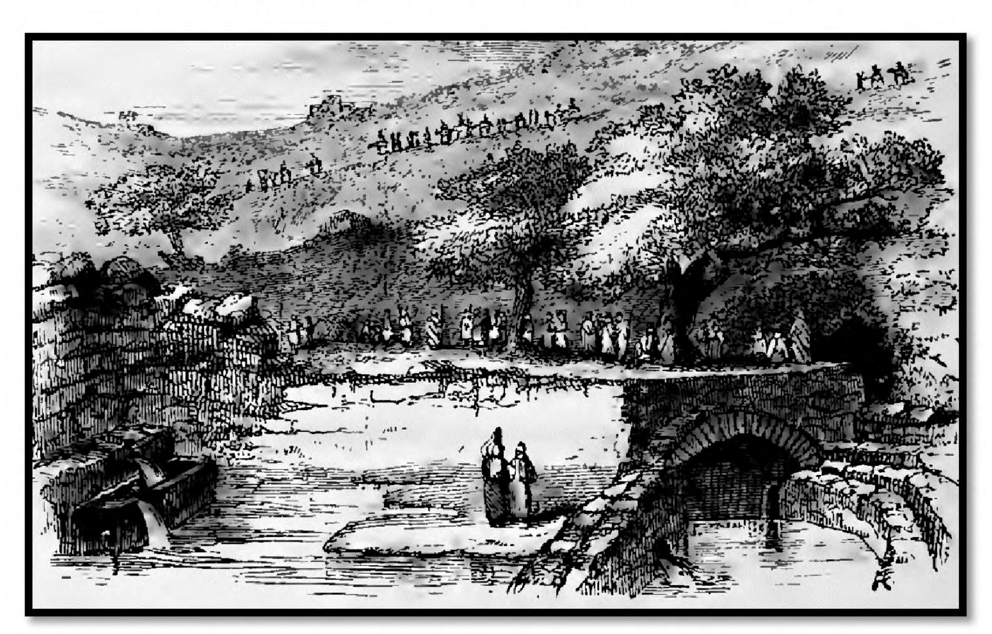
[٣٦٨] س ش 98/ 91، أواخر شعبان 1024هـ.

[٣٦٩] على صفحة غلاف مخطوط "مِلْحَة الإعْراب"، المحفوظ في الجامعة العبرية، تحت رقم Ms.Temp.Ar.173.



وقع من العجايب حصل لاهل بيت المقدس من اول شهر رمضان المبارك
الى اثنا شهر شوال ضيق في الما حتى ما ورد في بيت المقدس
شربة ما و وصل ثمن جرة الما في القدس الشريف مصريتان
وغالب شرب اهل القدس من عين لفتا وعين
سلوان ومن غيرهم من العيون الخارجة عن القدس
ومن بركة اهل القدس ان ما [illegible]
عين سلوان طلعت في اليوم والليل
غير مرة واحدة وفي [illegible]
كل يوم تطلع مرتين وثلاثة
فلله من بركة بيت المقدس
وحصل هذه [illegible]
المذكور في
١٠٣١

جانبٌ من صَفْحَةِ غِلافِ مَخْطوطِ "مِلْحَة الإعْراب".



عين لفتا أواسط القرن الثالث عشر الهجري.
(المصدر: .The City of the Great King, p. 544).

وخلال موْسِمِ الحَصادِ في جمادى الآخِرة 1031هـ/أيّار 1622م، تمَّ إبلاغُ قاضي بَيْتِ المَقْدِس أنَّ الزَّرعَ في الرَّمْلَةِ بعْضُهُ نبتَ، وبعْضُهُ يبسَ

مِن عَدَمِ الأمطار٬[٣٧٠]، أي في موسمِ الشتاءِ السابِق. وبدأتْ مُعاناةُ الأهالي تزداد في أواخرِ الصَّيف، حيث تَوجَّهَ وفدٌ مِن مشايخِ مدينةِ الخليل إلى قاضي بَيْتِ المَقْدِس في ٥ ذي القعدة 1031هـ، وَفْقَ 11 أيلول 1622م، وشكَوْا إليه ٬انقطاع السماط[٣٧١] بسبب قِلَّة المَطرِ هذه السنة٬[٣٧٢].

وقد تعاظم الكربُ عندما تأخَّر هطولُ الأمطار في الموسم التالي، حيث لجأ مشايخُ قرية تَرقومية، الواقعة في محافظة الخليل، إلى قاضي القدس، في ختام مُحَرَّم 1032هـ، وَفْقَ 3 كانون الأول 1622م، واشتَكَوْا من شِدَّةِ القَحْط والجوعِ والعطش، فباعهم مُحَمَّد باشا، محافظُ القدس، كميةً من الحِنْطَة[٣٧٣]. ثم تبِعَهم مشايخُ قرية المصايات، الواقعة ظاهر القدس، في 11 صَفَر 1032هـ، وَفْقَ 14 كانون الأول 1622م[٣٧٤]. ثم تبعَهم مشايخُ قرية شعفاط، في ٥ ربيع الأول 1032هـ، وَفْقَ 7 كانون الثاني 1623م، وشَكَوْا ٬ما هُم فيه من الجوع والقِلَّة والمِحنة والمَشقَّة والبلاء، وما قاسَوْه من مِحنةِ القَحْط المُدهش... وأنَّهم لا يجدون شيئًا يأكلونه٬[٣٧٥]. ثم تبعَهم مشايخُ قرية البيرة، في 2 رمضان 1032هـ، وَفْقَ 30 حزيران 1623م[٣٧٦]، ثم مشايخُ قرى قلندية وشعفاط[٣٧٧] والجديرة وبني زَيْد ودير الغسَّانة، في 22 رمضان 1032هـ، وَفْقَ 20 تموز 1623م[٣٧٨].

ولِشدَّة القحْطِ فرَغتْ صهاريجُ المسجد الأقصى، ولم يبقَ إلا قليلٌ من الماء في بئرِ الرمّانةِ بصحْنِ الصخرة، فطَلَبَ الأهالي من القاضي، في 20 شوال 1032هـ، وَفْقَ ٢٦ نيسان ١٦٢٣م، مَنْعَ السقّائين، وكان عددُهم

---

[٣٧٠] س ش 105/ 185، 21 جمادى الآخِرة 1031هـ.

[٣٧١] كان وقفُ الخليل يَشمَلُ إعدادَ سماطٍ لإطعامِ مختلفِ طبقاتِ المجتمع؛ قال العُلَيْمي: ٬وكان سماط سيدنا الخليل، عليه الصلاة والسلام، يُعْمَلُ فيه ليلةَ الجمعة الأرز المفلفل والحب رمان، والعدس في كل يوم. وفي الأعياد تُعمَل الأطعمة المُفْتَخَرة٬. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 97).

[٣٧٢] س ش 105/ 469، 5 ذي القعدة 1031هـ.

[٣٧٣] س ش 105/ 650، ختام مُحَرَّم 1032هـ.

[٣٧٤] س ش 105/ 664، 11 صَفَر 1032هـ.

[٣٧٥] س ش 105/ 708، 5 ربيع الأول 1032هـ.

[٣٧٦] س ش 120/ 360، 2 رمضان 1032هـ.

[٣٧٧] لجأ مشايخ شعفاط هنا تارةً أخرى، غير السَّابقة.

[٣٧٨] س ش 120/ 364-363، 22 رمضان 1032هـ.

إذّاك خمسةَ عشر سقّاء، مِنْ سَحْبِ مياهِه وبيعِها للطحّانين وأصحاب المقاهي، بحيث ينتفعُ بها الفقراءُ للشرب والوضوء[٣٧٩].

وتجدُرُ الإشارةُ هنا إلى أنَّ تأثيرَ القَحْطِ بَدأ مُبَكّرًا في مدينة الخليل وما حولها، وذلك لانخفاض مُعدَّل الأمطار السَّنويَّة فيها بطبيعة الحال، ثم أصحبت الشَّكاوى ترِدُ من أهالي قرى القدس ثم البيرة وما بعدها، حيث يزداد مُعدَّل الأمطار السَّنويَّة كلّما اتجهنا شمالًا.

وتكرَّر القَحْطُ والمجاعةُ بعد عشر سنواتٍ، حيث استغاث أهالي القرى بمُحَمَّد باشا، محافظ القدس، فباعَهم مؤوناتٍ مُخزَّنةً لحسابه الخاص. فقد توجَّه إليه مشايخ قرية شعفاط، في 22 رمضان 1042هـ، وَفْقَ 1 نيسان 1633م، واشتكوْا 'أنَّ الجوعَ قد قطَّع أكبادَهم وكاد يُمزِّقُ أوصالَهم، لعدم القوت الذي يُقِيمون به أوَدَهم'[٣٨٠]. وتبِعَهم مشايخ قرية سلوان في 6 شَوّال 1042هـ، وَفْقَ 15 نيسان 1633م[٣٨١].

وفي ٥ جمادى الآخِرة ١٠٦١هـ، وَفْقَ ٢٥ أيار ١٦٥١م، وصلت مياهُ قناة السبيل إلى القدس الشَّريف بعد انقطاعها أربع سنوات[٣٨٢]. وبعد انقطاع المياه تارةً أخرى بدأ تعميرُ القناة في شَوّال ١٠٦٤هـ/١٦٥٤م[٣٨٣].

وذكر أبو سالم عبد الله بن مُحَمَّد العيّاشي[٣٨٤] أنَّ قحطًا أصاب فلسطين خلال زيارته لها، فعند مروره ببرك سليمان، قُرْب بيت لحم، في ٢٣ صفر 1074هـ، وَفْقَ ٢٥ أيلول 1663م، قال: 'ومرَرْنا بالجوابي[٣٨٥] التي يأتي منها الماء إلى المسجد الأقصى، وهي جوابٍ عظيمةٌ في غايةِ السَّعةِ لم أرَ أوسع منها، وهي ثلاثةٌ متواليةٌ، يجتمع فيها الماء من عيْنٍ هناك، حتى إذا امتلئتْ ذهب في قنواتٍ مُحْكمةٍ تحت الأرض إلى أن يدخل

[٣٧٩] وثائق الطوائف الحرفية في القدس في القرن السابع عشر، 1/ 203-199، نقلًا عن س ش 107/ 26، 20 شوال 1032هـ.

[٣٨٠] س ش 120/ 363، 22 رمضان 1042هـ.

[٣٨١] س ش 121/ 17، 6 شَوّال 1042هـ.

[٣٨٢] س ش 155/ صفحة العُنوان، 5 جمادى الآخِرة 1061هـ.

[٣٨٣] س ش 149/ 470، أواخر شَوّال 1064هـ.

[٣٨٤] فقيهٌ ورحّالةٌ مغربي. زار بيت المقدس خلال رحلته إلى بلاد الشرق، ووصفها في كتابه "الرحلة العياشية".

[٣٨٥] الجوابي، جمعُ جابِيَة. قال في لسان العرب: 'الجابيةُ الحَوضُ الذي يُجْبَى فيه الماء'. ويبدو أنه لفظٌ دارجٌ عند المغاربة.

المسجد. ولم نجد في هذه السنة إلا قليلًا من الماء لقلَّة الأمطار، فغارت العيون'[٣٨٦].

وأصاب بَيْتَ المَقْدِس وجوارَها قَحْطٌ شديدٌ في عامَيْ 1103-١١٠٤هـ/1692م، ويبدو أنه كان من أشدِّ المواسم سوءًا، حتى أنّ أحدَ أهلِ مدينة الخليل أكَّدَ أنّ المطرَ انحبَسَ من ١ جمادى الآخِرة ١١٠٣هـ وحتى ١ ربيع الأول ١١٠٤هـ، وَفْقَ ١٩ شباط ١٦٩٢م وحتى ١٠ تشرين الثاني ١٦٩٢م، فقال:

'هذا تاريخُ سنةِ الغلاءِ ممّا جرى، يشتملُ على ضبْطِ أسعار هذه السنة بتمامها وكمالها، وذلك مِن غُرَّة شهر جمادى الثاني من شهور سنة ثلاثة وماية وألف. من غُرَّة هذا الشهر ما نزلَ المطرُ على الأرضِ المقدسة وهذه المدينة وسائر بلاد العرب، إلى غُرَّة شهر ربيع الأول الأنور من شهور سنة 1104، مُطِرَتْ هذه الديار. وفي هذه المُدَّة الماضية وقعَ في المسلمين والدواب عطش كثير'[٣٨٧].

---

[٣٨٦] الرحلة العياشية (1661-1663)، 2/ 457.

[٣٨٧] هذا النص مكتوبٌ على إحدى صفحات مَلْزَمَةٍ مخطوطةٍ ناقصةٍ في مكتبة المسجد الأقصى.



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على القوم الكافرين وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم

صورة النصِّ المحفوظ في مكتبة المسجد الأقصى.

وفي صَفَر 1104هـ/1692م، أبلَغَ عقل بيك، متسلِّمُ القدس، والمتولّيُ على وقْف المدرسة الملكية[٣٨٨]، قاضيَ المدينة، أن ثمَّة غرفة في تلك المدرسة بحاجةٍ إلى ترميم، وليس لديه مالٌ يكفي لذلك، لأنّه ׳لم يُتحَصَّل من رَيْع الوقْفِ في هذه السنة لا غِلالٌ ولا زيتٌ أصلًا، لعدَمِ المطر وشِدَّة القَحْط׳، فتمَّ تأجيرُ الغرفة إلى زين العرب اللطفي، ليعمِّرها وينتفع بها[٣٨٩].

وبعد انقطاع مياه قناة السبيل مُدَّة ثلاث سنوات، بدأ تعميرُها عام ١١٠٦هـ/١٦٩٥م[٣٩٠]. وبعد انقطاعِها عشر سنواتٍ أخرى، تمَّ تعميرُها

[٣٨٨] تقع فوق الرِّواق الشمالي بالمسجد الأقصى، قرب المدرسة الفارسية. عمَّرها الحاج آل ملك أبو بكر الجوكندار، عام 741هـ/1340م. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 38).

[٣٨٩] س ش 194/ 55، أواسط صَفَر 1104هـ.

[٣٩٠] س ش 196/ 402، 10 رمضان 1106هـ.

فوَصل ماؤها في ذي الحِجَّة ١١١٩هـ/١٧٠٨م[٣٩١]. وبعد انقطاعها لمُدَّة عامٍ تمَّ الكشفُ عليها في رَجَب ١١٤٠هـ/١٧٢٨م[٣٩٢]. وبعد انقطاعها مُدَّةً أخرى، بدأ تعميرُها في صَفَر 1147هـ/1734م[٣٩٣]، وما لبِثتْ أن تعطَّلت خلال أشهرٍ قليلةٍ، فتمَّ إصلاحُها، فوَصلَ ماؤها في أواخر عام ١١٤٧هـ/١٧٣٥م[٣٩٤].

وفي عام ١١٩٩هـ/١٧٨٤- ١٧٨٥م، 'وقع القحْطُ والغلاء'، فلم يَرِدْ سوى القليلِ من الحبوب إلى 'عَرْصَة الغِلال[٣٩٥] بخطِّ داود[٣٩٦] بالقدس الشريف'[٣٩٧].

وتأخَّرَ هطولُ الأمطار في فَصْلِ الشِّتاء عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٥-١٧٨٦م؛ قال مُحَمَّد كمال خُنِكْرُه: 'قَلَّت الماءُ في بَيْتِ المَقْدِس من قِلَّة الشِّتاء، وفرغَتْ أبيارَتُ الخَلْق'[٣٩٨]. وأدَّى ذلك القَحْطُ إلى نقْصٍ كبيرٍ في المحاصيل الزراعيّة، ولكنَّ الباب العالي عالج الأزمة بإرسال سفنٍ محمَّلة بالمؤن من الأناضول ومصر؛ قال خُنِكْرُه: 'سنة ألف ومايتين اشتدَّ الكرْب على الخَلْق من قلَّة الشِّتاء، فما طلَع زرْعٌ، لا في بلاد غزَّة ولا في جبل نابلس ولا في جبل القدس، فأرسل اللهُ تعالى مراكبَ من بلاد الرُّوم، كلُّها غِلالٌ من جميع الحبوب، إلى أن طمَّت البلادَ جميعًا. وثمَّ وَرَدَ المراكبُ،

---

[٣٩١] من آثارنا في بيت المقدس، ص 155؛ نقلًا عن س ش 205/ 24، أواخر ذي الحجَّة 1119هـ.

[٣٩٢] س ش 221/ 513، 5 رَجَب 1140هـ. س ش 221/ 514، 26 رَجَب 1140هـ.

[٣٩٣] س ش 227/ 139، 6 ربيع الآخر 1147هـ.

[٣٩٤] س ش 227/ 264، 1 مُحَرَّم 1148هـ.

[٣٩٥] "عرْصةُ الغلال" هي دكّانٌ كبيرٌ كان مخصَّصًا لبيع الحبوب وشرائها، في الصف الشمالي من سوق البازار. وكان به كيّالٌ يستوفي رسومًا من موَرِّدي الحبوب، حسبما وَرَدَ في عشرات الحُجج في سجلّات المحكمة.

[٣٩٦] "خط داود" هو الطريق المُمْتد من باب الخليل وحتى باب السلسلة، أحد أبواب المسجد الأقصى.

[٣٩٧] حسبما ورد في حُجَّةٍ متأخِّرةٍ تشمل حسابات رسوم الكيل في العرصة. (س ش 273/ 66، شعبان 1206هـ).

[٣٩٨] فهرس مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي، رقم: 666/175م ، هامش المخطوط: ص 22ب. نقلتُ النصَّ كما وَرَدَ على المخطوط بحروفه.

إلى أنْ بلغ مُدُّ الحِنْطَة ستة زُلَطَة[٣٩٩]، وأتا اللهُ بالفرج على عباده من جميع الأقطار، حتى أنَّه أجانا خيرٌ من بلادِ مصر بعد دخول قبطان حسن باشا[٤٠٠] تابع الدَّولة العثمانية"[٤٠١].

ويؤكِّدُ على صحَّةِ ذلك ما ذَكرَهُ عبدُ الرحمن الجبرتيُّ في حوادث رَجَب سنة ١٢٠٠هـ/أيار ١٧٨٦م، حيث قال: "وفيه وَرَدَ الخبرُ من الدِّيار الشَّامية بحصول طاعونٍ عظيمٍ في بلادهم، حَصَلَ عندهم أيضًا قَحْطٌ وغلاءٌ في الأسعار"[٤٠٢].

وأصاب القَحْطُ فلسطينَ تارةً أخرى عام ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م؛ قال حُنِكْرُه: "تاريخ في سنة ألف ومايتين وسبعة اشتدَّ الكربُ على الخَلْق، ولا طلَعَ زرعٌ لا في القدس ولا في بلاد غزَّة ولا في البلاد جميعًا، إلى أن وصل ثَمنُ القمح أربعة، ورطل الرُّز ستين فضَّة"[٤٠٣]. وتعرَّض لبنان أيضًا للقَحْط في العام المذكور، فأرسلت الدَّولةُ سفنًا محمَّلة بالمؤن؛ قال حيدر الشِّهابي: "ولولا وجودُ مراكب أروامٍ تَجلِبُ حِنْطَةً إلى مينت[٤٠٤] الشَّقعة، قرب طرابلس، لماتت الناس"[٤٠٥].

---

[٣٩٩] تُكتَب أحيانًا "زُلاطه" أو "زلتة"، وهي عملةٌ بولونيةُ الأصل، مغشوشةٌ مخلوطةٌ، أي نحاسيّةٌ بداخلها فضَّة، وكانت قيمتُها تعادل 30 بارةً أو ثلاثةَ أرباع الغرش الأسدي، وأُطلِقَ عليها "غرش" أحيانًا. (دراساتٌ في تاريخ بيت المقدس، ص ١٦٢).

[٤٠٠] أرسل الباب العالي حسن باشا إلى مصر لقمْع تمرُّد المماليك، فوصل في رمضان 1200هـ، واستبشر أهلُها بقدومه، فما لبِثَ أنْ أذاقهم ألوانًا من الظلم، حتى استدعاه الباب العالي. (عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 1/ 620).

[٤٠١] فهرس مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي، رقم: 666/175م، هامش المخطوط: ص 52ب، 84ب.

[٤٠٢] عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 1/ 616.

[٤٠٣] فهرس مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي، رقم: 666/175م. هامش المخطوط: ص 29أ، 108ب.

[٤٠٤] أروام: أتراك. مينت: ميناء.

[٤٠٥] لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، 1/ 169.

وبعد انقطاع مياه قناة السبيل لعِدَّة سنواتٍ، وصلتْ مياهُها إلى المسجد الأقصى في غُرَّةِ جمادى الآخِرة 1225هـ، وَفْقَ ٣ تموز ١٨١٠م، فقال أحمد السردي (ت بعد ١٢٢٨هـ/١٨١٣م)[٤٠٦]:

قبْل هذا العام كانت ... قدسُنا مثل القِفار
فأتى اللهُ بماءٍ ... سائرٍ للكاس[٤٠٧] ساري
فانظُر الكاسَ وأرِّخ ... كوثرٌ في القدس جاري[٤٠٨]



الكأسُ بَيْنَ المُصَلّى القِبْلي ومُصلّى قُبَّةِ الصخرة. (تصوير بشير بركات، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).

[٤٠٦] هو الشيخ أحمد بن عبد الله الغمري السردي. مصري استقر في بيت المقدس وأصبح من مشاهيرها. نَظَمَ عدَّةَ قصائد، ونَشر بعضَها في كُنّاشةٍ محفوظةٍ في المكتبة البديرية، نَسخها عام 1210هـ/1796م، وكَتَبَ عليها: 'وقْفٌ على من يَنتفع به من سكان القدس'. وله كُنّاشةٌ أخرى محفوظةٌ في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي، نَسخها عام 1217هـ/1802م. (دراساتٌ في تاريخ بيت المقدس، ص 687-685. مباحث في التاريخ المقدسي الحديث، 2/ 206-207).

[٤٠٧] الكأس هو شادروان الوضوء الواقع شمالي المصلّى القبلي في المسجد الأقصى.

[٤٠٨] خطَّها على الورقة الأولى من مخطوط "تيسير الفتاوي من تحرير الحاوي"، المحفوظ في المكتبة البديرية، والذي مَنَحتُهُ الرقم 212/42، خلال فهرستي لمخطوطات المكتبة المذكورة عام 1428هـ/2007م.

وفي فَصْلِ الشِّتاء عام 1232هـ/1816- 1817م، تأخَّر هطولُ الأمْطار حتى 6 صَفَر 1232هـ، وَفْقَ 25 كانون الأول 1816م، على الأقَلّ[٤٠٩]، فعانى أهالي بَيْتِ المَقْدِس من شدَّة الغلاء في ربيع 1232هـ/1817م، فبَلَغَ ثَمنُ رطلِ الخبزِ أربعَ زلطات، ورطلُ الحِنْطَة ثماني زلطات، ورطل الأرُز أربع زلطات، فاشترى قاضي القدس حِنْطَةً من مالِه الخاص، وباعها خبزًا للناس بسعرٍ معتدل[٤١٠].

وفي رمضان 1235هـ/1820م انقطعت مياه قناة السبيل عن بيت المقدس[٤١١].

وفي عام 1242هـ/1825- 1826م، تعرَّضتْ فلسطينُ للقَحْط، فطَلَبَ رهبانُ دير الروم في القدس من مُحَمَّد علي باشا، والي مصر، أنْ يَأذن لهم باستيراد حِنْطَةٍ وأرُزٍّ من مصر[٤١٢].

وفي عام 1247هـ/1831م، طَلَب قاضي القدس، مصطفى أفندي، من الحكومة المصريّة إرسال 'ألف إردبٍ[٤١٣] من الحِنْطَة، لشدَّة الضيق في القدس، واحتياج الأهالي للطعام'[٤١٤].

وفي فَصْل الشِّتاء التالي، عام 1248هـ/1832- 1833م، أصاب فلسطينَ جفافٌ وارتفاعٌ في الأسعار، وذَكَرَ سبيريدون Spyridon في مُذَكِّراتِه أنّ دير مار سابا عانى بشِدَّةٍ جرّاءَ ذلك لأنّه كان يُزَوِّدُ ١٨٥ شَخْصًا من السكّان المجاورين بالخُبْزِ يوْميًّا[٤١٥].

---

[٤٠٩] س ش 290/ صفحة العُنوان، 6 صَفَر 1232هـ.

[٤١٠] س ش 290/ 2، نصف جمادى الأولى 1232هـ. قارن هنا بين موقف القاضي، الذي كان يُمثِّلُ الجانب الديني في السلطة الحاكمة، وموقف المحافظ المذكور آنفًا، الذي كان يُمثِّلُ الجانب السياسي في السلطة الحاكمة.

[٤١١] س ش 290/ 310، 13 رمضان 1235هـ.

[٤١٢] المحفوظات الملكية المصرية، 1/ 88.

[٤١٣] هو مكيال يعادل 24 صاعًا. (معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص 23).

[٤١٤] المحفوظات الملكية المصرية، 1/ 162.

[415] Annals of Palestine, 1821-1841, in: The Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. XVIII (1938), p. 85.

وذَكَرَ المطران صمويل غوبات Samuel Gobat، أن قحْطًا أصابَ بَيْتَ المَقْدِسِ في صيف ١٢٦٢هـ/1846م[٤١٦].

وعانت بَيْتُ المَقْدِس من شُحِّ المياه في ربيع سنة 1269هـ/1853م[٤١٧]. وزعمت السيّدة إليزابيث فين Elizabeth Finn، أنَّ مجاعةً أصابتْ يهودَ القدس في أواسط سنة 1270هـ، وَفْقَ أوائل سنة 1854م، بسبب احتكار التُّجّار المسلمين للحبوب، ممّا أدَّى إلى وفاةِ يهودٍ فقراء جوعًا[٤١٨]. وربَّما كان عليها أنْ تُضيف أنَّ الاحتكارَ أصاب فقراءَ المسلمين بالمِثل، فالمُحتَكِرون لا يأبَهون لديانةِ الفقراء، ولا يَستثنون أحدًا. ويُشار إلى أنَّ الدكتور بشارة دوماني شكَّك في مصداقيَّتِها في سياقٍ آخر[٤١٩].

وذكرَت السيّدةُ إليزابيث فين Elizabeth Finn أيضًا، أنَّ مياهَ الأمطارِ تـأخَّر هُطولُها في فَصْل الشِّتاء سنة 1272هـ/1855-1856م[٤٢٠].

وذَكَرَ ألكسندر شولش أنَّه لم تَكن هناك حبوبٌ تُحْصَدُ في جنوبيّ فلسطين عامَيْ ١٢٧٥ و ١٢٧٦هـ، وَفْقَ ١٨٥٩م و١٨٦٠م، بسبب انقطاع المطر[٤٢١].

وذَكَرَ صمويل غوبات Samuel Gobat، أنّ قَحْطًا شديدًا أصابَ بَيْتَ المَقْدِسِ في خريف ١٢٨٢هـ/1865م، جرّاءَ قلَّةِ المطرِ الذي هَطَلَ في الربيع السابق. وفي صيف عام ١٢٨٧هـ/1870م، لم تَنْبُتْ أيُّ

---

416 Samuel Gobat, Bishop of Jerusalem, his life and Work, p. 230.

417 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 109.

418 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 117.

٤١٩ فقد فَنَّدَ روايةً سرَدَتْها في كتابها المذكور، مفادُها أنّ امرأةً من بيت جالا، توجَّهت عائلتُها إلى تاجر الصَّابون سليمان العسلي، عندما عجزتْ عن دفع الضرائب المستحقَّة عليها، فأقرَضها 500 غِرش مقابل تزويده بخمس عشرة جرَّة زيتٍ في العام التالي، ثم تطوَّر العددُ إلى 80 جرَّة بسبب التأخُّر في تزويده بخمس عشرة جرَّة في الوقت المُعيَّن. فعقَّب بشارة على ذلك قائلًا: 'من المرجَّح أن هذه القصة مبالَغٌ فيها، سواءً أكان ذلك من مُخْبِرَةٍ أمِلَتْ استدرارَ العطف والمساعدة... أمْ من الكاتبة التي كانت تتباهى، وزوجُها، بأنها نذَرَتْ نفسها لتقديم المعونة للضعفاء'. (إعادة اكتشاف فلسطين، أهالي جبل نابلس، 1900-1700، ص 174-275).

420 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 150.

٤٢١ تحولات جذرية في فلسطين، ص 108.

خضراواتٍ، لقلَّةِ المطرِ أيضًا، فكان القحطُ أشدَّ وطْأةً، حيث ارتفعتْ أسعارُ الماءِ والخبْزِ ارتفاعًا باهِظًا. ولأجْلِ شرائهما اضطرَ الفقراءُ إلى بيعِ مُمْتلكاتِهم القليلة، وبعضُهم باعوا ملابسهم أيضًا[٤٢٢].

قياسُ كمّيات الأمطار

كان بعضُ الرحّالة الغربيين قد قاسُوا كمِّيّات الأمطار التي تَهطُل على مدينة القدس قبل حَمْلة إبراهيم باشا على بلاد الشام، ولكنْ بشكلٍ عشوائي، حتى أنَّ قياساتِهم تكاد لا تَنفعُ بشيء. وكان الطَّبيب الإنجليزي، ماك غووان Mac Gowan، أوّل مَن بدأ بقياس كمِّيّات الأمطار التي تَهْطل على المدينة بوسائل وأدواتٍ حديثةٍ في المُدَّة ١٢٦٢-١٢٧٥هـ/1846- 1859م، لكنَّها أيضًا لا تَصلُح للاستخدام في الأبحاث. وكذلك بالنسبة لقياساتِ درجاتِ الحرارة التي أجراها المُعلِّم الألماني، بالْمَر Palmer، ابتداءً من ١٨ رَجَب ١٢٦٣هـ، وَفْقَ 1 تموز 1847م، وحتى عام ١٢٧٢هـ/1855م، حيث تخلَّلتْها مُدَدٌ متقطِّعةٌ قليلةٌ[٤٢٣].

أمَّا القياساتُ الدَّقيقةُ المعتبرةُ لكمِّيّات الأمطار، فقد بدأ إجراؤها عام ١٢٧٦هـ/1861م، ويرجع الفضلُ بذلك للطَّبيب الإنجليزي، توماس تشابلين Dr. Thomas Chaplin، حيث نَشر نتائجَ جهودٍ بذلَها على مدى اثنين وعشرين عامًا، في "دورية صندوق استكشاف فلسطين" عام ١٣٠١هـ/1883م، ثم استأنَف الصُّندوقُ تلك المَهمَّة بعدئذٍ، وأصبحت الدَّوريةُ تَنشرُ إحصاءاتِها تلك سنويًّا[٤٢٤].

وتُعتبرُ كمِّيّات هطولِ الأمطار أهمَّ عاملٍ في مناخ فلسطين، لأنَّ العوامل الأخرى كافَّة، كالرُّطوبةِ والحرارةِ والضَّغطِ والرِّياح، لا تؤثِّر بالدَّرجةِ نفسها على اقتصاد فلسطين مطلَقًا. ولذلك كرَّس الألمان جهودَهم على قياس كمِّيّات الأمطار[٤٢٥]. فقد بدأ المُعلِّم الألماني، دوك Dück، قياسَها في القدس منذ عام ١٣١٢هـ/١٨٩٥م، وذلك في حديقةٍ تقع في

---

422 Samuel Gobat, Bishop of Jerusalem, his life and Work, p. 352, 358.
423 Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXV, (1902), S. 6.
424 Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXV, (1902), S. 6.
425 Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXV, (1902), S. 8.

إحدى المنازل في الكولونية الألمانية، التي أُنشِئَت شمالي سَهلِ البَقعَة[٤٢٦]. وتمَّ إنشاءُ موقعِ رصدٍ آخر في مدرسة الأيتام السُّورية، الشهيرة بمدرسة شْنِلَرْ[٤٢٧].

ومن تلك القياسات الحديثة التي أجراها الإنجليز والألمان، استَخرجْتُ السَّنواتِ التي شحَّتْ فيها المياهُ لقلَّة هطول الأمطار في بَيْتِ المَقْدِس، وأَدرجتُها في مُلحَق هذا الكتاب.

وقد عانتْ مدينةُ بَيْتِ المَقْدِس من القَحْط بشكلٍ خاصٍّ سنة 1319هـ/1901م[٤٢٨]، وسنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م[٤٢٩].

وكان موسم سنة 1379هـ/1959- 1960م أسوأ مواسمِ القَحْط التي شهدَتْها بيتُ المقدس منذ أنْ بَدأ رصدُ كمِّيّات الأمطار في العصر الحديث، حيث بلغتْ 206 ملم فقط. وكرَّر بعضُ الأهالي بعدها لِسنوات قولَهم: 'سَنْة السِّتين، الله يعين'.

اللُّجوء إلى مياه الينابيع

كانت إدارةُ المدينة تَلجأُ إلى مياه الينابيع في أوقات الشِّدة، وخاصَّةً إلى أقربِها، وهو بئر أيوب[٤٣٠]. وكانت مياهُ ينابيع قرية أرطاس مُهِمَّةً كُلَّما كانت مِياهُ قناةِ السبيلِ تَنْقَطِعُ أو تَشح[٤٣١].

فخلال أزْمَةِ شُحِّ المياه سنة ١٠٢٤هـ/١٦١٥م المَذْكورة آنِفًا، تمَّ جلْبُ مياهٍ مِن 'عَيْنِ لِفْتا وعَيْنِ سِلْوان، ومِن غيرهم من العيون الخارجَةِ عن القدس'[٤٣٢].

وخلال أزْمَةِ المياهِ التي وقَعَتْ سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥- ١٧٨٦م، وَرَدَ أنَّه تمَّ جلبُ مياهٍ من الينابيع القريبةِ من القدس[٤٣٣]، دون تحديدها.

---

426 Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXV, (1902), S. 21.

427 Die Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins, Band XXV, (1902), S. 22.

428 Palestine Exploration Fund, Quarterly Statement, (1902), p. 29-30.

٤٢٩ جريدة حكومة فلسطين الرسمية (الانتدابية)، عدد ممتاز، 25 أيار 1925م، ص 1-3.

430 The Water Supply of Jerusalem, Ancient and Modern, p. 89.

٤٣١ من آثارنا في بيت المقدس، ص 153.

٤٣٢ على صفحة غلاف مخطوط "ملحة الإعراب"، المحفوظ في الجامعة العبرية. (رقم: Ms.Temp.Ar.173).

وفي سنة 1316هـ/1898م، كانت نساءُ قرية العيساوية تَجْلِبنَ المياهَ مِنْ عَيْن فارة[٤٣٤]. وخلال أزمة المياه سنة 1323هـ/1905م، تمَّ جلبُ مياهٍ من عَيْن قرية بَتِّير[٤٣٥].

[٤٣٣] فهرس مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي، رقم: 666/175م، هامش ص 22ب.

[434] Palestine Exploration Fund, Quarterly Statement, (1899), pp. 45-46.

[٤٣٥] القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، ص 158.

البرْد والفَيَضان

إذا كان السكان يعانون بشدَّةٍ من القَحْط، فإنَّ كثرةَ الأمطار والثلوج كانت تُلحِق بهم أضرارًا موجِعةً أيضًا، حيث لم تتوافر لديهم وسائل لائقة للحماية من البرد الشديد، وما يتبعه من أمراضٍ وجوع، إضافةً إلى تعطيل العمل في مختلف المجالات. وكانت المباني تتأثَّر جرّاء تسرُّب المياه عبرَ الأسطح، فكان ذلك يستدعي ترميم كثيرٍ منها كلَّ سَنَةٍ للحيلولة دون سقوطها.

وكان من بين الفصول شديدة البرودة، شتاءُ عام 899هـ/1393-1394م، حيث هَطلَت كميّات هائلة من المطر، واشتدَّ البردُ أكثرَ من المعتاد، وتساقطَت ثلوجٌ كثيرةٌ في مختلف أنحاء بلاد الشَّام، وقيل إنَّها تساقطَت في مصر أيضًا[٤٣٦]. قال العُلَيْمي:

'في يوم الثلاثاء، تاسع عشري ربيع الأول، الموافق السابع كانون الثاني، وقعَ الثَّلج بالقدس الشَّريف. واستمرَّ يَنزل من ظُهر الثلاثاء إلى عشيةِ يوم الخميس، مُستهلّ ربيع الآخر، ليلًا ونهارًا، حتى امتلأت الشوارع والأسطحة والأماكن. وحَكَى الكِبارُ أنَّهم لم يَروا مثل ذلك في هذه الأزمنة، من نحو سبعين سنة. وكان حجمُه فوق الأرض، في بعض الأماكن، أكثر من أربعة أذرُع. وأُخبِرتُ أنَّه كان في بعض الأماكن أكثر من خمسة أذرُع. وتقطَّعت السُّبلُ، وسُدَّت الشوارع. وأصبح الناسُ يوم الجمعة، ثاني ربيع الآخر، في شِدَّة شديدة. وأقيمت صلاةُ الجمعة بالمسجد الأقصى الشَّريف، فلم يَحضُرها من أهل بَيْتِ المَقْدِس النصفُ، بل ولا الثلُثُ. ووقعَ الثَّلج بمدينة الرَّملة، ولم يُعهَد وقوعُه بها في هذه الأزمنة، إلا ما يُحكى أنَّ من مُدَّةٍ طويلةٍ، نحو ثمانين سنة، وقَعَ بها الثَّلج في سنةٍ فسمَّاها أهل الرَّملة "سنة الثَّلج". ولم يُعلَم أنَّه بلغَ قدْرَ ما بلغَ في هذه المرَّة، فإنَّه وَصل إلى البحر، واستمرَّ في شوارع القدس أكثر من عشرين يومًا، واشتَدَّ حتى صار كالحجارة. ثم وقَعَ البَردُ الشديد بعد وقوع الثَّلج بنحو خمسة عشر يومًا، حتى جَمُدَ الماءُ وصار جليدًا. ثم في عشيَّة الخميس، ليلة الجمعة، السادس عشر من ربيع الآخر، عاد الثَّلج، ونَزل

---

[٤٣٦] مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص 128.

حتى عَمَّ الأرض، لكنه كان خفيفًا، ...، ثم وقعَ الثَّلج بغزَّة المحروسة، ولم يُعلَم وقوعُه بها قبل ذلك. فسبحان القادر على ما يشاء، ...، [وفي] نهار الجمعة، ثالث عشرين من ربيع الآخر، استمرَّ الثَّلج نازلًا إلى بعد الظهر من يوم السبت، حتى بَقِيَ حجمُه فوق الأرض أكثر من ذراع، وامتلأت الشوارع والأسطحة منه، وانزعج الناس لذلك، خشية الضَّرر. وأصبح إلى يوم الأحد، فأغاث اللهُ عبادَه بنزول المطر الغزير، من بعد الظهر من يوم الأحد إلى آخر ليلة الإثنين، فأزال الثَّلج حتى لم يَبقَ منه إلا القليل. ثم وقع الهدمُ في الأماكن، فسَقطَ الكثيرُ من الدُّور والأبنية"[٤٣٧].

ومنها شتاءُ سنة 914هـ/1509م، حيث استعدَّ بعضُ أهالي القدس وغيرُهم للانطلاق لأداء فريضة الحجِّ في أواسط شَوّال، أي أوائل شباط، "فقُدِّر أنَّ الثَّلج وَقعَ الإثنين إلى ضُحى يوم الثلاثاء، وانقطع. ثم نزَلَ عَقِبَهُ المطرُ في يوم الأربعاء والخميس والجمعة، فأزال معظمَه، وعزَمَ الحُجَّاجُ على السَّفر في صبيحة يوم السبت، العشرين من شَوّال، الموافق للعاشر من شباط. وباتوا في تلك الليلة مطمئنين مُستبشرين. فلمَّا دخلَ الليلُ وقع الثَّلج الغزير، وأصبح الناس فرأَوْه على هيئةٍ مُرهبةٍ من الكثرَة والشِّدَّة، واستمرَّ ينزل سبعة أيامٍ بلياليها متوالية، واشتدَّ الأمرُ في اليوم السابع، وهو الجمعة، وتفاحشَ حتى تَعذَّر على معظم الناس حضور الجمعة. ثم ترادف نزولُه بعدها في أوقاتٍ متفرِّقةٍ أكثَرَ من ثلاثة أيام، وتوالت الأمطار عَقِبَه، حتى فات وقتُ السَّفر للحجِّ، وصار المسجد الأقصى وشوارع المدينة وأسطحتُها في هيئةٍ عجيبةٍ مزعجةٍ، وكان ذلك سببًا لانقطاع الحَجِّ وعدم سفر القاصدين له. وقد تُوفِّي كثيرٌ من أهل القدس، فدُفِنوا بمشقَّةٍ زائدةٍ، وبعضُهم لم يُصلَّ عليه بالمسجد، وبعضُ الأطفال دُفِنَ بداخل المدينة في المكان الذي تُوفِّي فيه. وهُدِمَ عِدَّةُ أماكن من الأسواق وغيرها، وهلَكَ تحت الهَدْم[٤٣٨]. واستمرَّ أهلُ القدس أكثرَ من عشرين يومًا في شِدَّةٍ شديدةٍ من انقطاع السُّبل وتعطيل المعايش. وصادف وقوعُ الغلاء في القمح وغيرِه من الأقوات وعدم وجود ما يُؤكل، حتى كاد الناس أنْ يَهلكوا. وانقطعت العبادة بالمسجد الأقصى، واستمرَّ أيامًا لم يُسْمع به أذانٌ

---

[٤٣٧] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 369-368.

[٤٣٨] يبدو أن ثمة نقص في هذا الموضع، وتقديره: [خَلْقٌ كثير].

ولا صلاةٌ، ولا سيما في الليل. واستمرَّ الثَّلج في المسجد والشَّوارع أكثر من شهر[٤٣٩].



ثلوجٌ تُغَطّي عَقبَةَ الخانْقاه في البلدةِ القديمةِ في القدس، أواخر العهد العثماني.
(المصدر: مجموعة ماتسون).

وفي أوائلِ جمادى الأولى 935هـ/ كانون الثاني 1529م، هطلت أمطار غزيرة، 'ووقعَ بالقدسِ مَنارةُ بابِ حِطّة'[٤٤٠].

وأصابَ القدسَ بردٌ شديدٌ في جمادى الأولى 965هـ، وَفْقَ كانون الثاني ١٥٥٨م[٤٤١].

ووقع 'الثَّلج العجيبُ' في ٢١ ربيع الآخر ١٠٠٣هـ، وَفْقَ ٢ كانون الثاني ١٥٩٥م[٤٤٢].

---

[٤٣٩] مجلة دراسات، م 12، 8#، 1985، مجير الدِّين الحنبلي مؤرخ القدس- نص جديد عن حياته ونص ذيل كتابه الأنس الجليل: ص 135-134، عن مخطوط لايدن (ظهر الورقة رقم 278).

[٤٤٠] وُلاةُ دمشق في العهد العثماني، ص 10. المقصود مئذنة باب الأسباط.

[٤٤١] س ش 35/ 243، جمادى الأولى 965هـ.

[٤٤٢] س ش ٧٦/ صفحة العُنوان.

و ُوقعت الثَّلجةُ الكبيرةُ في شهر شعبان سنة 1015، وكان في تشرين، 13 يومًا، واستمرَّت ثلاثة أيامٍ، واستمرَّ الثَّلج على الأرض إلى خِتام رمضان ُ[٤٤٣].

ُوفي أوائل تشرين الثاني، هَطلَ المطرُ الغزيرُ والرحمةُ الكثيرةُ... حُرِّرَ في ٧ رَجَب سنة ١٠١٤ُ، أي في عام ١٦٠٥م[٤٤٤].

وفي ٧ ذي الحجَّة ١٠٢١هـ/شباط ١٦١٣م، ُوقعت الثَّلجةُ العظيمةُ[٤٤٥].

ُوفي شهر المُحَرَّم سنة ١٠٢٥ وقع مطرٌ عظيمٌ وغَيثٌ جسيمٌ، حتى أنّه مَلأ الآبار وكاد أن يُغْرِق الديار، ومُلِيت منه بِركةُ ماملا، وطفحت على الجانب الشرقي والقبلي على القبور، وحَصَلَ للناس بذلك غايةُ السرور ُ[٤٤٦].

ُوفي ليلةِ السبت، ٢٣ مُحَرَّم سنة ١٠٢٧، وَقعَ الثَّلج ببَيْتِ المَقْدِس ُ[٤٤٧].

ُوفي ١٨ صَفَر سنة ١٠٣٢ وقع الثَّلج العظيمُ، ومَكثَ نحو ١٥ يومًا ُ[٤٤٨].

ُوفي اليوم العشرين من شهر نيسان لسنة ١٠٥٦، طَلَعَ بير أيوّب، وامتلأت آبارُ الصَّخرة المشرَّفة من كثرة الأمطار، من رحمةِ اللهِ تعالى، والحمدُ لله على ذلك ُ[٤٤٩].

وفي ُيوم عشرين شهر نيسان، سنة تسع وسبعين وألف[٤٥٠] _كان يوم الثلاثاء_ نزلتْ صاعقةٌ ببيت المقدس، وأصابتْ أربعَ أبواب الصخرة،

---

[٤٤٣] سجل الأغلفة بمحكمة القدس الشرعية، ص 52.

[٤٤٤] س ش 85، صفحة العُنوان، ٧ رَجَب سنة ١٠١٤هـ.

[٤٤٥] س ش ٩٤/ ١، ٧ ذي الحجَّة ١٠٢١هـ.

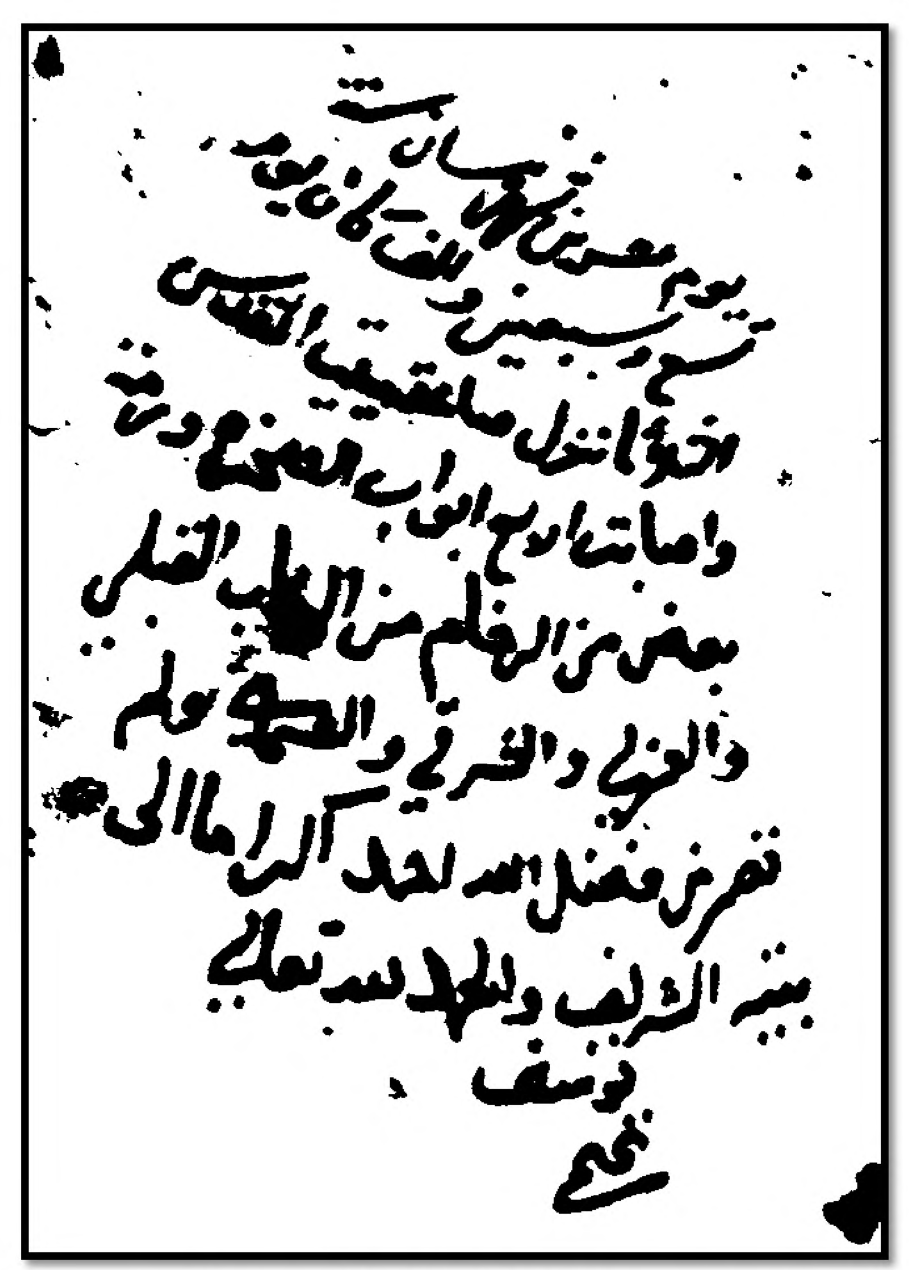
[٤٤٦] س ش 98/ صفحة العُنوان.

[٤٤٧] س ش 100/ صفحة العُنوان.

[٤٤٨] س ش 105/ صفحة العُنوان.

[٤٤٩] س ش ١٣٦/ ٦٠، ٤٦٠، [٢٠ نيسان ١٦٤٦م، وَفْقَ ٤ ربيع الأول ١٠٥٦هـ].

ورمَتْ بعضًا من الرخام من الباب القبلي والغربي والشرقي والشمالي. ولم تَضُر _من فضلِ الله_ أحدًا، إكرامًا إلى بيْتِهِ الشريف. والحمد لله تعالى[451].


بعض من الرخام من الباب القبلي
والغربي والشرقي والشمالي ولم
تضر من فضل الله لاحد اكراما الى
بيته الشريف والحمد لله تعالى
يوسف
نجم

صورة النص المحفوظ في مكتبة المسجد الأقصى.

[450] أي عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م.

[451] هذا النص مكتوبٌ على إحدى صفحات مَلْزَمَةٍ مخطوطةٍ ناقصةٍ في مكتبة المسجد الأقصى.

وفي ربيع الأول عام ١١٢٩هـ/١٧١٧م 'حَصلَ في هذه السنة، بقضاءِ الله تعالى وقدَرِه، كثرةُ الأمطار والثلوج، وانهَدَمَ بعضًا من الدور بداخل القدس الشَّريف'[452]، وتأثَّرت بذلك 'الديار الغزِّية، وانهَدَمَ غالبُ عمرانها وجدرانها'[453]، وأكَّد ابن كِنان سقوطَ الثلوج في الفَصْل المذكور في دمشق أيضًا[454]. وفي شتاء عام 1137هـ/١٧٢٤- ١٧٢٥م هَطَلَت أمطارٌ غزيرةٌ في فلسطين، وتسبَّبت في انهيار مبانٍ في يافا، إضافةً إلى سورها القِبلي[455].

وأحْدثتْ أمطارٌ غزيرةٌ هَطلَتْ في ٢٠ جمادى الآخِرة ١١٤٩هـ/ ٢٥ تشرين الأول ١٧٣٦م فَيَضاناتٍ أدَّتْ إلى سَدِّ قَنَواتِ المَجاري، ومنها 'قناة باب القطّانين الإمّايَة'، وكانت من أهمِّ القَنواتِ التي تَجْري بها المياهُ الخارجةُ من حمّام العَين وحمّام الشفاء نحو ساحة البراق ثم وادي حلوة[456].

'يوم الخميس ٢٠ جمادى الثاني سنة ١١٤٩، بعد الظهر حصل رعد وبرق، وسالت السيول، وغرق الحمام العين من شدة السيل. وغرقت الدكاكين أيضا الذي بباب القطانين. وكُشف على الحمام والدكاكين، فوُجد الدكاكين مملوءة بالأتربة. وسيل داخل الدكاكين. وأيضا غرق حمام ستنا مريم، ودَخل السيل من باب الحمام. وحصل ساعة عظيمة. نسأل الله اللطف. بيان مَصْرَف تعزيل قناة باب القطانين الإماية، عن يد عبد الوهاب الشهابي، من يوم ٢٢ جمادى الثاني'.

[452] س ش ٢١١/ ٣٠، ١ ربيع الأول ١١٢٩هـ.
[453] س ش ٢١١/ ٢٠، أواخر صفَر ١١٢٩هـ.
[454] الحوادث اليومية من تاريخ إحدى عشر وماية، لابن كنان. غير مرقم.
[455] س ش 220/ 119، أوائل ذي القعدة 1137هـ.
[456] س ش إضافي 0094، ص 220.

وفي عام ١١٥٣هـ/١٧٤١م هَطَلَت ثلوجٌ وأمطارٌ لم تعهدها بَيْتُ المَقْدِس قبل ذلك بثلاثين عامًا، فتضرَّرت مبانٍ عدَّة وأُعيدَ بناؤها[٤٥٧].

وفي ربيع الأول عام 1170هـ/1756م سقط 'في شهر كانون الأول حتى آخره، في دمشق، جليدٌ كثيرٌ، وتجلَّدت البَحْرات وتَلِفَ اللَّيْمونُ الحامض، وكان شيء مهول، ما سُمِع بأنّه صار مثله، ...، تواردت الأخبارُ بأنّ هذا الجليد كان عامًّا في بلاد العربية، من حلب إلى دمشق حتى القدس والساحل جميعه، ...، واتَّصل الجليد إلى بغداد وبلادها'[٤٥٨].

وفي ربيع الآخر ١٢٠١هـ/شباط ١٧٨٧م، 'أرسَلَ اللهُ تعالى ثلجٌ في بَيْت المَقْدِس... إلى أن تغطّا أبوابُ البيوت وأبوابُ الدور، ولم يَقدِر أحدٌ يَخرُج من داره، وسعرُ الحِنْطَة أربعين فضة، وسعرُ الزيت الرطل بتنين وعشرين فضة، وسعرُ الفحم ثلاثة فضة الرطل، وبعده صار شتا، إلى أن بلغَ رطلُ الفحمِ ثمانيةَ فضة'[٤٥٩]. وهَطَلَت أمطارٌ كثيرةٌ وبَرَدٌ في ذي القعدة ١٢١٥هـ/آذار ١٨٠١م، وكذلك في عام ١٢٢٧هـ/١٨١٢م[٤٦٠].

وفي ربيع الأول ١٢٦٥هـ/شباط ١٨٤٩م، هَطَلَت ثلوجٌ كثيفةٌ في بيت المقدس[٤٦١]. وفي ربيع الآخر ١٢٦٨هـ/شباط ١٨٥٢م، هَطَلَت أمطارٌ غزيرةٌ في القدس[٤٦٢].

وفي ١٦ ربيع الآخر ١٢٧١هـ/ ٥ كانون الثاني ١٨٥٥م، 'لما كانت سنة واحد وسبعين ومايتين وألف، في خمسة كانون ثاني، صار ثلج في بيت المقدس، مقدار زراعين، وفي شفي البلقة مقدار رمح ونصف'[٤٦٣].

---

[٤٥٧] س ش ٢٣٠/ ٢٩٦، ١ مُحَرَّم ١١٥٤هـ.

[٤٥٨] تاريخ الشَّام، لميخائيل بريك، ص 49-48.

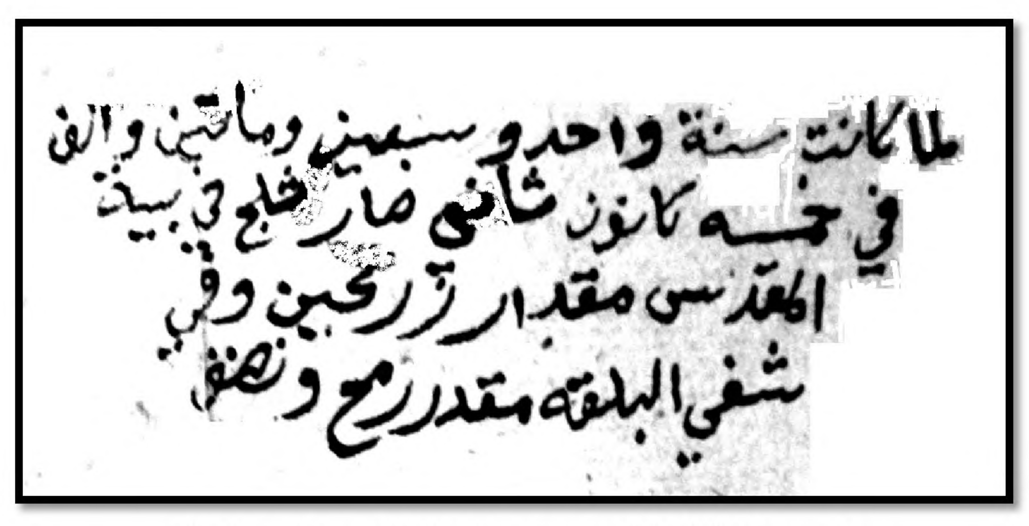
[٤٥٩] مخطوط رقم ١٧٥م في مكتبة دار إسعاف النشاشيبي، هامش ص ٢٠ب.

[٤٦٠] فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية، ص ٥٢٤.

461 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 86.

462 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 94, 101.

[٤٦٣] على الوجه الداخلي لغلاف مخطوط 'مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج'، المحفوظ في مكتبة المسجد الأقصى.


لما كانت سنة واحد وسبعين ومائتين وألف
في خمسه كانون ثاني صار ثلج في بيت
المقدس مقدار زرعين وفي
شفي البلقه مقدار ربع ونصف

على صفحة الغلاف من مخطوط "مغني المحتاج".

وقال جيمس باركلي الأميركي، خلال إقامتِه في القدس، إنّ ثلوجًا قليلة تتساقطُ عادةً كل عام. أمّا في شتاء عام 1270هـ/1853- 1854م، وشتاء عام 1271هـ/1854- 1855م، فقد سقطت الثلوج مرّاتٍ عدَّة، وتكوّن صقيعٌ في المناطق التي لا تصلها أشعة الشمس[٤٦٤]. وذَكَرَت السيدة إليزابيث فين أن ثلوجًا كثيفةً هَطَلَت في بداية جمادى الآخِرة 1270هـ/آذار 1854م، واستمرَّت لمُدَّة عشرة أيام[٤٦٥].

وفي 20 ربيع الأول 1274هـ، وَفْقَ 7 تشرين الثاني 1857م، هبَّت عواصف وثلوجٌ، واستمرَّت متقطِّعةً، وذابت بعد أكثرِ من شهر[٤٦٦]. وفي جمادى الآخِرة 1274هـ/شباط 1858م، هطلَ الثَّلج بكثافةٍ أشدَّ من المعتاد[٤٦٧].

وفي جمادى الآخِرة 1275هـ/مطلع عام 1859م، هَطَلَت أمطارٌ وثلوجٌ، وتكوَّنَ صقيعٌ شديدٌ، وكذا في شعبان/آذار منه[٤٦٨]. وفي ذي القعدة 1275هـ/حزيران 1859م، هَطَلَت في الأسبوع الثاني منه، زخَّاتٌ غيرُ معتادةٍ في مثل ذلك الشَّهر[٤٦٩].

---

464 The City of the Great King, p. 50.
465 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 117.
466 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 166.
467 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 176.
468 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 185, 187.
469 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 209.

وفي ربيع الأول وربيع الآخر ١٢٧٦هـ، وَفْقَ كانون الثاني وشباط ١٨٥١م، هَطَلَت أمطارٌ غزيرةٌ، واستمرَّ تدفُّقُ المياه في واد سلوان حتى شهر آذار، وامتلأت جورةُ العِنّاب العُليا بأكملها، وهو حدَثٌ لم يُشاهَد من قَبل[٤٧٠].

وفي رَجَب 1279هـ، وَفْقَ أوائل 1863م، هطلت ثلوجٌ كثيفةٌ حتى فاضَ وادي سلوان أكثر من شهر[٤٧١].

وذَكرَ مُحَمَّد عبد الجواد القاياتي، أنّه عندما زار مقامَ النبي موسى، عليه السلام، في جمادى الآخِرة ١٣٠٢هـ/نيسان ١٨٨٥م، هَطَلَت أمطارٌ غزيرةٌ:

'وباتَ غالبُ الزُوّار تحت المطر، ...، وفيه هناك بعضُ خِيَمٍ صغيرةٍ، يُسمّونها شوادر، لا تكفي ولا تُدفِّي، بل بلغنا أنّ بعضَها اقتلَعَه الهواء فلم يُعرَف بعدُ إلى أين ذهب، وفي أيِّ موضعٍ وَقع، وذلك لشدَّة الرياح العاصفة والأهوية القاصفة. وبِتْناها ليلةً نابغيَّةً[٤٧٢]، نُعاني جَهْدَ البلاء، ونَتلوى من شِدَّة الألْواء... وتوجَّهنا إلى القدس، ولم تَزل الأمطارُ تنزلُ علينا كأفواهِ القِرَب، وقد أيقنّا بقُرب العَطب، لِما شَهِدناهُ من هذه الكُرَب... ومات جُملةٌ من شِدَّة البرد، وأَرسَل المتصرِّفُ من طَرفِه عساكرَ وغيرَهم للتفتيش عمَّن تخلَّف بالإعياء أو الموت، وأحضروهم إلى القدس في اليوم التالي'[٤٧٣].

وفي جمادى الأولى ١٣٣٨هـ/شباط 1920م، هطلت الثلوج بكثرة، حتى أنَّها 'هَدَمَتْ كثيرًا من الأبنية، وكَسَرَت أُلوفًا من الأشجار، وسَدَّت الطُّرقَ في مدينة القدس مدَّة أسبوعٍ، وأَوقفَت حركة الأشغال فيها'[٤٧٤]. وذكر المهندس تشارلز أشبي Ashbee أنّها أدَّت إلى هدم 20 مترًا من

---

470 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 94, 101.

471 Reminiscences of Mrs. Finn, p. 243.

٤٧٢ اقتباسًا من المقامة الجِرزية للهمذاني، التي جاء فيها: 'وَلَمَّا مَلَكْنَا البَحْرُ وَجَنَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ، غَشِيَتْنَا سَحابَةٌ تمُدُّ من الأَمْطَارِ حِبَالًا... وَبَقِينا فِي يَدِ الحِينِ، بَيْنَ البَحْرَيْنِ، لاَ نَمْلِكُ عُدَّةً غَيْرَ الدُّعَاءِ، وَلا حِيلَةً إلاَّ البُكَاءَ وَلا عِصْمَةً غَيْرَ الرَّجَاءِ، وَطَوَيْنَاهَا لَيْلَةً نَابِغِيَّةً'. وهو مقتبَسٌ من قول النابغة الذبياني: وليلٌ أقاسيهُ بطيءُ الكواكب.

٤٧٣ نفحة البشّام في رحلة الشَّام، ص ٩٦.

٤٧٤ المختصر في جغرافية فلسطين، ص 23.

حائط سوق العطَّارين وسقوطِ سقفه، فتمَّ إغلاقُه حيث رمَّمَتهُ جمعيةُ مُحبِّي القدس[٤٧٥].

ووقع بردٌ قارصٌ في شتاء عام 1340هـ/1921- 1922[٤٧٦]، ويُظْهِرُ بعضُ الصورِ تَضرُّر بعض المباني جرّاء سقوط تلك الثلوج. وفي أواخِر شتاءِ عام 1346هـ/ 1928م تُوُفِّيَ ثلاثةُ مُكارِيِّين خِلالَ مَبيتِهم في خانٍ قرْبَ القدسِ بسببِ شِدَّةِ البَرْد[٤٧٧]. وفي أوائل شتاء عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧- ١٩٣٨م هطلتْ أمطارٌ غزيرةٌ غير مُعتادة، وتبعَتها ثلوجٌ في ذي الحجَّة ١٣٥٦هـ/شباط ١٩٣٨م[٤٧٨].

وتواترَتِ الأخبارُ حولَ اشتِدادِ سُقوطِ الأمطارِ والبَرَد، وهطولِ الثلوجِ حتى في غَوْرِ أريحا، في شِتاءِ ١٣٦٨هـ/1948- 1949م، أيْ في أعقابِ النَّكبة.

---

[٤٧٥] القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920)، ص 110. نقلًا عن مذكرات أشبي (Jerusalem, 1918-1920, p. 6-10).

[٤٧٦] الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين، ص 27.

[٤٧٧] جريدة فلسطين، 15 رمضان 1346هـ/ 6 آذار 1928م، ص 5.

[478] The Journal of the Palestine Oriental Society, vol. 18- 1938, p. 48.



سقوطُ سقفِ غرفةٍ في البلدة القديمة في القدس
بسبب الثلوج التي هطلت خلال شتاء عام 1340هـ/1921- 1922م.
(المصدر: مجموعة ماتسون).

آفَةُ تعاطي الخُمور

يجدُر الحديثُ عن آفةِ تعاطي الخمور في بيت المقدس _رَغْمَ أنها لا تَندرجُ تحت عنوان هذا المُصنَّف_، فهي بلا رَيب من أعظم المصائب، حيث انتَشرَ تعاطيها في المدينة منذ مطلع العهد العثماني على الأقل. ويُلحَظُ أنَّها كانت تستهوي طبقة الأثرياء وطبقة الفقراء، بخلاف أبناء الطبقة الوسطى، فنادرًا ما كانوا يتعاطونها. وما زال الأمر كذلك في عصرنا هذا.

وكان القاضي يأمرُ بإقامةِ حَدِّ الشُّرب على مَن يَثبُتُ عليه تعاطيه. ففي عام ٩٥١هـ/١٥٤٥م ضُبِط إبراهيم بن محمد، وهو يشرب الخمر 'ورائحتُه فائحةٌ من فَمِه، فتَعيَّن عليه حدُّ الشُّربِ'[٤٧٩]. وفي عام ٩٦٢هـ/١٥٥٥م اشتكى بعضُ سكّانِ محلَّةِ الريشة على 'منصور، المعروف بأبي دُبّان ابن الزبّال' أنَّه يَجمَعُ عنده جماعةً ويشربون الخمر، فحَكم القاضي بإقامة حدِ الشُّرب عليه[٤٨٠]. وفي عام ٩٧٧هـ/١٥٧٠م، اعترف قلندر بن مصطفى السباهي بلواء القدس، بأنه 'شَرِب خمرًا عندما كان معزومًا عند موسى بن يوسف بن يعقوب الدِّكري'[٤٨١]. وفي عام ٩٩٤هـ/١٥٨٦م، ضُبطت 'جماعةٌ يتعاطون شرب الخمر' بعد منتصف الليل[٤٨٢].

واستمرَّ الشربُ حتى أواخر العهد العثماني، مع فارقٍ مُهِمّ، وهو أنَّ الدولة لم تَعُد تَعتَبر تعاطي المسلمين للخمور جُرمًا. بل إن إبراهيم باشا (ت ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م)، كان خلال احتلاله لبلاد الشَّام، يتعاطى شربَ الشمبانيا علنًا، وكذلك فَعل كبارُ مساعديه[٤٨٣].

---

[٤٧٩] س ش ١٦/ ٣٤١، #١١٢٨، ٢٠ ذي الحجَّة ٩٥١هـ.

[٤٨٠] س ش ٣٠/ ١٠٤، ١٠ جمادى الآخِرة ٩٦٢هـ.

[٤٨١] س ش ٥٣/ ٢١٢-٢١٣، ٢١ شوال ٩٧٧هـ.

[٤٨٢] س ش ٦٦/ ٣٢٨، ١٢ ذي الحجَّة ٩٩٤هـ.

[٤٨٣] سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية، ص ١٩٦.

وكان العديد من رجالات القدس أيضًا يتعاطون الخمور دون حياء. وقد تحدَّث واصف جوهرية في مذكّراته كثيرًا عن حفلاتٍ كانت تُقيمها النُخبةُ المُثقَّفةُ، وتُدارُ فيها كؤوس الخمر[٤٨٤].

لكن تلك الآفة استفحلت بشدَّة بين السكان بعد زوال الحكم العثماني[٤٨٥]؛ قال واصف جوهرية: "وهكذا تنفَّسوا الصعداء بعد الاحتلال البريطاني ودخلوا فجأةً في دَورٍ غريبٍ، كلُّه سَهرٌ وسَمَرٌ وطَرَب"[٤٨٦]. وتحدَّث خليل السكاكيني أيضًا عن تعاطي كثيرين من مشاهير القدس للخمر في يوميّاته، خلال الاحتلال المذكور[٤٨٧].

رسالة رشدي شعث

وقد صنَّف رشدي شعث[٤٨٨] رسالةً حول هذه الآفة، بعنوان "المسكرات ومضارها"، ونشرها في القدس عام 1337هـ/1919م. وجاء في مقدمتها (بتصرف):

"بينما كنتُ ذات ليلةٍ أُقلِّبُ صفحات الكتب وبطون الأوراق، إذ شعرتُ بضيقٍ في النَّفَسِ ودوّارٍ في الرأس وتوهُّنٍ في القوى، حتى صار العرقُ البارد يتحلَّب من جبيني وفَوْدِي[٤٨٩]، فخشيتُ عاقبة الأمر، وخرجتُ إلى الشارع لأُخفِّض على النَّفس بعضَ ما أصابها. وكان قد تناصف الليل، فسِرتُ حيث تقودني قدماي، وتغلغلتُ في شوارع المدينة على غير هدى. وهدوء الليل وسكونُه يحبِّبان إليَّ المسير حتى قادتني خطواتي، من حيث لا أدري، نحو منعَطفِ زُقاقٍ ضئيلِ الأنوار، فرأيتُ

[٤٨٤] القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، ص ٩٦، ١٧٦-١٧٧، ٢٠٣.
[٤٨٥] القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية، ص ٣٢١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٦٠، ٣٧٢، ٣٨٧.
[٤٨٦] القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية، ص ٣٥٥.
[٤٨٧] يوميات خليل السكاكيني، ٦/ ٩٤.
[٤٨٨] هو رشدي بن رشيد بن قدور بن حسن شعث الغزي (ت ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م). عمل أستاذا للطبيعيات والصحة في المدرسة الرشيدية، وكان عضوا في المنتدى الأدبي في القدس. له رسالة بعنوان "المسكرات ومضارها"، نشرها في القدس عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م. توفي في محلة الواد في القدس، بدون عقب. وهو شقيق علي، والد الدكتور نبيل شعث. (غلاف رسالة "المسكرات ومضارها". س ش ٤٤٢/ ١٠٨، ٢٥ صفر ١٣٤٧هـ).
[٤٨٩] الفود هو جانب الرأس مما يلي الأذن.

على بعدٍ شبحًا أبيض، كلّما تقدَّمتُ إليه ازداد وضوحًا، إلى أن اقتربت منه، فما تبيَّنْتُهُ حتى كاد يطيرُ لمرآه رَشادي ويغيبُ لوقعِه صوابي.

فتًى في غضاضةِ العمر ونضارةِ الشباب، مَلقِيٌّ على قارعة الطريق، تَلَفَّعَ بعباءةٍ بيضاء، افترش قذارةَ الأرض، والْتحَفَ بردَ هاتيك الليلة القارس. قد انغمستْ ثيابُه بالأقذار والأوحال، وتشوَّه وجهُهُ الجميلُ بشجّاتٍ عديدةٍ، فهال منظرُه وصعُب مرآهُ، قد انبعثت منه رائحةُ إحدى المُسْكرات. حينئذٍ علِمتُ _واأسفاه_ أنه قتيلُ الشرِّ وجحيم الكآبة، قتيل سبب الشقاء والشقاق، وأساس الجرائم وعلّة الشرور، ونذيرُ الويل وبشيرُ الفجور، علمتُ أنَّه قتيل خمرٍ لا قتيل غَدر. تألَّمتُ لمرأى هذا المسكين، وأثَّر بي مشهدُه أيَّ تأثير، سيما وقد عرفتُه حقَّ المعرفة. ثم جلستُ على متَّكأٍ هناك، وأطلقتُ للفكرِ العنان، فسرح في عالم الخيال. وأخذني التفكُّر كلَّ مأْخذ، حتى ضاعف أحزاني وزاد بَلْبالي[٤٩٠] وأشجاني. فاندفعتُ قائلًا بلسانٍ يُلعثِمُه الحزنُ وصوتٍ تُقطِّعُه الزَّفرات: مسكينٌ أنت أيُّها الشاب. غرَّكَ الجهل فقذَف بك إلى هذه الهوَّة، وأطعتَ هوى النَّفْسِ فكبى بك الدَّهر هذه الكبوة، تجرَّعت كؤوسَ سمِّها، الواحدة تلو الأخرى، حتى جرَت في شرايينك، واختلطَت بدقائق لحمِك وعظمِك، وفتَكَت في دماغك، وسطَت على عقلك، فأطفأت نبراس فكرك، فغلبك الشيطان على أمرك.

ألم يدُر في خُلدك، أيها المنكود الحظ، أنَّ أمَّتك التي تبني عليك آمالًا ذهبية، قد فقدت بفقدِك شيئًا كثيرًا، وأضاعت بضياعِك رُكنًا كبيرًا؟ كيف لا، وضياع القليل من القليل كثير. ألم تعلم بأنَّ حياةَ أمَّتك اليوم: منوطةٌ بك وبأمثالك، أيها الشاب الحي الميت؟

ألم تعلم أنك، بتجرُّعك هذا السمَّ الزعاف، تجني جنايةً كبرى، وتجترم جريمةً عظمى، لا على نفسك فقط، بل على أطفالك، على أمَّتك بأسرها؟

ألمْ تدْر بأن أجدادك الكرام، ترقبُ حركاتك من علياء السماء، بعين الأمل والرجاء؛ حتى إذا ما رأتك على هذه الحالة المؤلمة، صبَّت لَعَناتِها عليك قائلة: "تبًّا لكَ من ولدٍ عاقٍّ، وسُحقًا لكَ من مولودٍ أثيم، استبدَلَ الذي هو أدنى بالذي هو خير، استهان بمجدي، وفرَّط في خالد عزِّي، وأسقَطَني من شامخ عظمتي".

---

[٤٩٠] البلبال: الهمُّ الشديد والوسواس.

ثم أخذني التعبُ كلَّ مأخذٍ، حتى أنهَك قُواي، وكان قد مرَّ العِدْف[491] الأكبر من الليل، وأوْشَك نورُ الفجر أن يَشقّ جَوْف الظلام، فأقفلتُ راجعًا إلى منزلي، ضيِّقَ الصدر، غثَّ النفس، حزين الفؤاد. ومرَّت أيامٌ وكرَّت شهورٌ، وكنتُ كلَّما تذكرتُ هذا الحادث، ازدَدتُ تأثيرًا وانفعالًا، حتى اندفعتُ بقوَّةٍ غريبةٍ إلى تنميق هذه الرسالة، لتكون عبرةً وذكرى لبني جِلدتي، مع اعترافي بالعجز، وإقراري بأني لستُ من فرسان هذا الميدان'[492].

وبعد أن استعرض المصنِّفُ أصنافَ الخمور، والأضرار التي تُلحِقها بالصِّحة والمجتمع والأخلاق والأسرة والاقتصاد، قال:

'أخذَت المسكراتُ تنتشر في ربوعنا انتشارًا هائلًا يُهدِّد جسم مجتمعنا بالخراب. سرى سمُّها في نفوس أبناء الأمة، رفيعها ووضيعها، كبيرها وصغيرها، إلّا من رحم ربُّك، وقليلٌ ما هُم. حتى إذا جاء وقتُ الأصيل، ترى الناس يتسابقون إلى الحانات، من كُلِّ حدبٍ وصوبٍ، كأنَّهم أغنامٌ تُساق إلى الذَّبح من حيث لا يَشعرون، ولا دافعَ لهم غير ما رسخَ في أدمغتهم من قبيحِ العادات ومستهجَنِ المَلكات.

أيجدُر بعربيّ، سيَّما في هذه الأوقات الحرجة، أن يجنف عن طريق الفضيلة، ويميل إلى الرذيلة؟ أمن العدل أن نعيش في هذه الحياة الدُّنيا عيشة الأنعام، لا نفْقَهُ من مصيرنا شيئًا؟ أمن الوطنية أنْ نرى المنتديات مُقفلةً، والحانات تَصطكُّ فيها الأقدام بالأقدام؟ نستبدلُ المعاهدَ العلمية بالحانات، والمجتمعاتِ الأدبية بحفلات الرَّقص، والمجادلات الأدبية بالمخاصرات الخلاعية، ثم نطلبُ الحياة؟

نعدُّ معاقرة الخمر من ضروريات المدنية، ونَتَّهم من لم يعاقرها بعدم التَّحضر والهمجية. لا هَمَّ لنا غير التأنُّق في الملبس، والتفنُّن في المأكل، ولا دَيْدن لنا غير معاقرة بنت الحان ومغازلة الحسان.

بني قومي، نحن أمام مستقبلٍ نجهلُ عاقبتَه، وعلى شفا جرفٍ هار لا نأمن العثار فيه. نتطلَّبُ حياةً جديدةً، لا نصلُ إليها إلا على صراطٍ من

---

[491] العِدف هو الشطر من الليل.

[492] المسكرات ومضارها، ص ٣-٥.

الإخلاص وجسرٍ من التفاني، لا في الحانات وأمام موائد الخمر. عجبًا، الأمم الميّتةُ تطلبُ الحياة، ونحن أحياءٌ نطلبُ الموت"[٤٩٣].

مقالة جُرْجي إلياس خوري

وكَتبَ الأستاذ جُرجي إلياس خوري _من أهالي صيدا_ مقالةً بعنوان "انحطاط النسل السوري"، في مجلة مينرفا البيروتية، عام 1342هـ/1924م، تحدَّثَ فيها عن تدهور المجتمع في مختلف البلدان الشَّامية بعد زوال العهد العثماني. وانتقَدَ تهافتَ الناس على تقليد المستعمِرين، ودعا إلى التَّمسك بعاداتِنا الكريمة، مع اقتباس النافع فقط من أُمَم الغرب.

ثم تحدَّث _وتحدَّث رشدي شعث آنفًا_ عن انتشار تعاطي الخمور، فقال:

"فَبِرأسِ ما اقتبسناه: أذْكُر المُسكِر والحانات، وما يتْبعُ ذلك من موبقاتٍ وفجور. بعد أن كنَّا بحاناتٍ قلائلَ في المدن، يختلفُ إليها مدمنو الخمرة، أصبحت علَنيةً بهيئاتٍ رائعةٍ جذَّابةٍ! ولم تَقتصِر على المدن، بل تجاوَزتها للقرى والمزارع الصغيرة"[٤٩٤].

جمعيةُ منْع المُسْكرات

ودعاَ فريقٌ من الشبّان المسيحيين في القدس إلى تأسيس "جمعية منْعِ المُسْكرات" عام 1347هـ/1929م، وفي ذلك إشارةٌ إلى نفورِ المجتمع المقدسي برُمَّتِه من تلك الرذيلة. وقد تحقَّق مرادُهم عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، حيث جَعلوا لها فروعًا في مُدُنٍ فلسطينية عِدَّة، واتَّخَذوا لأنفسهم نوادي يجتمعون بها. وشملتْ نشاطاتُهم محاضراتٍ ألقاها الدكتور فوتي فريج وتوفيق زخريا في مَقرِّ ناديهم في شارع الأميرة ماري[٤٩٥] في القدس عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م[٤٩٦].

---

[٤٩٣] المسكرات ومضارها، ص ٢٩-٣١.

[٤٩٤] مجلة مينرفا، ج٣، السنة الثانية، ١٥ حزيران ١٩٢٤م، ص ١٠٤-١١٠.

[٤٩٥] يقع إلى الغرب من شارع يافا. ويُعرف حاليًّا بشارع شلومزيون هاملكا.

[٤٩٦] جريدة الجامعة العربية: (١٧ شعبان ١٣٤٧هـ، ص ٢. ١٢ ربيع الأول ١٣٥٢هـ، ص ٤. ١٦ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ، ص ٤. ١٦ ربيع الآخر ١٣٥٣هـ، ص ٣. ١٣ شعبان ١٣٥٣هـ، ص ٣).

خاتمة

رَغْمَ كلِّ الكوارثِ التي وَردَ ذِكرُها في هذا الكتاب، فإنَّ فلسطين، وبلاد الشَّام عامَّةً، بطبيعتها الجيولوجية، لا تتعرَّض لكوارث طبيعيةٍ مُرعبةٍ، كالبراكين أو الإعصارات الهائلة التي تصيب أقاليم أخرى في هذه المعمورة، كجنوب شرق آسيا أو أواسط أميركا.

ويُلحَظُ أنَّ كلَّ نوعٍ من الكوراث التي وقعتْ في بَيْت المَقْدِس لَمْ يَتكرَّر على مُدَدٍ محدَّدة. ولم يقع أكثرُ من نوعٍ واحد في العام نفسه إلا نادرًا، حيث تزامن وقوعُ القَحْط والطاعون والجراد في سنواتٍ قليلة.

فقد كان القَحْطُ والجرادُ يُسْفران عن قِلَّةِ المحصولات الزِّراعية أو هلاكها، فترتفع الأسعار ويتضوَّر الفقراءُ جوعًا. وكلّما ازداد الفقر والجوع قَلَّت العناية بالنظافة، فكان تراكُمُ القاذورات في المساكن والطرقات يمهِّد الطريق لانتشار الأوْبِئَة.

ولعلّنا نَجني من مطالعة أخبار تلك الكوارث التي ابتُلِيَ بها الأوّلون فوائد عظيمةً، فقد كانت وما زالت عبرةً لأولي الألباب. وما دامت من صُنع الله جلَّ جلاله، فهي تَحمِل، بلا ريب، خيراتٍ لا يَشعُر بها الناس عند وقوعها، لعدم إدراكهم الحِكَمَ التي تكمُنُ خلفَ الأحداث، والتي تَصُبُّ في مصلحةِ البشريةِ في نهايَةِ المَطاف.

فعلى سبيل المثال، ساهمت الكوارث في تقليلِ أعدادِ سكان البلدان التي وقعت بها. ولا شكَّ أنَّ ذلك كان مفيدًا فيما مضى، حيث لم تتوافر في تلك العصور أساليب ناجعة لتهيئةِ الأسباب التي تؤمِّن حياةً كريمةً لعددٍ هائلٍ من السكان، كوسائل الإنتاج الزراعي والخدمات الصِّحية وتشييد المساكن، وما شابه، والله سبحانه وتعالى أعلم بما ينفع الناس.

ولعلَّ كوارث العصور السالفة تفيدنا نحن في هذا العصر أيضًا، فنحمد الله تعالى على أسباب الراحة والطمأنينة التي أنعم جلَّ جلالُه بها علينا، كوفرة المأكولات والملبوسات، والرعاية الصِّحية، والسرعة الفائقة في المواصلات والاتصالات، وغير ذلك من النِّعم التي لم تَكُن متاحةً لأسْلافنا.

تمَّ الكتابُ بتوفيقٍ من اللهِ وَحْدَه،

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

مُلْحَق
جدولٌ بالسنَواتِ التي وقَعَتْ فيها كوارِث

فيما يأتي جدولٌ بالسنواتِ التي وقعَتْ فيها كوارث ببَيْت المَقْدِس وجِوارِها، استَقَيتُ بياناتِه من مطبوعاتٍ ومخطوطاتٍ وحُججٍ عدَّة في سجلات المحكمة الشَّرعية في القدس. وهو بالطبع لا يُغطّي ما وقع بالتَّمام عَبر العصور، وإنَّما يشمَل ما أمكَن العثورُ عليه. واللهُ المُسْتعان.

الطاعون	الزّلازل	الجَراد	القَحْط
	٧٨٣ ق. م. ٦٤ ق. م. ٣١ ق. م. ١٩م ٣٣م ١٢٨م ٣٦٣م ٣٦٥م ٣٩٤م ٣٩٦م ٤٤٧م ٥٠٠م		
18هـ/639م			
	39هـ/659م 131هـ/749م 158هـ/775م 407هـ/1016م 425هـ/١٠٣٣م 460هـ/1068م 524هـ/1130م 552هـ/1157م 597هـ/1201م 608هـ/1213م		
			694هـ/1295م
			695هـ/1296م
	702هـ/1302م		
			728هـ/1381م
		743ه/1343م	
			748هـ/1347م
749هـ/1348م	749هـ/1348م		
			782ه/1380م
			825هـ/1422-1423م
٨٠٩هـ/١٤٠٦م			
827هـ/1424م			

841هـ/1438م			
	863هـ/1458م		
873هـ/1469م			873ه/1468م
881هـ/1476م			
		889هـ/1484م	
			895هـ/1489- 1490م
897هـ/1492م			
	952هـ/1546م		
	958هـ/1550م		
969هـ/1562م			
			978هـ/1570- 1571م
980-982هـ/ 1573-1574م			981هـ/1572- 1573م
987هـ/1579م			
	994هـ/1586م		
995 -996هـ/1587م			
	997هـ/1589م		
	1015هـ/1606م		
			1024هـ/1615م
1028هـ/1619م			
			1031هـ/ 1621- 1622م
			1032هـ/ 1622- 1623م
			1042هـ/ 1632- 1633م
	1069هـ/1659م		
1071هـ/1661م		1071هـ/1661م	
			1074هـ/1663م
			1103هـ/1692م
	1122هـ/1710م		
		1136هـ/1724م	
		1159هـ/1746م	
		1160هـ/1747م	
			1172هـ/ 1758- 1759م
1173هـ/1760م	1173هـ/1759م		
1174هـ/1760م			
			1199هـ/ 1784- 1785م
1200هـ/1786م			1200هـ/ 1785- 1786م
1207هـ/1793م			1207هـ/

			1792- 1793م
		1211هـ/1797م	
		1226هـ/1811م	
1228- 1229هـ/ 1813- 1814م			
			1232هـ/ 1816- 1817م
	1236هـ/1821م		
			1242هـ/ 1825- 1826م
			1248هـ/ 1832- 1833م
	1250هـ/1834م		
	1252هـ/1837م		
	١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م		
			1262هـ/1846م
	1267هـ/1851م		
			1272هـ/ 1855- 1856م
			1275- 1276هـ/ 1859- 1860م
		1281هـ/1865م	1281- 1282هـ/ 1864- 1865م
		1281 1282هـ/ 1865- 1866م	
			1286- 1287هـ/ 1869- 1870م
			1293- 1294هـ/ 1876- 1877م
			1296هـ/ 1878- 1879م
	1314هـ/1896م		
	1317هـ/1900م		1318هـ/ 1900- 1901م
	1321هـ/1903م		
		1333هـ/1915م	
1341هـ/1922م 1342هـ/1923م			1341هـ/ 1922- 1923م
			1343هـ/ 1924- 1925م
	1346هـ/1927م		
		1346هـ/1928م	1346هـ/ 1927- 1928م
	1349هـ/1930م		
			1350هـ/

1931- 1932م			
1351هـ/ 1932- 1933م			
1352هـ/ 1933- 1934م			
1354- 1355هـ/ 1935- 1936م			
		1356هـ/1937م	
1365- 1366هـ/ 1946- 1947م			1366هـ/1947م
1370هـ/ 1950- 1951م			
1374هـ/ 1954- 1955م		1374هـ/1954م	
1377هـ/ 1957- 1958م			
1379هـ/ 1959- 1960م			
1382هـ/ 1962- 1963م			
1385هـ/ 1965- 1966م			
1406هـ/ 1985- 1986م			
1411هـ/ 1990- 1991م			
1419هـ/ 1998- 1999م			
		1424هـ/2004م	
		1432هـ/2011م	

المصادرُ والمَراجع

١) ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم، **الكامل في التاريخ**، الجزء الثاني، دار بيروت ودار صادر، بيروت، 1967م.
٢) الأنصاري، فهمي، **مسجد أبي بكر الصِدّيق**، سلسلةُ مساجدِ بَيْتِ المَقْدِس، قسم إحياء التراث الإسلامي، نشرة ١٤، القدس، ١٩٩٤م.
٣) ابن إياس، مُحَمَّد بن أحمد الحنفي القاهري، **المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، كتاب الشعب (93)**، مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.
٣) بازيلي، ميخائلوفيتش، **سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية**، ترجمة: يسر جابر، مراجعة: منذر جابر، ط1، دار الحداثة، بيروت، 1988م.
٤) بدر، عفيف أحمد، **أبو ديس، منسف كرم وينبوع علم**، العيزرية، ١٩٩٦م.
٥) البديري، أحمد بن بدير الحلاق، **حوادث دمشق اليومية**، (١١٥٤-١١٧٥هـ/١٧٤١- ١٧٦٢م)، تحقيق: أحمد عزت عبد الكريم، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٥٩م.
6) بركات، بشير:
- **دراساتٌ في تاريخ بَيْتِ المَقْدِس**، إصدار: "مركز فهد بن مُحَمَّد بن نايف الدبوس للتراث الأدبي" (الكويت)، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠١٤م.
- **شخصيات القدس في القرن العشرين**، مؤسسة دار الطفل العربي، القدس، 1431هـ/2010م.
- **فهرس مخطوطات دار إسعاف النشاشيبي للثقافة والفنون والآداب**، مؤسسة دار الطفل العربي، القدس، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- **مباحث في التاريخ المقدسي الحديث**، القدس، الجزء الأول (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، الجزء الثالث (1431هـ/2010م).
٧) بريك، ميخائيل، **تاريخ الشَّام**، دار قُتَيبة للطباعة والنشر، دمشق، 1982م.
٨) البَشّاري، شمس الدين المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق د. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م.

٩) ابن بطوطة، مُحَمَّد بن عبد الله اللواتي الطنجي، **تُحفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٣م.
10) بني حمد، فيصل عبد الله، **العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشَّام خلال العصرين المملوكين الأول (648-784هـ/1250-1381م) والثاني (784-922هـ/1381-1517م)**، في: مجلة المنارة، جامعة آل البيت، الأردن، مجلد 14، 2#، صص 287-340، عام 2008م.
11) **تقرير هيئة بلدية القدس عن سنة 1936-35**، القدس.
12) تماري، سليم، **عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2008م.
13) الجبرتي، عبد الرحمن، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، دار الجيل، بيروت، د. ت.
14) **جريدة أبابيل**، بيروت.
١٥) **جريدة الجامعة العربية**، القدس.
١٦) **جريدة الدفاع**، يافا.
١٧) **جريدة فلسطين**، يافا.
18) **جريدة حكومة فلسطين الرسمية** (الانتدابية)، القدس.
19) الجزيري، عبد القادر بن مُحَمَّد الأنصاري الحنبلي، **الدرر الفرائد المنظَّمة في أخبار الحاج وطريق مكَّة المعظَّمة**، تحقيق مُحَمَّد حسن مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2002م.
20) الجعبة، نظمي، **فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية**، مؤسسة الفرقان، لندن، ط2: 1427هـ/2006م.
21) جوهرية، واصف:
- **القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية**، تحرير: سليم تماري وعصام نصار، مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس، 2003م.
- **القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية**، تحرير: سليم تماري وعصام نصار، مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس، 2005م.
22) الحافظ، مُحَمَّد مطيع، وأباظة، نزار، **علماء دمشق في القرن الثالث عشر**، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991م.

23) الحسيني، حسن بن عبد اللطيف، **تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر**، تحقيق سلامة نعيمات، عمان، ١٩٨٥م.
٢٤) حلمي، عبد الفتاح، **المسجد الأقصى المبارك، بمناسبة تجديد القسم الشرقي والرُّواق الأوسط منه**، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس، 1363هـ/1944م.
25) الحنبلي، مجير الدين، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، مكتبة المحتسب، عمان، 1973م.
26) خُسْرو، ناصر خُسْرو علوي، **سفر نامة**، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1993م.
27) الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٢٨) الخوري، جرجس المقدسي، **سياحاتٌ ومشاهداتٌ**، ج١، مطبعة الوفاء، بيروت، ١٩٣٤م.
٢٩) خوري، شحادة، وخوري، نقولا، **خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذوكسية**، مطبعة بَيْتِ المَقْدِس، القدس، 1925م.
٣٠) دوماني، بشارة، **إعادة اكتشاف فلسطين، أهالي جبل نابلس، ١٧٠٠-١٩٠٠**، ترجمة: حسني زينة، ط٢، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٢م.
31) رستم، أسد:
- **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين**، المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٤م.
- **المحفوظات الملكية المصرية**، المكتبة البولسية، بيروت، 1987م.
32) روحي، حسين، **المختصر في جغرافية فلسطين**، القدس، 1923م.
٣٣) الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.
٣٤) **سجل محكمة غزة الشرعية**، المحفوظ في محكمة دمشق حاليًّا.
35) **سجلات محكمة القدس الشرعية**.
36) السخاوي، مُحَمَّد بن عبد الرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م.
37) السكاكيني، خليل:
- **فلسطين بعد الحرب الكبرى**، مطبعة بَيْتِ المَقْدِس، القدس، 1925م.

- **يوميات خليل السكاكيني**، الجزء الثالث، تحرير: أكرم مسلم، مركز خليل السكاكيني الثقافي، رام الله، ٢٠٠٦م.
٣٨) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، **حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1387هـ/1968م.
39) شُرّاب، مُحَمَّد مُحَمَّد، **معجم بلدان فلسطين**، دار المأمون للتراث، دمشق، 1407هـ/1987م.
40) شَعَث، رشدي، **المسكرات ومضارها**، المنتدى الأدبي، مطبعة دير الروم الأرثوذوكس، القدس، 1337هـ/1919م.
٤١) الشهابي، حيدر أحمد، **تاريخ أحمد باشا الجزار**، مكتبة أنطوان، بيروت، ١٩٥٤م.
42) شولش، ألكسندر، **تحولات جذرية في فلسطين**، ترجمة: كامل العسلي، دار الهدى، عمان، 1990م.
43) الطهطاوي، رفاعة، **التعريبات الشافية لمريد الجغرافية**، مطبعة بولاق، القاهرة، 1250هـ.
44) ابن طولون، مُحَمَّد بن علي الصالحي، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، دار الكتب العلمية، 1418هـ/1998م.
45) العارف، عارف:
- **تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس**، مكتبة الأندلس، القدس، ١٩٥٨م.
- **المسيحية في القدس**، مطبعة دير الروم الارثوذكس، القدس، 1951م.
- **المفصل في تاريخ القدس**، ط2، مكتبة الأندلس، القدس، 1986م.
٤٦) عثمان، مصطفى، **معالم بيت صفافا في الذاكرة**، طبع على نفقة جمعية سيدات بيت صفافا الخيرية، مطبعة السلام، القدس، [١٤٣٥هـ/٢٠١٤م].
47) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر:
- **إنباء الغُمْر بأبناء العُمْر**، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، 1392هـ/1972م.

- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري وآخرون، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ/1998م.
48) العسلي، كامل:
- **القدس في التاريخ**، تحرير وترجمة، منشورات الجامعة الأردنية رقم ٩٢/٢، عمان، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **معاهد العلم في بَيْتِ المَقْدِس**، بدعم من الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- **مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة ١٩١٨**، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٤م.
- **من آثارنا في بَيْتِ المَقْدِس**، طبع بدعم من الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٢م.
49) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، 1406هـ/1986م.
٥٠) العورة، إبراهيم، **تاريخ ولاية سليمان باشا العادل**، مطبعة دير المخلص، صيدا (لبنان)، ١٩٣٦م.
٥١) العياشي، أبو سالم عبد الله بن مُحَمَّد، **الرحلة العياشية (1661-1663)**، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 1427هـ/2006م.
٥٢) الغزي، كامل بن حسين الحلبي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، دار القلم، ط2، حلب، 1419هـ.
٥٣) الغزي، نجم الدين، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، تحقيق جبرائيل جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
54) القاياتي، مُحَمَّد عبد الجواد، **نفحة البشام في رحلة الشَّام**، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٥٥) ابن القلانسي، حمزة بن أسد التَّميمي، **تاريخ دمشق**، ط١، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
56) الكفراوي، مُحَمَّد، وآخرون، **مساجدُ بَيْتِ المَقْدِس**، نادي الخريجين العرب، القدس، ١٤٠٣هـ/1983م.

57) ابن كنان، ابن كنان الصالحي، **الحوادث اليومية من تاريخ إحدى عشر ومابة**، منشور في موقع الورّاق.
58) كنعان، توفيق، **الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين**، ترجمة نمر سرحان، دار الناشر، رام الله، 1998م.
٥٩) مارون، كميل، **الدليل على مزارات اليهودية والجليل**، لخَّصه الأب كميل مارون عن الدليل الجديد للأب برنابا مايسترمن، مطبعة الآباء الفرنسيسيّين، أورشليم، ١٩١١م.
٦٠) **مجلة الزهرة**، حيفا.
61) **مجلة دراسات**، عمّان.
٦٢) **المجلة الطبية العربية الفلسطينية**، القدس.
63) **مجلة المرصاد**، القدس.
٦٤) **مجلة المقتطف**، القاهرة.
65) **مجلة مينرفا**، بيروت.
٦٦) مخطوط "**مُلْحَة الإعراب**"، محفوظ في الجامعة العبرية، تحت رقم: Ms.Temp.Ar.173.
٦٧) المدني، زياد عبد العزيز، **الأوقاف في القدس وجوارها خلال القرن التاسع عشر الميلادي**، عمان، ٢٠٠٤م.
٦٨) مشاقة، ميخائيل، **مشهد العيان بتاريخ سوريا ولبنان**، القاهرة، ١٩٠٨م.
69) المقريزي، أحمد بن علي، **إغاثة الأمة بكشف الغُمة**، تحقيق: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.
70) المُنَجِّد، صلاح الدين، **ولاةُ دمشق في العهد العثماني**، دمشق، 1949م.
71) المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني (1917-1920)**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 2003م.
72) النجّار، إبراهيم بن خليل، **رسالة في الهواء الأصفر**، مطبعة دير القديس جاووجيوس، بيروت، 1264هـ/1848م.
٧٣) الناشف، خالد، **توفيق كنعان، تقويمٌ جديد**، في: مجلة الدراسات الفلسطينية، #٥٠، ربيع ٢٠٠٢م، صص ٦٩-٩١.

٧٤) نجم، رائف يوسف، وآخرون، **كنوز القدس**، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٤٠٣هـ/1983م.
٧٥) ابن الوردي، **تتمَّة المختصر في أخبار البشر**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.
76) هيئة الموسوعة الفلسطينية، **الموسوعة الفلسطينية**، ط١، دمشق، ١٩٨٤م.
٧٧) **وقائع وقرارات مجلس أمانة القدس**، القدس.

Foreign References:

1) Asali, Kamel, (ed.), **Jerusalem in History**, Scorpion Publishing Ltd., Essex (England), 1989.
2) Asprey, Robert, **The Rise and Fall of Napoleon Bonaparte**, Abacus, London, 2000.
3) Ballobar, Antonio de la Cierva Lewita, **Jerusalem in World War I: The Palestine Diary of a European Diplomat**, Tauris Academic Studies, New York (USA), 2010.
4) Barclay, James Turner, **The City of the Great King: or, Jerusalem as it was, as it is, and as it is to be**, Philadelphia (J. Challen), London (J. B. Lipicott), 1858).
5) Finn, Elizabeth Anne, **Reminiscences of Mrs. Finn**, London, 1929.
6) Gobat, Samuel, **Samuel Gobat, Bishop of Jerusalem, his life and Work, a biographical sketch**, James Nisbet & Co., London, 1884.
7) Greene, Joseph B., **Smallpox in Jerusalem and Jaffa in 1900 and 1901**, in: Public Health Reports (Berlin, Germany), March 6, 1901.
8) **Handbook of Palestine and Trans-Jordan**, ed.: Harry Luke and Edward Keith-Roach, Macmillan & Co., London, 1930.
9) Hecker, J.F.C., ed., **The Epidemics of the Middle Ages**, translated by B.G. Babington, third edition, Trübner & Co., London, 1859.
10) **The Jerusalem Post** (Newspaper), and its weekly supplement "**In Jerusalem**".

11) Kligler, I. J., **Study on the Epidemiology of Typhoid Fever**, in: Journal of Hygiene (London), 27 (1), Nov. 1927, pp. 14-31.
12) Kohn, George C. (editor), **Encyclopedia of Plague and Pestilence: From Ancient Times to the Present**, Infobase Publishing, New York (USA), 2008.
13) Lemire, Vincent, **Water in Jerusalem at the End of the Ottoman Period (1850-1920)**, in: Bulletin du Centre de recherche français à Jérusalem (CRFJ) [En ligne], 7 (2000), mis en ligne le 13 mars 2008, pp. 129-143.
14) Menashe, Har-El, **Golden Jerusalem**, Gefen Publishing House, Jerusalem 2004.
15) Morgenstern, Arie, **Hastening Redemption: Messianism and the Resettlement of the Land of Israel**, Oxford Uiversity Press, 2006.
16) Mühlens, Prof. Dr. P., **Seuchen-, insbesondere Malaria-Bekämpfung, in Jerusalem**, in: Naturwissenschaften, Vol. 2, Issue 13, 27 März 1914, SS. 314-319.
17) **The New York Times** (Newspaper), New York (USA).
18) **Palestine Exploration Fund, Quarterly Statement**, London.
19) **Porter, J., L., Jerusalem, Bethany, and Bethlehem, Thomas Nelson & Sons, London, 1887.**
20) Siegel-Itzkovitch, Judy, **Archeologists find evidence that some 30 Tiberias synagogues reportedly collapsed due to the quake**, in: The Jerusalem Post (Newspaper), 14 Oct. 2007, Jerusalem.

21) Smith, George Adam, **Jerusalem: the topography, economics and history from the earliest times to A.D. 70**, Hodder and Stoughton, London, 1908.
22) Spyridon, S. N., **Annals of Palestine, 1821-1841**, in: The Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. XVIII (1938), published by the Palestine Oriental Society, Jerusalem.
23) Strobel, August, **Deine Mauer stehen vor mir allerzeit**, Brunnen Verlag, Giessen (Deutschland), 1998.
24) Sufian, Sandy, **Re-imagining Palestine: Scientific knowledge and malaria control in mandatory Palestine**, In: DYNAMIS. Acta Hisp. Med. Sci. Hist. Illus. 2005, 25, pp. 351-382.
25) Vester, Bertha Spafford, **Our Jerusalem**, Middle East Export Press, Lebanon, 1950.
26) Woodsmall, Ruth Frances, **Moslem Women enter a New World**, a publication of the American University of Beirut, Round Table Press, New York, 1936.
27) Die **Zeitschrift des Deutschen Palastina- Vereins**, Band XIII, Redaction von: Hermann Guthe, Leipzig (Deutschland), 1890.
28) Web site: www.firststation.co.il